

سلسلة أصول الدين

السيد عبد الحبيب

٢

الشيخ
الأمام - المعتمد

مكتبة دار الكتب
للطباعة والنشر



اسم الكتاب : سلسلة اصول الدين
المؤلف : السيد عبدالحسين دستغيب
المترجم : السيد احمد القبانجي
الطبع : الاولى ١٤١٣ هـ . ق
الكهيد : ٣٠٠٠ نسخة
الطبع : العلميد - الامير
الصفحات : ٨٠٨

مؤسسة دارالكتاب للطباعة والنشر
شارع ارم - قم - تليفون ٢٤٥٦٨

السُّبْحَةُ

النسب

تأليف
السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة
أحمد القبانجي

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾^(١) .

الهدف من النبوة :

الله عز وجل خلق الخلائق والكائنات ، ليتعرف عليه الإنسان ويعرفه بالوحدانية والحكمة والقدرة اللامتناهية ، كما يتضح ذلك من خلال آيات متعددة من القرآن الكريم^(٢) ، فكيف لا يبعث من يرشد الناس إلى ذلك الهدف العظيم ويذكرهم بالمبدأ والمعاد ؟ ونفس الآية المذكورة ، كافية لجواب أولئك المنكرين للنبوة ، فهل يعقل أن يخلق الله عز وجل العالم لغرض معين ، ولا يبعث المرشدين لهداية البشر إلى ذلك الغرض ؟ ولذلك ، فإن من جملة الأدلة العقلية على ضرورة بعث الأنبياء ، هو ما ذكرناه ، من أن النبوة مكمللة للغرض من الخلقة ، وإلا فسوف يؤدي إلى اللُّغوية في الخلق .

لا بد وأن يكون النبي من البشر :

هناك إشكال قديم قد يرد في الأذهان وهو : لماذا لم يكن النبي من الملائكة ؟ وأحد

(١) سورة الانعام الآية ٩١ .

(٢) ﴿ وَاللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَمِنَ الْاَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْاَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوْا اَنْ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيْرٌ وَّ اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (سورة الطلاق الآية ١٢)

اشكالات المشركين لعدم إيمانهم بالرسالة هو ما ذكرنا ، وكما أخبر بذلك القرآن المجيد ﴿ وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة ﴾^(١) . وغير ذلك من الاشكالات التي ذكرها القرآن في سورة الاسراء^(٢) .

ولا شك في أن هداية البشر ، لا بد وأن تكون بواسطة فرد منهم يعرف لغتهم وعاداتهم ، فيدعوهم إلى الله (عز وجل) والاخلاق الفاضلة : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٣) .

فلا بد أن يكون الرسول من البشر لكي يعرفونه ويأمنون به ، وإلا فكيف يأنس البشر بالملائكة ويتعلم منهم الأخلاق والأحكام ، وهو عاجز حتى عن رؤيتهم ؟ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ ﴾^(٤) .

إضافة إلى أن الإيمان أمر اختياري ، فالمعاند الذي يرفض الدين ، سوف لا يؤمن حتى على فرض نزول الملائكة بالرسالة . ولقال بضرورة أن يكون النبي من البشر كما كانوا يقولون : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾^(٥) . أو قولهم : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾^(٦) . أو قولهم لصالح (ع) : ﴿ أبشراً منا واحداً نتبعه ﴾^(٧) . أو قولهم لنوح (ع) : ﴿ أنؤمن لك وأتبعك الأردلون ﴾^(٨) . وغيرها .

النبوة اختيار إلهي :

مقياس النبوة عند أصحاب العقول الضيقة ، هو الثروة والمقام والشهرة وكثرة الاتباع

(١) سورة الفرقان الآية ٢١ .

(٢) هي الآيات ٩٠ وما بعدها من سورة الإسراء .

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥ .

(٤) سورة الانعام الآية ٩ .

(٥) سورة الفرقان الآية ٧ .

(٦) سورة الزخرف الآية ٣١ .

(٧) سورة القمر الآية ٢٤ .

(٨) سورة الشعراء الآية ١١١ .

ها . أما المقياس عند الله وأصحاب العقول السليمة والأفكار الصحيحة ، هو الطهارة من الذنوب والتحلي بالأخلاق والصفات الحميدة .

ومن المتفق عليه عند علماء الشيعة ، هو عصمة الأنبياء من الذنوب الكبيرة والصغيرة ، والنسيان ، والخطأ وغير ذلك .

ومن البديهي أن الذنوب ، حتى لو كانت قبل النبوة ، فإنها تشكّل نقطة ضعف في حياة صاحبها ، إضافة إلى كونها أداة اعلامية بيد الأعداء ، ونجد أن خلو التاريخ الشخصي للإنسان من كل عمل مشين في سلوكه شرط في كثير من قوانين الاستخدام والوظيفة في مختلف أنحاء العالم ، إلى درجة أن الموظف العادي يشترط فيه ذلك ، فكيف بالمأمور الالهي لتبليغ الرسالة السماوية .

ولو كانت له سابقة سيئة ، فكيف يمكنه أن يأمر الناس بالخير ، إذ سوف يجابهونه ويعيرونه وينقضون عليه بها . إضافة إلى أن النبي لا بد أن تكون نفسه أقدس وأعلى وأكمل من سائر النفوس ، والذنب يوجب تلوث النفس وكدورتها ، فلا تبقى له تلك القدسية اللازمة .

والأعمال تابعة للإعتقادات والملكات التي تنبع من النفس الناطقة ، فعندما يفترض أحد رسولاً من رب العالمين ، لا بد وأن يكون في تجرد روحي أكثر من باقي الناس ، ولا يحتمل الخطأ أو المعصية في حقه ، لأن منشأ الخطأ والذنب معدوم فيه ، وهو العلائق المادية والدنيوية ، وبتعبير القرآن المجيد : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾^(١) .

هنا قد يطرأ سؤال في الذهن وهو أن النبي والإمام إذا كان معصوماً من كل خطأ وذنب ، فلماذا نجد في الأدعية المنقولة عنهم طلبهم المغفرة والعفو من الله سبحانه ؟ وكما يصرح بذلك القرآن الكريم حيث يقول : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾^(٢) .

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٣

(٢) سورة غافر الآية ٥٥

وأجاب المرحوم المجلسي بجوابين على هذا السؤال^(١) :

حسنات الإبرار سينت المقتربين

أحدهما : أن ترك المستحب وفعل المكروه ، بل الاتيان ببعض المباحات ، يعتبر ذنباً بالنسبة للمعصوم ، لعلو مقامه وجلالة شأنه ، وهو ما يعبر عنه بـ (ترك الأولى) . فما يتوقع من العالم ليس كالذي يتوقع من الجاهل . ولذلك ورد في الروايات^(٢) : أنه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد .

اقتلاف حالات المعصوم

الثاني : أن حالات النبي والإمام ليست متساوية . فحالات الخشوع والتضرع والمناجاة في الليل لا تكون كذلك في النهار وعند معايشة الناس وإرشادهم ، وإن كانت نفس المعايشة والإرشاد بأمر من الله ، وهذا الاختلاف في الحالات يعتبره المعصوم ذنباً بالنسبة له ، فلذلك يستغفر حتى يجبر هذا النقص كما هو قول رسول الله (ص)^(٣) : « ليغان على قلبي وأني لاستغفر الله بالنهار سبعين مرة » .

الأنبياء أفضل البشر

لا بد وأن يكون الأنبياء أفضل البشر ، حتى يمكنهم إرشاد الناس وتقوية ارتباطهم بالله ، ويمكن للناس الإستجابة لهم والإستفادة منهم . فلو كان في الناس من هو أكمل منهم وأفضل من حيث العلم وبقية الصفات الأخرى ، فلا يمكن أن يكون مدعي النبوة مبعوثاً إليه ، لأنه يكون حينئذٍ أحق من ذلك المدعي بمنصب النبوة .

وكنموذج على ذلك اذكر بعض صفات وحالات خاتم الأنبياء (ص) :

عندما كسروا أسنانه في معركة أحد ، صعب ذلك على أصحابه ، وطلبوا منه أن يدعوا على المشركين فقال : « إني لم أبعث لعناً ولكني بعثت داعياً ورحمة اللهم اهْدِ

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٢٠١ .

(٢) أصول الكافي ٤٧/١ .

(٣) سفينة البحار ٢/٢٠١ .

قومي فإنهم لا يعلمون» (١) .

ومن الصفات الحميدة للإنسان ، الحياء ، فلا يظهر ما يخجل منه الطرف الآخر . بل يتغافل عن عيوب الآخرين إذا أطلع عليها فيهم . وهذه الصفة الكمالية كانت موجودة بصورة تامة في نفس خاتم الأنبياء (ص) . فمثلاً ، كان أصحابه يأتون إلى بيته ، يأكلون الطعام ، ويجلسون مدة طويلة للحديث ، وكان النبي (ص) يتضايق بجلوسهم هذا مدة طويلة ويستحي أن يشعرهم بذلك . فنزل الآية الشريفة :

﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ﴾ (٢) .

وكان (ص) كما ورد في الرواية : « حياً لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه » (٣) .

إضافة إلى أن معاملته وأخلاقه مع الأعراب الجاهليين بنفسها معجزة ، حيث يقول في القرآن الكريم : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٤) .

خير الكلام ما قلّ ودلّ

وهذا الكتاب هو حاصل إحدى عشرة جلسة ومحاضرة لآية الله الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب ، ألقاها في المسجد الجامع في شهر رمضان المبارك ، والواقع ، أنه مع حجمه الصغير يعتبر كتاباً كبيراً وثروة علمية ، ببيان سهل وأسلوب لطيف بما اشتمل عليه من القصص المعبرة والأمثلة المتعددة ، مصحوبة بالآيات والروايات ، بحيث يمكن القول بأن الكتاب من أحلى كتب ذلك الشهيد السعيد .

الإمامة ترب النبوة :

مسألة الإمامة ، ذات جذور عميقة في الدين الاسلامي ، بدأت منذ أوائل الدعوة إلى

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٤١١ .

(٢) سورة الاحزاب ٣٣ الآية ٥٣ .

(٣) سفينة البحار ج ١ ص ٤١٢ .

(٤) آل عمران / ١٥٩ .

الإسلام ، وبما أن الإسلام دين جامع لكل ما يلزم المجتمع ، لذلك أصبحت مسألة الإمامة من أهم المسائل التي طرحت نفسها منذ بداية ظهور الإسلام .

وفي نفس الوقت الذي كان رسول الله (ص) يدعو الناس إلى الإسلام قام (ص) بوضع الأساس لأول حكومة اسلامية منسجمة مع احتياجات ذلك الزمان فيما يتعلق بالجوانب المالية والدفاعية ، واجراء الأحكام القضائية وغيرها ، كما هو الحال في اهتمامه بالجوانب المعنوية والاخرية ، وتزكية النفس والتحلي بالأخلاق الفاضلة ، فلم يكن بالإمكان فصل الآخرة عن الدنيا في الدين الإسلامي ، وكما ورد في الحديث النبوي المشهور :

« من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »^(١) .

الإمام هو الأفضل :

الإمام قائد ونموذج للمجتمع الإسلامي لذا يجب أن يكون حائزاً للكمالات والفضائل السامية ، ليكون قدوة للمسلمين ، فهو من حيث الخوف والرجاء ، والحب لله والتوكل عليه ، وسائر الكمالات والصفات الحميدة الأخرى ، من العلم والعبادة والزهد والشجاعة أفضل من سائر الناس .

فلو كان ناقصاً من حيث الإيمان ، فكيف يمكنه أن يرشد الناس ويهديهم إلى الإيمان الكامل ؟ ولو كان توكله على الله ضعيفاً فكيف يمكنه أن يعلم الناس التوكل على الله والالتجاء إليه ؟

يجب أن يكون الإمام رحيماً عطوفاً ، وعوناً للفقراء والمظلومين ، في نفس الوقت الذي يكون فيه شديداً على الظالمين ، وشجاعاً في اتخاذ المواقف ، والخلاصة ، يجب أن يكون الإمام كاملاً في جميع الصفات الكمالية ، منزهاً عن جميع الرذائل والصفات القبيحة .

(١) أصول الكافي ١٦٣/٢

العصمة شرط أساسي في الإمامة :

لقد ورد في القرآن الكريم في آية التطهير ، تعريفاً لمن له حق الإمامة حيث يقول تعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾^(١) . فالأشخاص الذين تشملهم هذه الآية ، لهم اللياقة الكاملة لقيادة المجتمع الإسلامي ، حيث يطهرون الناس والمجتمع من الرذائل والرجس بطهارتهم وفضيلتهم ، ومن هنا ذهب الشيعة إلى أن العصمة شرط أساسي في الإمام ، كما هو الحال في النبي لنفس السبب .

وكما قلنا في النبي إنه يجب أن يكون بتعيين من الله تعالى ، فكذلك الأمر في الإمام لأن الله تعالى أعلم بالسرائر وأعلم بالذين طهرهم واصطفاهم .

وقد عين الله سبحانه وتعالى الإمام على لسان حبيبه محمد (ص) في أماكن متعددة ، حيث يقول في الآية الشريفة : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ . فهنا نقطتان ملفتان للنظر :

الأولى : إنه يقول : ﴿ فإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ . فما هو هذا الأمر المهم الذي لو لم يفعله النبي لأحبط سنوات عديدة من عمله في تبليغ الرسالة ؟

إذن يتضح من هذا ، أن مسألة الإمامة ترجح على كل المسائل الإسلامية ، وتعرف عليها كل الأمور ، ولذا ورد ذلك في روايات عديدة ، أن العبادات وسائر الأحكام تكون فاقدة للروح بدون الإمامة^(٢) .

الوصد بالحفظ :

الثانية : قوله تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ . هؤلاء الناس الذين صعب عليهم رؤية الإمام علي (ع) أميراً للمؤمنين ، وامتلات قلوبهم بالحقد الدفين ، لأن الإمام علي (ع) قتل أباءهم وأرحامهم بسبب إصرارهم على محاربة الإسلام ونبيه ، ودان لا تأخذه في الله لومة لائم ، فلو أن النبي (ص) أوصى بإمامة علي (ع) ، لكان في سك خطر

(١) الأحزاب / ٣٣ .

(٢) أصول الكافي ٢ كتاب الإيمان والكفر ص / ١٩ .

على النبي (ص) وقد وعده الله بأن يحفظه من هؤلاء الحاقدين .

بحث الإمامة وشهيد المحراب :

وهذا الكتاب ، يشتمل على بحث الإمامة في مجالس ألقاها شهيد المحراب آية الله السيد عبد الحسين دستغيب ، ببيانه الجذاب وبأسلوبه الشيق قبل (٢٥) سنة تقريباً ، ولم يبق منها سوى ثمانية مجالس ، ومع ذلك فهي مليئة بالفائدة والمطالب الثمينة .

الولاية نعمة للأخبار ونقمة على الفجار :

ومن خلال هذه البحوث الشيقة في الإمامة ، يتحدث شهيد المحراب عن فضائل الإمام علي (ع) ، وتأثير محبته وبغضه على النفوس ، ويذكر قصصاً شيقة عن ذلك ، كقصة شاعر أهل البيت (ع) السيد الحميري عند وفاته ، وحصوله على الشفاعة . وكذلك قصة الخطيب الدمشقي الذي كان يسب علياً (ع) . وكذلك مقتل مرة بن قيس في الحرم العلوي بإشارة من أصبح الإمام (ع) .

ويذكر أيضاً الأحاديث النبوية في حق الإمام علي (ع) ، كحديث الثقلين ، وحديث الطائر المشوي ، بعد ذلك يبحث عن عصمة الإمام وعدله وسيرته بين الناس ، وأفضليته على سائر البشر ، وتحليّه بالأخلاق العالية والصفات الحميدة . وكذلك حديث الغدير ، والآيات النازلة في حق الإمام علي والأحد عشر من ولده عليهم السلام .

وفي بحث آخر ، يشير إلى نكتة مهمة ، وهي أن محبة أهل البيت متفق عليها من جميع المذاهب ، وأن مخالفهم والمبغض لهم منافق ، وهذا يعني خلو القلب من محبة الأمور والعلائق الدنيوية . لأن محبة الله وأوليائه لا تجتمع مع محبة الشهوات والأغراض الدنيوية ، والشاهد على ذلك قصة ابن ملجم المذكورة في هذا الكتاب بالتفصيل .

وأخر قسم من هذا الكتاب الشريف ، يحتوي على وصايا أمير المؤمنين (ع) عندما اجتمع عليه أهل الكوفة ، بعد أن سمعوا بإصابته بالسيف وطلبهم الموعظة والنصيحة .

فيقول^(١) من جملة وصاياه : « أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم وغداً

(١) نهج البلاغة ، الخطبة رقم / ١٤٩ .

مفارقكم ... غداً تَرَوْنَ أيامي ، يُكشَفُ لكم عن سرائري ، وتعرفونني بعد خلو مكاني ... (١) .

الإمامة وولاية الفقيه :

والآن نشير إلى مطلب مهم يتفرع على بحث الإمامة ، وهو بحث ولاية الفقيه ، حيث إن شهيدنا السعيد ، كان من جملة المؤيدين الأوائل لتثبيت مسألة ولاية الفقيه في القانون الأساسي ، وكان يذكر دائماً أن إيران أصبحت اليوم سائرة تحت لواء ولاية الفقيه ، ويؤكد أن الإمامة مستمرة في زمان الغيبة .

شروط نائب الامام :

إن من وظائف الامام - كما سيمر عليك في هذا الكتاب - التعليم والتزكية ، وهذا مرتبط بشرطين مهمين لا بد من توفرهما في الامام وهما : العصمة والعلم المطلق .

وأما نائب الامام ، فلا بد من توفر نفس شروط الامام فيه ، ولكن بدرجة أقل ، فإذا كان الامام عالماً مطلقاً ومعصوماً ، فلا بد أن يكون نائبه عادلاً وفقياً .

نعم ، يجب أن يكون الامام محيطاً بالعلوم الاسلامية ، من الفقه والتفسير وسائر العلوم الاسلامية الأخرى ، ليستطيع ارشاد الناس وهدايتهم بعلمه وعمله ، فلا يكفي العلم وحده ، بل لا بد وأن يكون مخالفاً لهواه ، وزاهداً عن الماديات والأمور الدنيوية ، ومتحلياً بجميع الصفات الكمالية الأخرى .

ولاية الفقيه بحبل الله المتين :

وفي قسم من أقسام هذا الكتاب ، يذكر المصنف الشهيد الآية الشريفة : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٢) . وأنه لا بد للمجتمع من ركيزة يعتمد عليها ، وتكون بالنسبة للمجتمع كعمود الخيمة الذي يتوقف عليه قيامها ، وكل الحبال ترتبط به مباشرة . وبعد الأمر بالإعتصام بحبل الله ، ينهى عن التفرق ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، فالموجب

(١) المصدر السابق .

(٢) آل عمران / ١٠٣ .

للتفرق ، هو تعدد القيادات بالنسبة للمجتمع ، أو توهين القيادة الواحدة .

وعندما يكون المجتمع متفرقاً ، يدب الضعف في أرجائه ، ويتسلط على أفرادهِ من لا يرحمهم ، وتسود الفوضى في مختلف أنحائه .

مفاسد تعدد القيادة واثارها :

والنموذج الحي على ذلك ، هو مجتمعات دول العالم الثالث ، وخاصة المجتمع الايراني قبل الثورة ، حيث إن الناس فقدوا الثقة بأنفسهم ، واستسلموا للقلدرات الأجنبية ، وترسخ في الأذهان أن الخلاص من الإستعمار محال ، وأنه لا بد من الإتكاء على إحدى القوتين الكبيرتين . مع ما يتبع ذلك من المفاسد الأخلاقية جراء الإرتباط بالأجانب ، وتغير ثقافة المجتمع نحو الإنحطاط ، وغيرها مما لا يحصى من الأضرار والمفاسد الإجتماعية والأخلاقية .

الحمد لله على نعمة ولاية الفقيه :

فلا بد أن نعرف قيمة الثورة، ونشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة التي شملت بركاتها جميع نواحي الحياة في المجتمع . فكان أن تحول المجتمع في عقيدته وفكره وعمله إلى مجتمع آلهي ، فصارت الأهداف آلهية ، والأغراض سامية وإنسانية ، بدل الإنحطاط الخلقي ، والأهداف الدنيوية الدنيئة وغيرها من التحولات في المجالات الأخرى . وكما قال المؤلف الشهيد : إن الله سبحانه وتعالى قد أبقي الإمام الخميني حفظه الله تعالى لمثل هذه الأيام . رزقنا الله نعمة الشكر على هذه القيادة الصالحة ، ونسأل الله تعالى أن يطيل عمره في صحة وعافية . وأن يجعلنا من جنود الثورة الاسلامية الأوفياء .

ولاية الفقيه من مختصات الشيعة :

ومن الأمور المسلّمة اليقينية ، أن ولاية الفقيه من مختصات مذهب الشيعة من بين سائر المذاهب الأخرى ، حيث تستند على الأدلة القطعية من الكتاب والسنة ، بأن الإمامة مستمرة وثابتة حتى في زمان الغيبة ، بحيث إن الأمور تكون بيد الفقيه الجامع للشرائط المعتبرة ونائب الإمام العام .

ولا شك في أن الإحاطة بالعلوم الإسلامية ، والإجتهد في الفقه ضروري للقائد

ولنائب الإمام وإلا فكيف يمكنه إقامة الحدود الإسلامية في المجتمع ، إضافة إلى الجهات الأخرى من النظرة السياسية والإدارة السليمة والحكيمة ، فكم من الفقهاء الذين لهم صلاحية المرجعية ، ولديهم اللياقة الكاملة للإفتاء لكنهم في المسائل السياسية والاجتماعية ليسوا بالمستوى المطلوب .

ومن جملة الشرائط الضرورية للقائد ، الاستفادة من عبارات نهج البلاغة ، أنه لا يخاف سوى الله . ولا يعاباً بتهديدات الدول المستكبرة والظالمة ، فربما يؤدي خوفه من المستكبرين إلى أن يبيع دولته الإسلامية إلى الأجانب بدون مقابل .

وعليه لا بد أن يقف أمام التحديات الأجنبية ، ويجهز الجيوش للدفاع عن بيضة الإسلام ، مع الاعتقاد الكامل بأن النصر من الله سبحانه وتعالى .

السيد محمد هاشم دستغيب

الباب الأول

السيرة

الفصل الأول

ضرورة النبوة

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾^(١) .

إنكار الأنبياء، يؤدي إلى إنكار الله تعالى :

تقول هذه الآية التي قرأناها ، إنهم لم يقدرُوا الله عندما قالوا بأنه لم يرسل رسولاً ، ويعني ذلك ، أن المنكر للأنبياء (ع) ينكر حكمة الله تعالى . وفي الحقيقة أن إنكار الأنبياء (ع) يؤدي إلى إنكار الله سبحانه وتعالى .

والإنسان الذي عرف الله تعالى ، وعلم أن جميع أعماله وأفعاله ناتجة عن مصلحة وحكمة ، فسوف يكون على يقين بأن الله العادل لا يترك الإنسان حائراً بمقتضى عدله ، وإنما يرسل إليه المبشرين والمنذرين ليرشدوه إلى الغرض من خلقته ووجوده ، وهو التوحيد والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة . ويبعدوه عن الكفر والشرك والأخلاق الرديئة والأعمال القبيحة .

ولو لم يكن هناك رسول يرغب البشر بالجنة ويحذرهم من النار ، لكان ذلك ظلماً وخلفاً للحكمة .

الارتباط بالعوالم الأخرى يختص بالوحي :

كل من أراد أن يعرف ربه ، وينقذ نفسه من الانحراف في العقيدة ، فليس له وسيلة

(١) الانعام / ٩١ .

إلى ذلك غير الوحي ، وليس من طريق إلى معرفة العوالم الأخرى غير الوحي الالهي إلى الأنبياء ، ومن ثم إلى أفراد البشر .

إذن ، فمقتضى الحكمة الالهية هو إرسال الرسل لهداية البشر والأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم .

إضافة إلى أن وجود الأنبياء ضروري للناس في حياتهم المادية الدنيوية أيضاً ، وعدم وجودهم يخالف الحكمة ، وتوضيح ذلك :

الحيوانات لا تحتاج إلى الاجتماع ،

لا شك في أن الإنسان كائن اجتماعي ، حيث لا يمكنه العيش بصورة منفردة ، مع أن حياة الكثير من الحيوانات انفرادية لأن احتياجاتها محدودة ، فمثلاً لا حاجة لها إلى لباس حيث يكفيها ذلك الجلد أو الصوف أو الريش وغيرها ، وكذلك فإن مسكنها في الأشجار أو الأكنان ، أو في باطن الأرض ، أو في الغابات والصحاري والجبال .

وقد قدر لها الله تعالى طعامها وغذاءها بصورة طبيعية ، فهي تخرج من أكنانها ومخابئها جائعة في الصباح وترجع إليها وهي شبعة من دون حاجة إلى أي نوع من أنواع الاجتماع .

أما الإنسان فهو على عكس ذلك ، إنه كائن اجتماعي ومحتاج إلى تعاون الآخرين في تدبير المأكل والملبس والسكن له .

احتياج الناس بعضهم إلى بعض :

كم يحتاج الإنسان من وقت وجهد لمجرد الحصول على اللباس مثلاً ؟ فمن ذلك الفلاح الذي يزرع بذرة القطن ، إلى ذلك العامل في مصانع القطن ومعامل الغزل والنسيج ، إلى أن تصل النوبة إلى الخياط وما يحتاج إليه من ابرة وخيط وغيرها ، إلى أن يحصل على لباس يلبسه ولفترة معينة من الزمان أيضاً ، حيث يحتاج إلى تبديله بعد فترة أخرى .

وبالنسبة إلى المسكن ، كذلك فهو يحتاج إلى الجص والطابوق والحديد والخشب

والأسمنت ، وكذلك إلى النجار والحداد والبناء وغيرهم .

وكذلك بالنسبة إلى المأكل ، حيث الحاجة إلى الزرع والحصد ومعامل الطحين ، حتى يصل الأمر إلى الخباز ، وكذلك سائر الأطعمة التي تكون بأجمعها احتياج في احتياج .

فعلى هذا ، نجد أن خلاصة أمور الإنسان تتمثل في الإحتياج ، فيجب أن يكون أفراد البشر مجتمعين مع بعضهم ليتمكنهم إشباع حاجاتهم ، وإلا فلا يمكن لشخص واحد أن يكون نجاراً وخياطاً وفلاحاً وبنّاءً وغير ذلك في نفس الوقت .

ضرورة الأنبياء. لوضع القانون :

ثم إن هذا المجتمع بحاجة إلى القانون ، فمع اجتماع الأفراد يحتمل تصادم منافعهم وحدوث النزاع بينهم ، ومن ثم تكون الحاجة مُلحّة إلى وجود قانون ليحكم بين الأطراف ، ويحفظ الحدود ، ويأمن الناس معه على نفوسهم وأموالهم ، فمجرد وجود الشهوة الحيوانية في الإنسان تدفعه إلى الإعتداء الجنسي وما يتبع ذلك من صراعات ومشاكل لولا وجود القانون .

لذلك كان على الله العليم القدير ، أن يضع قانوناً من أجل الحياة في هذه الدنيا ، فإضافة إلى إرشاده الناس إلى الأمور المعنوية ، يشرع لهم قوانين التعايش والإجتماع والتعامل أيضاً ، بحيث تكون معاملاتهم في نقل وانتقال الأعيان وتبادل المنافع مبنية على أساس ضوابط محددة .

هل تكفي القوانين البشرية في تنظيم الأمور للحياة المادية ؟

لو قيل صحيح أن حياة الإنسان الإجتماعية تكون ناقصة بدون وجود القانون ويلزم من ذلك وجود المشرع لهذا القانون ، إلا أنه لماذا يجب أن يكون ذلك بواسطة الأنبياء ، فمن الممكن أن يجتمع عقلاء الناس في مكان معين ، ويضعوا قانوناً لكل ما يرونه صلاحاً للمجتمع ، فمثلاً يضعون قانوناً للربا ، بحيث إذا لم يتمكن ذلك المقترض من إداء الفائدة على ذلك القرض ، يأمرؤن بإحضاره وسجنه في آخر المطاف .

ويتم انتخاب هؤلاء العقلاء بواسطة الناس أنفسهم .

وجواب هذا ال مرج ، هو أنه لا بد بحكم العقل ، من توفر شرطين مهمين في
المشرع للقانون .

الأول : أن تكون له إحاطة تامة بجميع المصالح والمفاسد للأشياء إلى يوم القيامة ،
فالشخص الذي يريد أن يضع قانوناً يجب أن يفهم جهاته السيئة والحسنة .

وقد يقال بأن ذلك من صلاحية الناس ، فنقول له : لعل الأمر انعكس بعد ذلك
وتغيرت الأوضاع ، فعندما تريد أن تجعل قانوناً يجب أن يكون ذلك القانون صالحاً لجميع
الأزمنة والأمكنة .

عدم كفاية قانون الزواج :

لقد سُئِ قانون وضعي بعدم جواز تزويج الأنثى إلا بعد بلوغها سن الثامنة عشرة من
عمرها . ثم ألغي هذا القانون ، ليحلّ محله قانون آخر يحدد السن بست عشرة سنة .

وبعد أن واجه مشرعو هذا القانون مشكلات عديدة من جعلتها مسألة الإنحراف عند
الفتيات ، اضطروا أن يقللوا السن القانونية لزواج البنت إلى السن الثالثة عشرة مع إجازة
المحكمة .

فما رأيناه هو تغير القانون عدة مرات في مدة سنوات قليلة ، ومع ذلك لم تحصل منه
النتيجة المطلوبة في النهاية .

أما ما ورد في القانون الالهي حول هذا الموضوع هو أنه جعل الميزان سن الرشد ،
فلو أصبحت البنت رشيدة فينبغي تزويجها سواء كان ذلك لعشر سنوات أو خمس عشرة
سنة ، فانظر إلى هذا الميزان البديع في تشخيص سن الزواج ، والمطابق للعقل السليم
والفطرة الإنسانية ، فلا يبقى بعد ذلك أي مجال للنقاش ، فيمكن أن تكتمل إحدى
الفتيات جسدياً وفكرياً في تمام التاسعة من عمرها ، ويمكن ألا تكتمل أخرى حتى في سن
الثالثة عشرة .

فأي قانون يستحق الإتياع ؟

لا امتياز لوضع القانون على الآخرين :

والذين يضعون القانون ، سواء في ايران أو في أي مكان آخر ، لا أرجحية لهم على الآخرين ، فمن أين لهم العلم بما سيحصل بعد عدة سنوات ؟ بينما يجب أن يكون الواضع للقانون عالماً بكل شيء إلى يوم القيامة ، ليضع لكل شيء وفي جميع العصور قانوناً مناسباً لذلك .

ونموذج آخر على إفلاس القوانين الوضعية التي تزعم تنظيم الحياة الاجتماعية هو حكم حرمة الربا . ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۖ ﴾^(١) ، فهذا الحكم الالهي ثابت إلى يوم القيامة ، فالربا آفة المجتمع ، ويؤدي إضافة إلى تدمير الإقتصاد إلى بث العداوة والبغضاء بين الناس ، فكم يكون الشخص المستدين حاقداً ومعادياً للدائن الذي يطالبه بالفائدة ؟ فمن أجل تلك الفائدة الربوية يحصل العداء بين طرفي القرض الدائن والمدين .

وقبل الإسلام كان العرب يعيشون وطأة الربا ، بحيث طحنت الفائدة الربوية الكثير منهم ، وذلك عندما يقترض ذلك المحتاج مبلغاً من المال ، وعليه أن يؤديه في الوقت المحدد مع الفائدة ، والتي تزداد باستمرار مع تأخير الدفع ، كما نجد هذه الحالة في بنوك هذا الزمان .

فقد يضطر أن يبيع بيته في بعض الأحيان لدفع تلك الفائدة الربوية ، أو يضطر لتقديم ابنته إذا لم يكن له بيت . أو يبيع ولده في سوق النخاسة ، وقد تصل النوبة إلى بيع نفسه عبداً لصاحب الفائدة في مقابل فائدته . إن لم يكن له شيء يرضيه به .

أما القانون الإسلامي فقد حرّم الربا بكافة صوره القليل منه والكثير ، وما كان منه على العين أو المنفعة وغيرها .

وعلى كل حال ، فيجب أن يكون الواضع للقانون عالماً بالمصالح والمفاسد لجميع الأمور ، فماذا يعلم هذا الإنسان العاجز ؟

وليس فهم أولئك الذين انتخبوا للنيابة عن الآخرين في وضع القانون ، كما ورد في

(١) البقرة / ٢٧٥ .

الطرح الأنف الذكر ، بأكثر من بقية الناس علماً بالمصالح والمفاسد ، ولا أقل جهلاً .

فوضع القانون من حق الله عز وجل فقط ، حيث إنه هو العالم بما ينفع ويضر عباده في جميع الأزمنة والأمكنة ، لأن العالم المطلق ، الذي لا يحد علمه زمان ولا مكان .

عدم المصلحة الذاتية شرط آخر في واضع القانون :

والشرط الثاني : الذي يجب توفره في واضع القانون ، هو أن لا يكون له هدف ومصلحة خاصة من وراء ذلك ، سواء كان يتعلق به أو بمن يرتبط به ، وإنما يجب أن يرى مصلحة الناس في أي شيء يريد سنّه ، لا أن يكون هدفه أن يمتلئ جيبه أو يصل أحد أقربائي إلى منصب معين ، سواء كان في ذلك مصلحة للآخرين ، أو كان فيه ضرر لهم .

فالخلاصة ، يجب ألا يكون الواضع للقانون حريصاً على جمع الأموال ونيل المناصب ، هدفه نفسه هو ، من دون أن يعبأ بغيره من الناس .

القوة الإجرائية ضرورية في وضع القانون :

إضافة إلى ذلك ، فإن الواضع للقانون ، بعد أن كان عالماً ونزيهاً يكون بحاجة إلى منفذٍ للقانون يحكم العقل بوجود طاعته وحرمة مخالفته .

ومن الواضح ، أن القانون الإلهي هو الذي يمكن إجراؤه بدون تهديد أو خوف من أحد من الناس ، وفي كل مكان حتى في داخل البيت أو في مكان منفرد .

فعندما يجد مალأ ولا يرى أحداً من الناس ينظر إليه ، أو كانت في يده أموال لشخص آخر وليس لذلك الشخص سند أو مستمسك على ذلك فسوف يقول : إن الله حاضر وشاهد على ذلك . إذن فلا بد من قانون تكون له صفة اجرائية وتنفيذية أيضاً .

فعندما يكون الله حاضراً وناظراً فإنه سيقول : إن الله معي عند كل معصية وهي كل ما يخالف القانون الإلهي ، فكم من الأشخاص وقعت في أيديهم الأموال ولم يعلم بها الوارث لها ، فجازوا بشكل تلقائي وأخبروا الورثة بذلك وسلموا تلك الأموال إلى أصحابها .

فهل هذا هو القانون الحقيقي الذي يستحق الاحترام ، أو ذلك القانون الذي أضعه

أنا من عِنْدِيَّاتي ؟ القانون الحقيقي ، هو الذي لا يدوس عليه الإنسان عند الرضا أو الغضب ، أو الحب أو الكره .

الجزء من حقوق الله أيضا :

والله عز وجل ، هو الذي له حق المؤاخظة والجزاء على عدم اطاعة أوامره ، فالجدير بالإنسان أن يطأطئ رأسه خجلاً إذا قال له الله عز وجل لماذا فعلت خلاف ما أمرتك ؟

وحتى لو لم يحاسبه الله على ذلك ، فمن الجدير به أن يتأثر ويندم لتلك المعصية .

ولو أنه أخذ مال أحد في صغره ، وتذكر الآن فينبغي أن يخجل من نفسه ، وعليه أن يرجع ذلك المال لصاحبه ، فمع أنه لم يكن مكلفاً في ذلك الوقت ، إلا أن حقوق الناس مضمونة وتتساوى في حال الصغر والكبر ، لذا فهو يخاف ويرتجف الآن ويقول : الويل لي عندما أحاسب غداً .

القلوب لما طريق الى الله :

فقد يخجل ويتأثر أشد الناس عصياناً وأكثرهم فسقاً وفجوراً ، لأن القلوب لها طريق إلى الله ، وارتباطها مع الله مسلّم مهما غلبت عليها الشهوة أو الغضب ، فنفس ذلك الإنسان الفاسق والسكّير ، عندما يقع صريع المرض ، نجده يذكر الله في تلك الحال ، ويذكر كم ارتكب من الذنوب وخالف أمر خالقه ! .

أو نجد ذلك الذي فقد أمواله يقول آه مما أخذت من أموال الناس في المعاملات وغير ذلك .

فعليكم أن تتنبهوا إلى حضور الله الدائم معكم . لكي يرباكم هو أيضاً .

* * *

الفصل الثاني

الشروط التي يجب توفّرها في النبي

العصمة شرط أساسي في الانبياء. (ع) :

يجب أن تتوفر عدة شروط في ذلك الإنسان الذي يدّعي النبوة ، ويقول بأنني سفير ومندوب من قبل الله ، بحيث إذا فقد أحد تلك الشروط ، ينتفي وجوب إطاعته في نظر العقل .

الشرط الأول : لمن يدّعي النبوة هو العصمة . يعني أن السفير عن الله يجب أن يكون معصوماً من جميع الذنوب الكبيرة منها والصغيرة ، قبل النبوة أو بعدها . لأنه جاء يقول للناس : لا تعصوا الله ، فلو كان هو يعصي الله ، أو كانت له سابقة من ذنب أو معصية فإن العقلاء لن يتبعوه ، فينبغي أن يكون طاهراً ومنزهاً ليتمكن تطهير الآخرين وتزكيتهم ويكون بحيث لم يشاهد منه ذنب من أول عمره إلى آخره .

محمد (ص) الأمين قبل النبوة :

وكما ورد عن أحوال رسول الله (ص) قبل اعلان دعوته ، حيث جمع في البداية أهالي مكة وشيوخ قريش وقال لهم^(١) : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكتتم تصدقوني ، قالوا نعم أنت عندنا غير متهم وما جرّبنا عليك كذباً .

قال : فإنني نذير لكم بين يديّ عذاب شديد ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد

(١) تاريخ الطبري ٢/٢١٦ . دار الكتاب اللبناني - بيروت .

مناف ، يا بني زهرة ، يا بني تميم ، يا بني أسد ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين
وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله .

فقد كان معروفاً بمحمد الأمين حيث كانوا يودعون عنده الأمانات ، فلو كانوا قد
شاهدوا منه ذنباً معيناً لقالوا له فوراً : أنت ذلك الشخص الذي فعلت ذلك الفعل القبيح
فكيف تنهاننا عن المعاصي وتأمرونا بالتقوى .

فلذلك أخذوا يتهمونه باتهامات أخرى من قبيل الشاعر والساحر والمجنون .

ولذلك قال له أبو لهب^(١) : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا !

فقد رأوا أنه لا يمكنهم ترك ٣٦٠ صنماً والعيش بدونها ، فهل يمكن ترك جميع هذه
الآلهة لعبادة آله واحد ؟ فلذلك أجابه برشقه بالحجارة .

يجب أن يكون النبي أفضل من جميع الناس :

الشرط الثاني : من شرائط النبوة ، هو أن يكون أفضل من جميع أولئك الذين ارسل
إليهم وأعلم وأفضل من جميع أفراد أمته . فلو كان هناك من يساويه في الفضل ، فإن نبوته
تكون عديمة الفائدة ، لأن من يبعث لإرشاد مجموعة من الناس ، يجب أن يكون أفضلهم
ليحق له هدايتهم وإرشادهم إلى الطريق الصحيح ، ولو كان هناك مساو ونظير له
لاستحق النبوة أيضاً ، فكيف لو كان هناك من هو أفضل منه ؟ ففي هذه الصورة يكون
ترجيح للمفضول على الفاضل ، وهو باطل بحكم العقل ، حيث يكون صاحب الفضل
القليل أو الجاهل مرشداً وهادياً لصاحب الفضل الكثير أو العالم ، وهو قبيح عقلاً .

يجب ألا تكون أعمال وأقوال النبي خلاف العقل :

الشرط الثالث : من شرائط النبوة ، هو أن لا تكون أقوال وأفعال من يدّعي النبوة
مخالفة للضروريات العقلية ، يعني أن العقل السليم يجب أن يقبل ما يقوله ، لأنه لو كان
ما يقوله مخالفاً للبديهيات العقلية فسوف لا يتبعه العقلاء اطلاقاً ، ومثال ذلك ما في عقائد
اليهود والنصارى من الأمور الخرافية المخالفة لحكم العقل ، ونحن على يقين من أن ذلك

(١) المصدر السابق .

لم يصدر من النبي موسى أو عيسى إطلافاً ، وكنموذج على ذلك :

الاقنيم الثلاثة مع القول بالوحدة :

فالنصارى يقولون بأن الله تعالى ثلاثة : عيسى ومريم وروح القدس . وبعض الأحيان يقولون : إن الثلاثة قد صارت شيئاً واحداً ، ولكن الثلاثة لا تتلاءم مع الواحد في نهاية الأمر ، فهل أن الله واحد أو ثلاثة ؟

ولا يمكن أن يكون واحد وثلاثة في نفس الوقت . وقد تبين في بحث التوحيد من هذه السلسلة ، بأن الله واحد ولا يمكن أن يكون له شريك .

وكيف يمكن أن يكون عيسى - الذي يأكل وينام - في مقام الآلهة ؟

وما هو الرابط بين مريم التي كانت بشراً اعتيادياً ثم ماتت بعد ذلك ، وبين مقام الربوبية ؟ فالاعتقاد بالتثليث خلاف البديهة العقلية ، فالمسيح (ع) مع ما له من مقام النبوة الشامخ ، لم يستنكف أن يكون عبداً لله ، فعيسى أيضاً مخلوق ومرزوق من قبل الله ، وحاله كسائر الأنبياء إذ كلهم عبيد لله لا أنه في مستوى الله تعالى .

وعلى كل حال ، يجب أن يكون الكلام الذي يقوله الرسول غير مخالف لحكم العقل .

محمد (ص) خاتم النبيين :

ومثال آخر على ذلك ، لو أن أحداً ادّعى بأنه نبي في هذا الزمان ، يعني بعد وفاة خاتم الأنبياء (ص) فلا يكون جوابه سوى أن يصفعوه على فمه ولا ينظر في دعواه أبداً ، لأن ادّعاء النبوة بعد رسول الله (ص) خلاف الضرورة ، والضرورة تعني البديهة ، عيناً كما لو قال شخص بأن الآن هو ليل في حين أنه نهار ، فسوف لا يطالبه أحد بدليل على ذلك . وإنما يحكمون بحماقته أو سفاهته أو جنونه .

فمحمد (ص) هو خاتم الأنبياء ، وقد ختمت به النبوة . إضافة إلى صرح الآية القرآنية في هذا المجال^(١) .

(١) هي الآية ٤٠ من سورة الاحزاب .

وقد ورد في الحديث الشريف المشهور بحديث المنزلة^(١) : والذي هو من الأحاديث المتواترة أيضاً : أن رسول الله (ص) قال لأمير المؤمنين (ع) « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » . وفي الحديث الآخر ورد أنه (ص) طابق بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال : « أنا والساعة كهاتين » يعني أننا لا نفصل ، وأن ديني باقي إلى يوم القيامة . وورد عن أهل البيت (ع) :

« حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة » .

وأذكر لكم - من أجل تنوع الحديث - قصة أحد الأشخاص الذين ادَّعوا النبوة والتي وردت في كتاب رياض الحكايات .

سحر ابن المقنّع وانتحاره :

فقد كان ابن المقنّع من جملة الذين ادَّعوا النبوة ، وكان رجلاً قبيح الوجه ، يضع قناعاً من الذهب لكي لا ينفر الناس منه .

وقد كان ساحراً عجيبيّاً حيث كان يذهب إلى بئر خارج حدود قبيلته عند غروب الشمس ، ويخرج من البئر قطعة من النور بمقدار شبر مربع واحد ثم يمحوها بعد ذلك .

وقد تمكن هذا الرجل من الإستيلاء على القلعة وجمع حوله بعض المغرور بهم وبعض الأوباش الذين سلكوا مسلكه ، واستفحل خطره وشاع صيته في ذلك الزمان ، حتى أن السلطة في ذلك الوقت لم تتمكن من التغلب عليه ، إلى أن صمم الخليفة في بغداد بصورة جدية أن يقضي نهائياً على ابن المقنّع ، فأمر أن يجهز له جيش كبير ، وتمكن من محاصرة القلعة حيث كان يتحصن .

وعندما رأى هذا الملعون أن المقاومة عديمة الجدوى ، وليس له وسيلة سوى التسليم ، قام بتسميم الماء الجاري للمدينة ، وبذلك قتل جميع من كان فيها ، ثم ألقى بنفسه في حوض التيزاب ومات فيه .

وبعد أن دخل جيش الخليفة إلى المدينة ، رأوا أن جميع الناس موتى ، ولم يعثروا

(١) دلائل الصدق للمظفر ٢/٢٥١ - المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف .

لابن المقنع على أثر ، وشاهدوا حوض التيزاب وقد بانت فيه بعض الشعيرات لرأس ابن المقنع ، ثم أخبرتهم عجوز كانت ما زالت حية بأن ابن المقنع قد انتحر فيه .

الفرقة الضالة والضلال الحقيقي :

وقد أشرنا إلى بعض الروايات والآيات الواردة في خاتمية رسول الله (ص) للنبوّة . وهذا أمر من المسلّمات التي لا تحتاج إلى نقاش ، حيث إن النبوّة انتهت بعد وفاة محمد (ص) ، لكن بعض الأشخاص الضالين قالوا بنبوّة ابن الميرزا رضا الشيرازي ، وكان البعض يعتقد بأنه رجل مجنون ، ثم إن بعض الناس اتبعوه بعد وفاته وسلكوا طريقه .

وكل عقائدهم مبتنية على ١٩ أصلاً ، ولعل ذلك كان بعدد زبانية جهنم حيث أنهم تسعة عشر^(١) .

في حين أن عدم مجيء نبي بعد محمد (ص) من الضروريات ، وقد أخبر بذلك جبرائيل الذي حضر عند رسول الله (ص) ساعة احتضاره ، وقال بأن هذا آخر نزولي إلى الأرض .

نهاية الوحي والنبوّة :

وطبعاً فإن ذلك لا ينافي نزول جبرائيل إلى الأرض بعد ذلك ، كما ورد في المقاتل ، بأنه جاء إلى الرمح الذي كان يحمل رأس الحسين وأقام عليه العزاء ، حيث أنه لم ينزل إلى الأرض بعنوان الوحي مطلقاً ، وقد ورد في الروايات ، بأنه يأتي مع سائر الملائكة إلى قبر الحسين (ع) .

كما ورد في الروايات نزول عيسى إلى الأرض وصلاته خلف الإمام المهدي (ع) ، ولكن لا بعنوان أنه نبي ، حيث أنه لا ينزل وحي بعد وفاة خاتم الأنبياء (ص) ولا يبعث أحد بعنوان أنه نبي .

* * *

(١) كما صرّحت بذلك الآية ٣٠ من سورة المدثر .

الفصل الثالث

المعجزة والنبوة

لا طريق الى السهو والخطأ عند الانبياء .

ومن جملة شرائط النبوة ، هو استحالة السهو والخطأ على النبي ، فلو جاز أن يخطئ النبي أو الإمام المعصوم ، فكيف يمكن الإعثناء بكلامه ، حيث يحتمل السهو في كل كلام يقوله ، وبعد ذلك يقع التردد في اتباعه ، لذلك قلنا بوجود المناقاة بين الخطأ والإشتباه وبين مقام النبوة بحكم العقل .

فالمعصوم هو ذلك الإنسان المحفوظ من هذه الأمور ، إضافة إلى ذلك ، أن لا يصدر منه أي ذنب سواء الصغير والكبير ويكون في أمان من الخطأ والنسيان والإشتباه .

المعجزة دليل صدق النبي .

عندما يريد البعض أن يرسل أحداً في مهمة ، فلا بد أن يزوده بعلامة تشهد بصدقه ، وهو أمر متعارف عليه منذ القديم وإلى الآن .

فمثلاً عندما يبعث السلطان شخصاً ليكون حاكماً على المدينة الفلانية فإنه يبعث معه كتاباً بخطه وامضائه لكي يفهم أنه صادق ، وأنه مبعوث من قبل السلطان ، وإلا فيمكن ألا يقبلوا كلامه المجرد ، ويطالبوه بدليل يثبت أنه مبعوث من قبل السلطان حقاً .

فكيف بالشخص الذي يدّعي أنه رسول من رب العالمين وخليفة الله ومرسل ومندوب من قبله سبحانه إلى أهل الأرض ؟

موقف العقلاء من يدّعي النبوة :

فالعقلاء ينظرون ابتداءً في وضعية كل من يدّعي النبوة ، ليروا أنه أهل لذلك الإدعاء أم لا ؟

فيمكن أن يكون حاله كالأخرين ، لكن النيابة عن الله لا تجتمع مع المكر والخديعة وجمع الأموال واتباع الشهوات ، فالإنسان الذي يدّعي النبوة يقول بأنني شخص روحاني ، فعندما يكون معروفاً بحب الدنيا وليس له من همّ فيها إلا جمع الأموال فإنه يكذب نفسه ولا يلتفت أحد لإدعائه .

كذلك عندما يرى الناس أنه شخص نزيه ولا يطلب لنفسه مالاً أو منصباً معيناً ، وغير تابع لشهواته ، فعند ذلك يسألونه بأنك عندما تقول إنني مبعوث من قبل الله عز وجل ، فما دليلك على ذلك ؟ وبأي شيء يمكننا أن نطمئن بأنك رسول من رب العالمين ؟

الأمور الخارقة للعادة فرع لقدرة الحق تعالى :

والله سبحانه وتعالى يزوده بشيء من مظاهر قدرته ، ليكون شاهداً على صدق ادعائه ، ويمكنه بهذه القدرة أن يحطم الأسباب والقوانين الطبيعية . ومثل ذلك معجزات الأنبياء من قبيل إحياء الموتى ، أو ارجاع البصر إلى الأعمى منذ الولادة بالنسبة إلى المسيح (ع) ، والأعمال التي يعجز الآخرون عنها . أو شق القمر إلى نصفين بالنسبة إلى خاتم الأنبياء (ع) كما ورد عنه (ص) ، وما هو صريح القرآن الكريم وغيرها .

فأي إنسان عادي يمكنه أن يجعل الحصى تنطق في يده ؟ وأي إنسان يمكنه أن يجعل الشجرة تسير ، ويسيل الماء من أطراف أصابعه ويطعم الطفل حليباً من لسانه ؟

وقد وردت هذه بأجمعها عن رسول الله (ص) . فعندما ولد الإمام الحسين (ع) جاء إليه رسول الله (ص) ووضع لسانه في فمه وكان الحسين يرضع من لسانه حتى يشبع .

المعجزة تعنى عجز الآخرين عن الإتيان بمثل ذلك :

المعجزة تعنى خلاف العادة ، وهي الفعل الذي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله ،

لأن شيئاً من قدرة الحق تعالى معه ، وليس للآخرين ذلك ، فلذلك يضطرهم إلى الإعتراف والإقرار بصدقه فيما يدّعيه .

والمعجزة لها عدة أقسام ، فمنها ما يختص بنفس زمان ذلك النبي ، ومنها ما تكون باقية بعده أيضاً .

ولجميع الأنبياء (ع) معاجز قد وصلت إلينا بالتواتر ، وأيضاً ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى بعضها ، كإقلاب عصى موسى إلى ثعبان واليد البيضاء عندما كان يدخل يده في جيبه ويخرجها وهي مميزة بنور ساطع .

وقد انتهت معجزة موسى معه عند وفاته ، حيث لم تكن حاجة لبقائها لأن نبوته قد ثبتت بهذه المعجزات .

وقد كان عيسى (ع) يحيي الموتى ، وكان يبرئ الأعمى والأصم والأبكم عندما كان بين الناس ، وأثبت بذلك نبوته وقد انتهت معجزاته مع ذهابه .

المعجزة الباقية للدين الخالد :

فالمقصود ، هو أن شرط النبوة ليس بقاء المعجزة بعد مدّعيها حتماً ، أما بالنسبة إلى رسول الله (ص) ، فهو إضافة إلى امتلاكه لسائر معجزات الأنبياء ، فقد ظهرت منه أربعة آلاف معجزة غير القرآن الكريم ، وضبطت الكثير من تلك المعاجز ووصلت إلينا خصوصاً ما كان قد وقع منها في زمانه .

وقد خصه الله عز وجل بمعجزة خالدة ، لم يكن عند جميع الأنبياء (ع) مثلها وهي باقية حتى قيام الساعة .

فقد رأى معجزات الأنبياء عدد من الأشخاص وانتهت ، لكن هذه المعجزة باقية بين الأيدي وعلى الألسن وفي القلوب وهي « القرآن العظيم » ، فقد شاء الله عز وجل أن يظهر شرف هذا الإنسان الكريم ، وحيث إن دينه باقٍ إلى قيام الساعة فقد جعل معجزته الباقية هي القرآن ، فأَي شخص أراد أن يفهم الشاهد على صدق محمد (ص) في ادعائه النبوة ، فيمكنه النظر إلى هذا القرآن الكريم .

فاتنوا بسورة من مثله :

القرآن الكريم معجزة من عدة جهات ، وقد تحدى الآخرين بنفسه حيث لم يستطع أحد الإتيان بمثله .

وقد جاء به إنسان أمي لم يذهب إلى مدرسة أو كتاب ، ولم يدرس شيئاً ، لكنه جاء بهذا القرآن من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس ، حيث انزله الله على قلبه الشريف .

وقد ورد في تفسير الآية الكريمة : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾^(١) . كما جاء في بعض التفاسير ، إن الضمير في « من مثله » راجع إلى محمد (ص) ، يعني إن أمكنكم أن تأتوا بقرآن من شخص لم يذهب إلى مدرسة ولم يدرس شيئاً مثل محمد (ص) بين أناس جهلاء ، فافعلوا .

الكتاب العظيم الذي لا تجد فيه سوى الحق والحقيقة من أوله إلى آخره ، القرآن الكريم الذي يتضمن جميع العلوم بشكل عام واجمالي ، حيث ترى فيه كل ما يخطر على فكرك من العلوم .

جواب الإمام الصادق (ع) إلى الطبيب الهندي :

جاء أحد الأطباء الهنود إلى الإمام الصادق (ع) وقال : إن قرآنكم يقول : ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾^(٢) ، فهل ورد فيه شيء من علم الطب ؟ فقال الإمام (ع) : نعم وهو قوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾^(٣) . وهكذا نرى أن القرآن يرشدنا إلى طريق السلامة بكلمة مختصرة وهي (لا تسرفوا) .

المعنى الواسع لكلمة الإسراف :

يجب معرفة معنى الإسراف كما وكيفاً ، ليتضح المقصود من الآية الشريفة . فمن

(١) البقرة / ٢٣

(٢) الانعام / ٥٩ .

(٣) الأعراف / ٣١ .

جملة الإسراف في الأكل عدم مضغه بصورة جيدة والسرعة في الأكل ، وأيضاً أكل الطعام الحار جداً والبارد جداً والذي هو خلاف تعاليم الطب .

وعلى أي حال ، فإن الطبيب الهندي قال للإمام (ع) هل قال نبيكم شيئاً في هذا المجال ؟ فقال الإمام الصادق (ع) :
- بلى قال نبينا (ص) « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » .

سلامة الجسم ببركة الصوم :

والواقع أن الأمر كما ذكر ، وقد أثبت ذلك علم الطب في هذا الزمان أيضاً .
والصوم أيضاً كذلك ، فكم هو مؤثر في سلامة البدن حيث يقول القرآن عنه :
﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾^(١) وقد ورد أيضاً في الحديث النبوي المشهور : « صوموا تصحوا » .

وطبعاً لا ينبغي أن يكون الصوم بقصد الصحة ، وإلا فإنه لا يجتمع مع قصد القربة ويكون باطلاً ، ولكن يجب أن يعلم ما للصوم من الفوائد المؤثرة في سلامة البدن .
وبالصوم يستعيد البدن نشاطه وسلامته ، إضافة إلى تطهير الروح أيضاً . والمنشأ لأكثر الأمراض هو المعدة ، وعلاجه هو أن يترك المعدة خفيفة لعدة ساعات للإسترخاء .

الاستمرار على ما تعوّد عليه الجسم :

والجملة الأخرى التي قالها رسول الله (ص) في هذا المجال ، والمذكورة في رواية الإمام الصادق (ع) في حديثه مع ذلك الطبيب الهندي :

« وأعط كل نفس ما عُوذَتْه » . وكما جاء في المثل : « إن ترك العادة يوجب المرض » . فقال الطبيب « لا طب إلّا طبكم » ، يعني أن روح الطب ومخه في هاتين الكلمتين ، الأولى هي الآية الكريمة ، والأخرى في هذا الحديث النبوي الشريف .

اتحاد الكواكب والإجرام السماوية مع الأرض سابقاً :

فالمقصود هو ذكر نموذج من وجوه اعجاز القرآن الكريم في العلوم المختلفة الكامنة بين طياته بنحو الإجمال .

(١) البقرة / ١٨٤

وقد كتب المرحوم فخر الإسلام ، عدة مجلدات في هذا المجال باسم (بيان الحق) ، و « أنيس الأعلام » ، وذكر في المجلد الرابع من بيان الحق - وهو الموضوع الذي أصبح أخيراً من الأمور اليقينية - بأن الأرض وجميع الكواكب كانت متحدة ثم انفصلت بعد ذلك ، حيث ذكر ذلك القرآن الكريم في الآية الشريفة : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ ﴾^(١) .

دوران جميع الأجرام السماوية :

وقد ثبت في علم الفلك الحديث ، أنه لا يوجد في العالم كوكب ساكن ، ولا أساس لما كان يقال في السابق من تقسيم الكواكب إلى ثابتة وسيارة بل الصحيح هو عدم وجود كوكب ساكن في هذا العالم اللامتناهي ، وقد صرح العلماء في السنوات الأخيرة ، بأن عدد النجوم يصل إلى ثلاثمائة مليون نجم ، ولكنهم الآن يظهرون العجز عن احصائها .

وقد صرح بذلك القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢) . ومعناه عدم وجود كوكب ساكن وإنما لكل كوكب مداره الخاص الذي عيّنه الله عز وجل لحركته ودورانه ، في حين أن السوارد في علم الفلك عن بطليموس ، أن الفلك الثامن من الثوابت ، ويقولون بأن الكواكب فيه ساكنة ، لكن القرآن الكريم يثبت بطلان ذلك ويقول بحركة جميع الكواكب .

حركة المجموعة الشمسية باتجاه « وكا » :

ومن جملة الإكتشافات الجديدة التي أصبحت من المسلّمات ، هو أن الشمس وجميع سياراتها تتحرك باتجاه كوكب عظيم (ويعبر عنه في علم الفلك الجديد باسم (وكا) ، حيث ذكر القرآن الكريم ذلك بكل صراحة بقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۖ ﴾^(٣) . فقبل فترة كان بعض الجهلاء ينتقدون الإسلام في هذه المسألة ويقولون :

(١) الأنبياء / ٣٠ .

(٢) يس / ٤٠ .

(٣) يس / ٣٨ .

المسألة أن الأرض هي التي تدور حول الشمس فلماذا قال القرآن بأن الشمس متحركة .
إلى أن انكشفت هذه الحقيقة وثبت صحة ما قاله القرآن الكريم .

حركة الأرض كالمهد :

وقد ثبت في الاكتشافات الجديدة ، أن الأرض متحركة ، ولم يبق اليوم مجال للشك
والتردد في ذلك ، ولكنهم في السابق كانوا يعتقدون بما يطابق احساسهم من سكون
الأرض وحركة الشمس حولها .

ويقول القرآن المجيد حول حركة الأرض : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾^(١) .
فالأرض التي تحت أقدامنا بمنزلة المهد حيث تتحرك وينمو ما عليها من المخلوقات
بحركات منتظمة .

الجبال أوتاد الأرض :

والشيء الآخر الذي أصبح من المسلّمات ، هو أن هذه الجبال الراسخة هي السبب
في استقرار الأرض ، فلو لم تكن هذه الجبال لتلاشت الأرض لسرعة حركتها حيث إنها
تسير في الدقيقة الواحدة أربعة فراسخ . وحركة انتقالية ، وأربعة فراسخ في الثانية الواحدة
بحركة وضعية حول نفسها ، ومثتين وأربعين فرسخاً في الدقيقة حول نفسها ، لكن هذه
الجبال هي التي تقف حائلاً أمام تلاشي الأرض .

فقبل ألف وأربعمائة عام ، ذكر القرآن الكريم بأن الله عز وجل قد جعل (الجبال
أوتاداً) لإستقرار الأرض .

ويقول الإمام أمير المؤمنين ضمن خطبة له بأنه سبحانه « فطر الخلائق بقدرته ، ونشر
الرياح برحمته ، ووتد بالصخور مَيِّدَانِ أرضه »^(٢) .

وما ذكرناه كان مختصراً حول هذا الموضوع وتفصيل ذلك موجود في الكتاب
المذكور والكتب الأخرى لمن أراد المراجعة .

(١) طه / ٥٣ .

(٢) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١ / وهي التي يذكر فيها ابتداء خلق السماوات والأرض . . .

علم الفقه في القرآن المجيد :

وفي عالم الفقه أيضاً فأي حكم من الأحكام الفقهية غير موجود في القرآن ؟ وقد ذكر الشيخ الأنصاري عليه الرحمة في باب حجية خبر الواحد ، في كتاب الرسائل هذا الخبر وهو أن « عبد الأعلى » - الذي جرح أصبع قدمه وكان قد لفه بقطعة من القماش - قد جاء إلى الإمام الصادق (ع) وقال ماذا ينبغي أن أصنع ؟ يعني كيف يمكنني الوضوء ومسح ظاهر القدم مع هذا الحال ؟

فقال (ع) « إن هذا وأمثاله يعرف من كتاب الله تعالى » يعني حتى هذه المسألة موجودة في القرآن أيضاً ، وللصلاة أربعة آلاف مسألة أو أكثر وهذه إحدى مسائلها .

الحكم الدرجي غير موجود في الاسلام :

فقال : أين هو من كتاب الله ؟

فقال (ع) « وما جعل عليكم في الدين من حرج . أمسح على الممرارة »^(١) . فلا يوجد في الشريعة الإسلامية المقدسة أي حكم حَرَجِي . وهذا يعني أنه بمجرد وجود الحَرَج والصعوبة غير العادية ، فإن التكليف يسقط عند ذلك ، ومثاله الصوم ، فلو كانت فيه مشقة أكثر من اللازم لسقط وجوبه ، لأن العسر والحَرَج قد رفع في الشرع المقدس ، وكذلك البرد مثلاً ، فلو كان الوضوء يعرضه للمرض والوقوع في الشدة والحَرَج ، ولا يمكنه أن يسخن ماء وضوئه ، أو أنه كان في الصحراء أو عند هبوب الرياح ولا يمكنه أن يذهب إلى مكان يتوضأ فيه دون أن يصاب بالبرد ، ففي هذه الصورة يسقط وجوب الوضوء ويكون تكليفه هو التيمم عند ذلك .

أخذ الرهن للضمان :

الغرض هو أن كل حكم من الأحكام الفقهية موجود في القرآن بنحو كلي وإجمالي ، كأحكام البيع وأقسامه ، وأحكام النكاح وغير ذلك .

فمثلاً هناك عدة أحكام لمن أراد أن يقترض منك مبلغاً من المال وأردت أن تسلمه

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي / كتاب الطهارة / أبواب الوضوء ، الباب ٣٩ ح / ٥ .

ذلك المبلغ ، وهي مذكورة في القرآن الكريم في آخر سورة البقرة^(١) حيث يجب كتابته أولاً ، ثم الإشهاد عليه ، وإن لم يمكنه ذلك فعليه أن يأخذ مكانه رهناً « فرهان مقبوضة » ، فلا تقل أنه ثقة ويعتمد عليه ويطمأن إليه ، فلعله نسي ذلك ، أو لا سمح الله أصبح فاسقاً بعد ذلك ، أو أنه مات مثلاً فكيف يمكنك في هذه الصورة مطالبة الورثة بحقوقك ، في حين أنك لا تمتلك الدليل الكتابي أو الشاهد على ذلك ؟

لذلك لاحظ الخالق العليم جميع هذه الأمور ، وكما أشرنا سابقاً من أنه يجب أن يلاحظ في جعل القوانين عمومية الزمان والمكان ، وإحكام القرآن من هذا القبيل ، فهي لكل الناس ولجميع الأزمنة وقابلة للتنفيذ إلى قيام الساعة .
وقد بين أحكام الإرث مع كل المسائل المتفرعة والمختلفة في ثلاث آيات في سورة النساء^(٢) والتي تنفرع عليها مئات المسائل والفروع .

علم الأخلاق والسفر إلى الآخرة :

ولم يترك شيئاً لم يذكره حول علم الأخلاق ومجاهدة النفس ، فكم تحدث القرآن الكريم عن حقارة الدنيا ، وعن السير إلى الآخرة وتحصيل الإيمان والعمل الصالح .
ومع إنني لم أقرأ التوراة كثيراً ، إلا أن المرحوم فخر الإسلام يذكر في (أنيس الأعلام) ، أنه قليلاً ما تحدثت التوراة عن عالم ما بعد الموت .
والتوراة الفعلية محرّفة ، وهي ترغّب اليهود في جمع الأموال أكثر وعدم خدمة الآخرين ، وتوجههم إلى الأمور المادية وهذا نفسه يصلح شاهداً على أن هذه التوراة ليست هي التوراة الأصلية المنزلّة من قبل الله تعالى .

نموذج من آيات الآخرة في القرآن :

﴿ إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾^(٣) .

(١) هي الآية ٢٨٢ من سورة البقرة والتي مطلعها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم يمين إلى أجل . مُسَمًّى فاكثوه ... ﴾ الآية .

(٢) هي الآيات / ١١ - ١٢ - ١٧٦ .

(٣) يونس / ٤٩ .

﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾^(١) .

﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾^(٢) .

﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد

العذاب ﴾^(٣) .

وقد ذكر ما يحدث في يوم القيامة ، والمقدمات لقيام الساعة ، ومواقفها في ما

يقارب ألف آية .

كل هذه العلوم من رجل لم يدرس عند احد :

مَنْ الذي جاء بهذا القرآن الكريم الذي فيه كل هذه العلوم والمعارف في مختلف الحقول ، بحيث لا رَطْبٌ ولا يابس إلا وهو موجود فيه ؟ « من مثله » ، مثل محمد الذي لم يذهب إلى كتابٍ أو مدرسة ، ولم يحضر عند أستاذ أو مدرس .

وأنا متحير واقعاً كيف يكون النصارى واليهود في ريب من رسالة محمد (ص) ، مع أنه لم يمسك قلماً بيده وقد جاء بهذا القرآن المعجزة ؟ ومع ذلك فهؤلاء باقون في شك منه ، فهل هناك محل للشك أو الريب ؟

* * *

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) .

معجزة محمد (ص) لجميع العصور :

كان الكلام في بيان وجوه اعجاز القرآن الكريم ، وقلنا بأن من خصوصيات خاتم الأنبياء معجزته الباقية ، حيث إن معاجز سائر الأنبياء مؤقتة ومختصة بزمانهم فقط ، ويجب إثباتها بالتواتر بعد رحيلهم ، فلا يوجد نبي بقيت معجزته بعده إلا خاتم الأنبياء (ص) ، الذي خصه الله عز وجل برحمة منه ، حيث يمكن لمن أراد أن يفهم حقانية محمد (ص) في جميع الأزمنة والأمكنة أن ينظر في هذه المعجزة الخالدة .
وكذلك قلنا بأن صدور هذا الكتاب العظيم من مثل محمد (ص) ، الذي لم يذهب إلى مدرسة أو يحضر عند معلم هو إعجاز واقعاً .

أخبار القرآن الغيبية لا مثيل لها :

ومن وجوه إعجاز القرآن إخباره بالمغيبات ، والتي حدثت في الخارج مطابقة لما ذكر القرآن الكريم ، حيث اتضح صدقه في هذا الإخبار .
ويكتب المرحوم فخر الإسلام ، بأن هذا النوع من الإعجاز عجيب جداً عند الأوروبيين من أتباع الإنجيل ، لأن بقية المعجزات قد تكون ناتجة عن أسباب طبيعية ،

(١) الحجر / ٩ .

كما تمكن من ذلك بعض العلماء الماديين ، لكن الإخبار بالشيء الذي سوف يقع بعد عدة سنوات ، ثم يقع ذلك مطابقاً لما أخبر عنه غير مستند إلى أي شيء من الأسباب المادية ، فهو الذي لم يتمكن أي من هؤلاء العلماء الماديين أن يحقق منه شيئاً أو حتى يجد له تفسيراً خارج إطار الماورائيات .

الأخبار الغيبية عن الحوادث المستقبلية :

وقد قسموا الأخبار الغيبية في القرآن المجيد إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأمور التي أخبر عن وقوعها وقد وقعت فعلاً ، وقد ذكر المرحوم فخر الإسلام ثلاثين خبراً من هذا القسم من الأخبار الغيبية في ثلاثين آية من القرآن الكريم ، وأذكر لكم عدة آيات منها للتبرك ، مع شرح مختصر لكل واحدة منها .

لا يمكنكم الاتيان بمثل هذا القرآن :

أحد الأخبار الغيبية في القرآن ما ورد في سورة البقرة :

﴿ فَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ - مِنْ حَيْثُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالِإِشْتِمَالِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعُلُومِ فِي حِينَ أَنَّهُ مِنْ شَخْصٍ مِثْلِ مُحَمَّدٍ (ص) الَّذِي لَمْ يَذْهَبْ إِلَىٰ مَدْرَسَةٍ - وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) .

ثم يصرح : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ إذن فاعلموا أن محمداً (ص) على الحق وأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل .

وهنا ينبغي أن نذكر عدة ملاحظات ليتضح المطلوب أكثر .

القرآن الكريم موجود دائماً :

فهذا القرآن موجود ومتوفر دائماً ، ولم يكن يوماً مخفياً على أحد ، فقد أمر رسول الله (ص) منذ أيام صدر الإسلام بنشر القرآن الكريم . بل يجب على كل مسلم أن يحفظ مقداراً منه عن ظهر قلب ، وبما أن وسائل الكتابة من قلم وأوراق وطباعة لم تكن متوفرة في ذلك الوقت ، فالتركيز كان في الدرجة الأولى مُنصَّباً على الحفظ ، وفي الدرجة الثانية على كتابته على الجلد والخشب والألواح ، ثم يتم الاستنساخ على تلك النسخة

التي تم تصحيحها في مسجد النبي (ص) .
إذن فلا ينبغي أن يتصور أحد أنهم قد أخفوا هذا القرآن ثم قالوا من يستطيع الإتيان
بمثله أو سورة منه ؟ فهو ليس مثل التوراة التي أنزلت على اليهود والتي أخفوها في صندوق
خاص لكي لا يراها أحد ولا تصل إليها يد إنسان .

عليكم الإتيان بسورة واحدة بحل هذا الخداع :

ويكتب المرحوم فخر الإسلام :
أيها الأوروبيون ، ويا قساوسة النصارى ، ويا من تجمعون الأموال الطائلة لتبليغ
الدين المسيحي وبناء المستشفيات للترغيب بالنصرانية (وطبعاً هذا الكلام مربوط بزمان
الشاه ناصر الدين القاجاري) ، حيث تبعثون إلى إيران مبلغاً بحدود خمسمائة كرور
(الكرور هو مئتان وخمسون مليون تومان في ذلك الزمان) .

أيها النصارى إذا كان حقاً ما تقولون ، فلا تتبعوا أنفسكم وتنقلوا تلك الأموال الطائلة
إلى إيران وغيرها من المناطق ، فأنتم الذين لديكم كل هذه الوسائل والكتب ، فلماذا
تتبعوا أنفسكم في كتابة كتب الهداية والميزان وغيرها من الكتب لترغيب الناس
بالنصرانية ، بل عليكم أن تكتبوا سورة واحدة مثل القرآن بدل كل هذه الكتب والأموال ،
ولا أقول أنها مثل سورة البقرة ، وبذلك التفصيل ، بل سورة واحدة مثل سورة التوحيد
والكوثر ، لكي يتبعكم جميع المسلمين .

ولكن الله عز وجل أخبر بأنه من المحال الإتيان بسورة واحدة من مثله (ولن تفعلوا)
فلا يمكنهم الإتيان بمثل هذا القرآن العظيم إلى يوم القيامة .
وأعداء الإسلام كانوا موجودين في جميع العصور وقد بذلوا جهدهم في الإتيان بمثل
القرآن ، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك وعجزوا عنه وغُلبوا على أمرهم .

أفصح العرب يعلن عن عجزه :

وذكروا بالنسبة إلى عبدالله بن المقفع ، الذي كان أفصح من امرئ القيس في
عصره ، بأنه اتفق مع اثنين من زملائه على أن يأتوا بسورة مثل سور القرآن ، فذكروا أنه
ذهب إلى بيته وبقي فيه ستة شهور ، وبذل جهده لكي يأتي بمثل هذه الآية : ﴿ وقيل
يا أرضِ ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي غيظ الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل

بعداً للقوم الظالمين ﴿١﴾ والتي تحكي عن قصة طوفان نوح (ع) .

فكان يبدل الكلمات والعبارات ، لعله يأتي بهذا المعنى بألفاظ وعبارات أخرى ، لكنه لم يتمكن من ذلك أبداً ، وتركها في النهاية . وكذلك كان حال رفيقه حيث أظهر عجزهما عن ذلك أيضاً .

بل إن فصحاء العرب ، الذين كانوا يعلقون أشعارهم على جدران الكعبة افتخاراً (المعلقات السبع) قاموا بإنزالها بأنفسهم عندما نزل القرآن الكريم في صدر الإسلام ، حيث لا كلام فصيح مع مجيء القرآن ، فأى كلام يمكن أن يقال إنه فصيح وبلغ في مقابل القرآن الكريم ؟

إذن ، فأحد أخبار القرآن الغيبية ، هو أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بمثل القرآن ، بل يقول في آية أخرى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٢) .

هزيمة جيوش الكفار :

ومن جملة الأخبار الغيبية في القرآن الكريم ، تلك البشائر التي كانت تنزل على قلب محمد (ص) لتسليته ، في فترة كان فيها وحيداً وغريباً بين أناس همجيين ومتوحشين ، تلك البشائر التي تحقق بعد ذلك ، ومنها :

﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (٣) .

فسوف تهزم جميع هذه الجيوش التي تجمعت أمامك ، مهما تألفت الأحزاب واتحدت الفرق واجتمعت على حربك .

وهذا الخبر ينزل على رسول الله (ص) ، في حين أنه كان وحيداً في قومه ، وقد يضطر في بعض الأحيان إلى الإختفاء .

(١) هود / ٤٤ .

(٢) الاسراء / ٨٨ .

(٣) ص / ١١ .

رجوعك مرة أخرى الى وطنك :

ومن الأخبار الغيبية في القرآن الكريم ، ما ورد في زمان هجرة النبي (ص) من مكة المعظمة إلى المدينة المنورة ، عندما اجتمع أربعون رجلاً من قبائل مختلفة على قتله ، فاضطر إلى الخروج من مكة في حين كان قلبه الشريف مليئاً بالهم والحزن لأنه يريد الخروج من هذا المكان المقدس ، الذي فيه بناء جده إبراهيم (ع) وإسماعيل (ع) ، فالتفت إلى تلك المدينة المقدسة وقال : يا بلد الله ويا بيت الله الحرام ، أنا لم أترك مختاراً ، فنزلت هذه الآية الشريفة وهذه البشارة فوراً ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ يعني إلى مكة المكرمة .

فكم كان هروبه مصحوباً بالخوف ، وكيف رجع بعد ذلك بكل عز وقوة وهزم قريشاً وانتصر عليها ؟ !

إن الله يحفظك من الأعداء :

ومن جملة الأخبار الغيبية في القرآن الكريم ، هو الحفظ والعصمة الآلهية بالنسبة إلى حبيبه محمد (ص) .

فقد أخبره منذ بداية البعثة ، بأنهم لا يمكنهم أن يقتلوك ، وقد صرح بذلك أيضاً في أواخر عمره الشريف ، بعد أن أمر بإبلاغ ولاية علي (ع) بأن الله يعصمك من الناس ويحفظك من شرهم .

وينبغي أن نوضح لكم وضع رسول الله (ص) وحاله في بداية البعثة ، وفي آخرها ، لتضح أهمية هذه المسألة .

لقد كانت مكة المعظمة مليئة بالقبائل المتخلفة ، فالقانون الحاكم هو منطق القوة وشرعية الغاب ، فلم يكن هناك مجتمع أو حكومة أو قانون أو دين ، فلا أهمية عندهم لقتل الآخرين خصوصاً لأولئك الذين لا يوجد لديهم من يحميهم بحسب الظاهر ، ويدافع عنهم ، مثل محمد (ص) إلا أن يكون له قوم وقبيلة وأموال كثيرة .

محمد (ص) اليتيم والفقير :

فلو كان رئيس قبيلة ، أو كان له قوة بحسب العدة والعدد ، فيمكن أن يمتنعوا عنه ،

أما لو لم يكن له مال أو قوة في العشيرة ، فإنهم لا يهتمون به خصوصاً فيما لو خالفهم فإنهم يقتلونه على الفور .

ولم يكن محمد (ص) يملك أي شيء ، اللهم إلا ما تركته له أمه آمنة (رض) وهو جارية تكنى بأم أيمن وقد اعتقها أيضاً في سبيل الله .

أما من جهة القبيلة ، فقد وقفت قريش نفسها في قتاله بما في ذلك أقرباؤه وهم بنو هاشم ، حيث لم يساعده منهم أحد إلا أبو طالب وأولاده ، بل إن بعضهم كأبي لهب ، كان يؤدي رسول الله (ص) ، ويضرب رجله بالحجارة بحيث كان الدم يسيل من قدمه المباركة .

إذن فبحسب الظاهر ، لم يكن له من يعتمد عليه بين هؤلاء القوم المتوحشين .

الاستخفاف بمقدسات المشركين :

وفي نفس الوقت ، كان يستهزئ بجميع مقدسات المشركين ويفضح أباطيلهم ، ويستخف بأصنامهم ، فكيف تعبدون أصناماً تصنعونها بأيديكم ؟ فكان يدعو إلى التوحيد في رسالته ، حيث كان ذلك مخالفاً لما هم عليه ، لذلك احتالوا لقتله ، لكن « الله يعصمك من الناس » ، فمع أنهم اجتمعوا على قتله إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك .

يا من يرحم أعداءه :

يقول أبو جهل ، بأني صممت على الذهاب إليه في منتصف الليل لأضرب رأسه بحجر كبير واقتله .

وحمل أبو جهل حجراً كبيراً ، وجاء إلى رسول الله (ص) وبينما كان رسول الله ساجداً ، أراد أن يلقيه على رأسه ، لكن جبرائيل أشار إلى الحجر فحدثت فجوة في ذلك الحجر ، ووقع على رأس أبي جهل وأحاط برقبتة ، وقد كان رأسه كبيراً كراس الثور ، فأخذ يجأر ويحاول انقاذ نفسه حتى اضطر للتوسل برسول الله (ص) وقال : اغثنني يا محمد .

فقام رسول الله (ص) إليه ، ورفع الحجر من رقبتة بيده المباركة . بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، كيف يمكن أن تترك محبيك محرومين وأنت الذي تعطف على أعدائك .

حمالة الحطب لم تشاهد النبي (ص) ،

ولم يكن أبو جهل وحده في الميدان ، وإنما كانت زوجة أبي لهب وهي حمالة الحطب ، فقد كانت امرأة شريرة جداً ، وقد صممت على قتل النبي (ص) فكانت تتبع رسول الله (ص) لعلها تجده في مكان بمفرده . إلى أن أُخْبِرَتْ يوماً بأن محمداً (ص) موجود بمفرده في بيت أبي بكر ، فحملت رمحاً ودخلت بيت أبي بكر دون استئذان ، إلا إنها لم تشاهد رسول الله (ص) بالرغم من بحثها عنه ، فمع أنها كانت تمر من أمام النبي (ص) ، إلا أن الله عز وجل جعل على عينها غشاوة فلم تر رسوله (ص) ، وسألت أبا بكر : هل يوجد غيرك في المنزل ؟ فقال : لو كان لبان .

المؤامرة الفاشلة في دار الندوة ،

ومن الموارد الأخرى للحفظ الآلهي وانجاز الوعد القرآني ، هو إحباط المؤامرة التي خططت في دار الندوة^(١) .

فقد اجتمع كبار المشركين في دار الندوة ، وكان خلاصة بحثهم ، هو أننا ضيقنا ذرعاً بمحمد ؛ ويجب علينا أن نقتله ، وأكد آخر على ذلك ، وقال لكن يجب أن يكون القتل سراً لكيلا يعلم بنو هاشم ، ويقع نزاع بسبب ذلك حيث يطالبون بدمه . وقال آخر : احبسوه في الحديد ، واغلقوا عليه باباً ثم ترَبَّصُوا به من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم » .

لكن الشيطان الذي كان حاضراً معهم بصورة شيخ نجدي قال : بأن هذا الرأي غير صائب لأن بني هاشم سوف يهبون لمساعدته وإخراجه من ذلك السجن .

فقال آخر لناخذ محمداً إلى خارج مكة ونربط يديه ورجليه إلى بعير ، ونتركه يسير به في وسط الصحراء ، حيث يموت في نهاية الأمر جوعاً وعطشاً .

فقال الشيطان ، يعني ذلك الشيخ النجدي ، إن هذا الرأي أيضاً غير مقبول ، حيث

(١) راجع قصة هذه المؤامرة في السيرة النبوية لابن هشام ١٢٤/٢ وما بعدها . دار إحياء التراث العربي - بيروت .

يمكن أن يراه بعض الأشخاص في الصحراء ويعلق قلبهم بسحر بيان محمد (ص) الذي يعشقه كل من يرى جميل بيانه وحلاوة كلامه .

النبي (ص) يهاجر من مكة :

فقال الشيطان : إن الحل الصحيح هو أن يجتمع أربعون نفرًا من أربعين قبيلة ويقتلوه سوية ليذهب دمه هدرًا ، وليشترك في ذلك رجل من نفس بني هاشم أيضاً مثل أبي لهب .

فقال الجميع أحسنت وأجذت ، واتفقوا جميعاً على تنفيذ هذه الخطة ، وقد وضعوا العيون على بيت النبي (ص) من أول الليل ، لكي لا يفهم أحد بذلك ، وقد هموا بقتله من أول الليل ، إلا أن أبا لهب منعهم من ذلك وقال لهم اصبروا حتى تقتلوه عند الفجر (وقد كانت مشيئة الله هكذا وجرت على لسان أبي لهب) .

فما كان منهم إلا أن حاصروا المنزل ، وانتظروا إلى الصباح ، فنزل جبرائيل وأخبره بما عزم عليه القوم ، وبلغه أمر الله له بالهجرة إلى المدينة وأن يضع علياً مكانه لينام على فراشه وأن يقوم برد جميع الأمانات التي عنده إلى أصحابها وأن يستخلفه على ابنته فاطمة (ع) .

وهنا يتضح الحفظ الإلهي وكيف أنقذ الله رسوله من بين أربعين سيف مسلول ، كما حفظه أيضاً فيما بعد كما سيتضح في بقية هذه الحادثة .

علي ينام في فراش النبي (ص) :

فلما أصبح الصباح ، هجموا على دار النبي (ص) ، فقام علي (ع) من فراشه فتوقف الجميع مذهوشين ، وسألوه أين محمد (ص) ؟ فقال (ع) هل أودعتموه عندي ؟

فقال أحد منهم لنقتله على الأقل ، فبمجرد أن رفع سيفه أمسك أمير المؤمنين بيده فسقط السيف من يده وسقط هو أيضاً ، فقال الآخرون : يا علي لا نزاع لنا معك قل لنا أين محمد (ص) ؟ فقال لقد أخذه الله .

فذهبوا في طلب الرسول (ص) ، واصطحبوا معهم أحد الأعراب ، وكان خبيراً في اقتفاء الأثر ليرشداهم إلى مكان النبي (ص) وتمكن أخيراً من العثور على أثر قدمه (ص)

وبعد ذلك عثر على أثر أقدام أبي بكر الذي التحق برسول الله (ص) .
فأخذوا يتعقبون آثار الأقدام إلى أن وصلوا إلى مقربة من غار ثور ، في أعلى الجبل .
وقد بقي رسول (ص) في الغار مع أبي بكر إلى الصباح ، في انتظار أن يرسل إليهم علي بالطعام كما أوصاه النبي (ص) قبل مغادرته مكة .
ووصل ذلك الدليل مع المشركين إلى الغار ، فخاف أبو بكر وقال : يا رسول الله ماذا نصنع وقد وصلوا إلينا ؟ فقال رسول الله (ص) - لا تحزن إن الله معنا - .
فماذا صنع الله ؟ إنه أمر العنكبوت أن تبني لها بيتاً على باب الغار فوراً ، فأحاطت خيوط العنكبوت بباب الغار ، وأمر الطيور أن تعشش وتبيض في الغار .
فلما جاء أبو جهل وأبو لهب والآخرين إلى باب الغار ، قال لهم الدليل إن محمداً جاء إلى هنا ، ولكن إما أن يكون قد طار في السماء أو نزل في باطن الأرض .
فقالوا لعله قد دخل في الغار .

فقال : لو دخل إلى الغار لتقطعت خيوط العنكبوت ولطارت هذه الطيور وتركت بيوضها ، إذن فهو لم يدخل إلى داخل الغار ، وفي النهاية اضطر المشركون إلى الرجوع .
ثم جاءوا لرسول الله (ص) ولأبي بكر بالزاد والراحلة وتوجه النبي (ص) إلى المدينة .

يرفع الرمح لכן يده ترتعش :

وقد نقل أحد الجواسيس خبر توجه النبي إلى المدينة إلى المشركين في مكة ، فبعث المشركون عشرة أشخاص للبحث عن النبي والقبض عليه ، ووصل أحدهم إلى رسول الله (ص) ورفع رمحه ليضربه به فارتعشت يده فوراً ونادى يا محمد لا غاية لي فيك فخلصني .

فقال له النبي (ص) إذا وعدتني بالكتمان فسوف أدعوك .
فوعده بذلك ونجاً ، وبعد ذلك أسلم ، ووصل رسول الله (ص) إلى المدينة سالماً وأنقذه الله تعالى من كيد المشركين .

عدم تأثير سحر المشركين في النبي (ص) :

وقد وصل الأمر بكيد المشركين ، أن جاء بعضهم بساحر ليسحر محمداً (ص) وقد فعلوا ذلك عدة مرات .

وقد أخبره جبرائيل بأن سحرهم في المقبرة الفلانية ، وجاءه بسورتين مباركتين - وهما المعوذتان - قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، لدفع شر هؤلاء السحرة ،

فلما رأوا أنه لا ينفع معه السحر ، جاؤوا بشخص حسود جداً بحيث يمكنه أن يصرع من يريد بمجرد أن يحدق فيه ، كما ورد في الرواية « بأنه يدخل الرجل في القبر والإبل في القدر » وهو أيضاً من عجائب النفوس ، حيث تؤثر العين ذلك الأثر ، كما في خاصية التأثير عند سم العقرب والحية .

فالأساس هو ترشح الخبائث وسوء الذات من العين ، ولأجل التخلص من هذا المرض وهذا الخطر ، فإن الصدقة وحمل القرآن وقراءة آية الكرسي مؤثرة .

عدم قدرة الحاسد على إيذاء النبي (ص) :

وأخيراً فإنهم جاءوا بشخص حسود ، ممن لا يخطيء في عمله ، وأعطوه مبلغاً من المال وأوصوه بأن يحسد رسول الله ويرميه بعينه عندما يصعد رسول الله (ص) على المنبر .

فجاء هذا الشخص ، وكلما أراد أن يؤثر عليه لم يتمكن من ذلك ، نعم قد ورد أنه طرأ على رسول الله (ص) مرض خفيف ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في الآية الشريفة ﴿ وإن يكاد الذين كفروا لَيُزْلِقُونَكَ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ... ﴾ (١) .

المرأة اليهودية تدس السم إلى رسول الله (ص) :

وقد حاولوا عدة مرات أن يدسوا السم إلى النبي (ص) ، فالأعداء لم يكونوا واحداً أو عشرة أشخاص ، وإنما كان هناك المشركون والكفار والمنافقون واليهود والنصارى .

وفي آخر محاولة قامت امرأة يهودية بدس سم في كتف ذبيحة ، لأنها تعلم أن رسول الله (ص) يحب أكل لحم الكتف ، ثم جعلت ذلك في غذاء الرسول (ص) . فلما وضع رسول الله (ص) اللقمة في فمه ، ورد أن ذراع الخروف نطقت وقالت يا محمد (ص) إني مسموم .

(١) التلم / ٥١

فالتقى به رسول الله (ص) إلى الأرض ، فخافت المرأة اليهودية جداً مما سيحصل لها لو أراد رسول الله (ص) أن ينتقم منها ، أو اطلع المسلمون على ذلك .

رسول الله (ص) مظهر الرحمة الالهية :

فقال رسول الله (ص) دون أن يغضب بل وبكمال الرأفة والحنان :

أيها المرأة لِمَ فعلت ذلك ؟ ماذا صدر مني نحوك ؟

فقالت المرأة اليهودية بخداع ومكر :

يا محمد ، اعذرني فقد أردت امتحانك لأرى هل أنت نبي أو لست بنبي ؟ فقلت في نفسي اضع له السم في طعامه فلو كان نبياً لأخبره ربه بذلك ، ولو لم يكن فليأكل منه ويموت .

فسكت رسول الله (ص) ولم ينتقم منها . أجل ، فهو مظهر رأفة الله عز وجل .

وقد ورد في الرواية أن ذلك المقدار القليل الذي وضعه في فمه المبارك ، قد أدى إلى ورم بدنه وتأثره بذلك السم ، ولكن ما دامت مشيئة الله تحفظه فقد نجا من مكر الماكرين .

عدة أشخاص لحماية النبي (ص) :

وأخيراً لم يتمكنوا من قتل رسول الله (ص) وقد وعده الله عز وجل بحفظه فبقي محفوظاً طيلة الثلاث والعشرين سنة من مدة بعثته .

وقد كان يحرس بيت الرسول (ص) عدد من الأشخاص ليدفعوا عنه كيد المنافقين والكفار والأعداء ، إلى أن نزلت الآية الشريفة ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، فقال (ص) : لا أريد شخصاً لحراستي فإن الله هو الحافظ لي .

مهاجرة قتل النبي (ص) في ليلة العقبة :

ففي ليلة العقبة ، قام أربعة عشر من المنافقين بملء براميل متعددة بالأحجار والصخور واغلقوها حيث يحدث من ذلك أصوات عالية عندما يتم دحرجتها من الجبل ، وقد أرادوا أن يلقوا بها أمام ناقة رسول الله (ص) لإخافتها لتلقي بعد ذلك بالنبي (ص) من الجبل ويموت .

لم يبق شيء لم يصنعوه مع رسول الله (ص) ؟ ولكن ماذا أراد الله ؟
فعندما ألقوا بالبراميل توقفت الناقة في مكانها ، مع أنها يجب أن تتدحرج إلى
الأسفل وبقيت الناقة على حالها من الهدوء والسكينة .
ثم إن البرق أضاء ذلك المكان ، ورأى رسول الله (ص) أولئك الأربعة عشر شخصاً
ثم استدعاهم بعد ذلك وقال لهم ما الذي فعلته معكم ؟
فالغرض أن الوعد الإلهي بالحفظ ، هو من الأخبار الغيبية في القرآن المجيد وقد
تحقق ذلك في الخارج أيضاً .

* * *

الفصل الخامس

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾^(١) .
﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(٢) .

الاقتناف الكثير نتيجة لطول الزمان :

كان الكلام في بيان وجوه إعجاز المعجزة الباقية لرسول الله (ص) وهي القرآن المجيد الموجود في أيدي الناس .

فيقول الله تعالى في الآية الشريفة :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾^(٣) .
فمع أن القرآن الكريم نزل في مدة ثلاث وعشرين سنة ، فلو كان من كلام البشر لاختلف آخره عن أوله ، فالشخص الذي يخطب في الناس مدة ثلاث وعشرين سنة يجب أن يكون كلامه أفصح وأبلغ من كلامه في السنوات الأولى .

ولكن بما أن القرآن الكريم هو كلام الله ، فإن آخر سورة منه لا تختلف عن أول سورة أنزلت على رسول الله (ص) ، وهي سورة الفلق : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾

(١) الصف / ٨ .

(٢) الصف / ٩ .

(٣) النساء / ٨٢ .

وأخر سورة نزلت كانت سورة النصر : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، فهو في مستوى واحد من أوله إلى آخره ، فالأمر والنهي والقصص كلها بأسلوب واحد . وكذلك عدم وجود التناقض بالنسبة إلى المعنى أيضاً .

وقد عمل بعض أعداء الإسلام على إظهار موارد في القرآن الكريم على أساس أنها متناقضة ، في حين أنه قد أجيب على جميعها ، وتبين عدم وجود أي أثر لذلك التناقض المزعوم .

تفريق الجيوش المتناقضة :

إضافة إلى أن هذا القرآن الكريم يحتوي على أخبار كثيرة لما يحدث في المستقبل ، وقد حدث ما أخبر عنه تماماً ، وقد ذكرنا عدة موارد من هذا القبيل ولا بأس من ذكر موارد أخرى .

فمن الأخبار القرآنية المهمة ، هو إخباره بنشأت الكفار والمشركين ، وزوال قوتهم ، وإنهدام جيوشهم ، وكذلك ظهور عظمة شأن النبي (ص) وإعلاء كلمة التوحيد ، وقد ذكر هذا الخبر عدة مرات في القرآن الكريم .

فمن جملة ذلك ما صرح به القرآن الكريم في قوله : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولَوْنَ الدُّبُرُ ﴾^(١) فسوف يهزم عبّاد الأصنام الذين كانوا يريدون القضاء على الإسلام ، وقد حدث ذلك بالفعل .

وكما يذكر أيضاً في آية أخرى حول هذا الموضوع في سورة الأنفال ، والتي تعود إلى حرب الأحزاب ، حيث يخبر عن هزيمة جيوشهم في هذه الحرب ، إضافة إلى مطالب أخرى من هذا القبيل .

انفلاق الأموال والنعيم على ذلك :

﴿ إن الذين كفروا يتفقون أموالهم ليصّدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾^(٢) .

(١) القمر / ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٨ .

فقد اجتمع أغنياء مكة المكرمة قبل حرب الأحزاب ، واتفقوا على تجهيز جيش جرّار للهجوم على المدينة ، وقتل من فيها والإستيلاء على أموال المسلمين وأموالهم ، فلذلك اتصلوا بجميع القبائل ، وطلبوا منها تجهيز ذلك الجيش بالرجال حتى تمكنوا من حشد اثني عشر ألف مقاتل حيث كان ذلك العدد كبيراً جداً بالنسبة إلى أوضاع تلك الفترة من الزمان .

ولما كان هذا الجيش الكبير بحاجة إلى المؤونة ، فقد تقرر أن يدفع نفقة كل يوم أحد الأغنياء ، حيث لم تكن لديهم حكومة أو دولة كما هو المتعارف ، حتى تتمكن من دفع هذه النفقات ، فقد كانت نفقة هذا الجيش يوماً بعهدة أبي جهل ويوماً آخر بعهدة أبي سفيان وهكذا .

وقد أنزل الله تعالى هذه الآية الشريفة ، وأخبر بأن هؤلاء الأغنياء ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ويبعدوا الناس عن محمد (ص) ، ولكنه لا تكون نتيجة ذلك سوى الخيبة والحسرة عليهم ، فقد انفقوا أموالهم دون أن يحصلوا على نتيجة من وراء ذلك ، وقد هزم الله تعالى ذلك الجيش الكبير بعد أن أرسل الرياح العاصفة عليه ففرّقه وشتت جمعه .

هزيمة الجيش بسبب الرياح :

فقد كانت حرب الأحزاب (الخندق) عجيبة واقعاً فقد تجهز للهجوم على المدينة جيش جرار قوامه - كما ذكرنا - إثنا عشر ألف جندي ، وكان طبيعياً أن يكون النصر حليفهم في الظروف الاعتيادية ، ولكن الله عز وجل أعان المسلمين وأرسل على الكفار رياحاً عاتية وعواصف قوية ، بحيث لم تبق خيمة إلا قلعته ، ودخلت الرمال في عيون الكفار ، وقلبت القدر التي كانت موضوعة على النار ، فاضطروا بأجمعهم إلى الهرب والفرار خوفاً من الهلاك ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وبعد ذلك أخذ هؤلاء المساكين يتحسرون على ما انفقوا من الأموال الطائلة ، التي لم يحصلوا منها على النتيجة المرجوة لهم .

البشارة للنبي (ص) من الأخبار الغيبية :

وفي مقابل ذلك ، الوعود التي أعطاه الله عز وجل إلى رسوله الكريم والتي كان

أولها تبشيره بأننا معك وناصروك في مكة - كما سبق وذكرنا بعضاً من ذلك - فمكة التي كانت تحتوي على ٣٦٠ صنماً زينها المشركون بالحلى والمجوهرات ، ومكة التي لا يوجد فيها مكان لغير المشركين ، رغم ذلك فإن الله عز وجل وعد حبيبه بأنه سوف يدخلها منتصراً .

﴿ لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام بإنشاء الله آمنين مُحَلِّقِينَ رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ﴾ (١) .

فهو يبشرهم بدخول مكة في كمال الأمن والأمان ، ويؤدون مناسك الحج والعمرة بكامل الحرية وعدم الخوف .

نهاية الأصنام في مكة :

عندما دخل رسول الله (ص) مكة فاتحاً منتصراً ، كان معه جيش جرّار لم يسبق له مثيل ، فلم يمرّوا على صنم إلا وقضوا عليه ، وقد سمعتم بالصنم الكبير الذي كان معلقاً فوق حائط الكعبة بحيث لا تصل إليه الأيدي حيث صعد الإمام علي (ع) (٢) على كتف رسول الله (ص) ، وكسر ذلك الصنم . وقال الإمام علي (ع) بأنني عندما وضعت قدمي على كتف رسول الله (ص) ، أحسست أنني لو شئت نلت السماء .

الأصنام التي نصبت بإحكام قبل مئات السنين تتساقط واحدة بعد الأخرى بيد علي (ع) ، حيث أمر رسول الله (ص) بلألاً بعد ذلك أن يصعد على ظهر الكعبة ويردد الأذان .

أجل ، فقد انتهى عهد الشرك ، واستسلم المشركون ، وارتفعت كلمة التوحيد كما وعد الله عز وجل بذلك .

الفتح المبين والاستيلاء على مكة :

﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ (٣) .

(١) سورة الفتح / ٢٧ .

(٢) ذكر هذه الحادثة الحاكم في المستدرک ج ٣ ص / ٥ .

(٣) الفتح / ١

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ ﴾ ^(١).

لقد كان لفتح مكة أكبر الأهمية في تاريخ الإسلام ، ومن هنا نجد القرآن الكريم يذكر بذلك عدة مرات ، لأنه كان بداية الانتصار الكامل وتشكيل الحكومة الإسلامية والملك الظاهري للإسلام والمسلمين .

وقد عبّر عن هذا الحدث بالفتح المبين ، وكذلك عبّر عنه بالفتح المطلق في كلمة « الفتح » .

أجل ، فقد كان فتح مكة مقدمة لفتح بلاد فارس والروم واليمن كما أخبر عن ذلك رسول الله (ص) سابقاً .

حفر الخندق لمنع الكفار :

﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ ^(٢).

لقد سمعتم بحرب الأحزاب التي اشترك فيها عمرو بن عبد ود أحد زعماء جيوش الكفار حينئذاك وقد جاء مع كل تلك العدة والعدد والتجهيزات العسكرية مما أخاف المسلمين واقعاً .

جلس رسول الله (ص) للتشاور مع أصحابه فقال سلمان : إن من غادتنا في مثل هذه المواقف ، وعندما يهجم جيش كبير على منطقة معينة ، هو حفر خندق حول تلك المنطقة ، لمنع ذلك الجيش من الهجمات الليلية على أهالي المدينة .

فتقبل رسول الله (ص) هذا الرأي ، وأمر أن يحفروا خندقاً حول المدينة ، وجعل حفر كل أربعين متراً بعهدة عشرة أشخاص ، وكانوا صياماً حسب الظاهر ، وقد اشترك رسول الله (ص) معهم في حفر الخندق .

وبينما كان سلمان يضرب بفأسه ، إذ وصل إلى صخرة فحفر ما حولها ليتمكن من قلعها ، إلا أنه لم يستطع ذلك ، فأخبر رسول الله (ص) فأخذ رسول الله (ص) الفأس وضرب بها .

(١) النصر / ١ .

(٢) الفتح / ٢٠ .

سيطرة الاسلام على قصور كسرى وقيصر واليمن :

وقد ورد في كتاب البحار ، أن رسول الله (ص) أخذ المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها ، وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها حتى لكانه مصباح في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله (ص) ثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها حتى لكانه مصباح في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، ثم ضرب بها رسول الله (ص) ثالثة فكسرها ، وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها حتى لكانه مصباح في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله (ص) تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، وأخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد رأيت منك شيئاً ما رأيته منك قط ، فالتفت رسول الله (ص) إلى القوم وقال : رأيتم ما يقول سلمان ؟ فقالوا : نعم ، قال : ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب الكلاب ، فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم فكانها أبواب الكلاب ، فأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أبواب الكلاب وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا^(١) .

فهو يخبر بهذه الأخبار ، في وقت لا يوجد فيه أي أمل في تحقيق تلك الانتصارات ، لذلك أخذ المنافقون يسخرون من ذلك ويقولون : انظروا إلى محمد ماذا يقول وهو محاصر باثني عشر ألف نفر مدججين بالسلاح ، ثم يحكم بعد ذلك ببلاد العجم وأمبراطورية الروم . وإيران اليوم لا تساوي جزءاً صغيراً من إيران ذلك الزمان ، بحيث إن المدائن التي في العراق الآن كانت العاصمة لها ، وكانت القفقاز وبلغ وبخارى وأفغانستان وعدة مناطق أخرى من أجزائها أيضاً والخلاصة أنه كانت أمبراطوريتان على الأرض أمبراطورية الفرس ، وأمبراطورية الروم ، وقد أخبر الله تعالى حبيبه بتصريف المسلمين فيهما والإستيلاء عليهما .

(١) البحار ج ٢٠ ص ١٨٩

ولا عجب في ذلك ، فالملك ملك الله ، ويمكن أن يعطيه لمن يريد ويسلبه ممن يريد .

﴿ وَعَدَكُمْ الله مغامم كثيرة تأخذونها ﴾ .

وقد كان فتح خيبر ، أحد مصاديق تلك الغنائم ﴿ فَعَجَّلْ لَكُمْ هذه ﴾ ^(١) والبقية سوف تحصلون عليها في المستقبل ، وهي الغنائم التي حصل عليها المسلمون من طاق كسرى وقصر أمبراطور الروم .

الحربة والأمان في اداء الشعائر الدينية :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ ^(٢) .

فكما جعل الله عز وجل مصر وبيت المقدس وكنعان محلاً لخلافة وحكومة بني إسرائيل ، فقد وعد الله أيضاً أتباع خاتم الأنبياء (ص) بأنه سوف نعطيكم الخلافة أيضاً والأمان ، لتؤدوا شعائركم الدينية بكامل حريتكم . ولنرجع قليلاً إلى التاريخ في أوائل البعثة ، لتتضح أكثر مدى غيبية هذه البشارة .

بلال المؤذن والتعذيب الوحشي :

بلال الحبشي الذي قلنا أن رسول الله (ص) أمره بالصعود إلى سطح الكعبة وأخذ يؤذن بكامل حريته ، رافعاً شعار التوحيد بأعلى صوته ، كان فيما مضى عبداً لأُمَيَّة ، وكان من جملة الأوائل الذين أسلموا في بداية البعثة ، حيث أخذه أُمَيَّة - سيده - وقال له : تركت الأصنام وأصبحت محمدياً فسوف أصنع بك ما تضطر معه إلى ترك محمد (ص) .

ثم انه جمع الأطفال وبعض الاراذل في مكة ، وجعلهم يضعون الاغلال في رقبة بلال ، ويسحبونه في الأزقة والطرق لعله يرجع عن دين محمد (ص) .

(١) الفتح / ٢٠

(٢) النور / ٥٤

وقد ذكروا أن أولئك الأراذل كانوا يسحبونه على الأرض وهو يقول . أَحَدٌ ، أَحَدٌ .

قول : أحد أحد تحت الصخرة الساخنة :

ومرة أخرى جاء إليه أمية بنفسه ، وأتى به في وسط النهار وشدة الحر إلى سطح الجبل الذي كانت أحجاره متفتتة ومسننة ، وأمر بخلع ثيابه ، ومدده فوق صخرة ساخنة ، ثم وضعوا على صدره صخرة كبيرة ساخنة ومع ذلك كان صوته ينبعث من بين هاتين الصخرتين بقول أَحَدٌ . . أَحَدٌ .

فهذا مثال على عدم حربة المسلمين وأمنهم الديني حيث وعد الله عز وجل أن يرزقهم الأمن الكامل بعد ذلك .

المؤذن الرسمي رغم أنف الإعداد :

نفس بلال هذا يصعد على سطح الكعبة رغم أنف أعداء محمد (ص) ويقول : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، ولا يستطيع أن يتلفظ (الشين) بصورة صحيحة وإنما يقولها (سين) يعني أنه يقول : أسهد ، بدل كلمة أشهد ، ولذلك كان بعض المنافقين الذين أرغمت أنوفهم يقول بأن محمداً (ص) أرسل غراباً إلى سطح الكعبة . ويقول آخرون : ألا يوجد أحسن من هذا النعيق ؟

كنعان ومصر مقر أهل الإيمان :

وأذكر لكم كلمة للمرحوم فخر الإسلام حيث يقول بالنسبة للآية الشريفة ﴿ لَيْسَتْخَلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ . . . ﴾^(١) بأن في التوراة والإنجيل أكثر من خمسمائة مورد في الأخبار بما مضمونه ، ان الله عز وجل وعد إبراهيم (ع) أن يجعل كنعان ومصر مقر حكومة أهل الإيمان .

وهو نفسه كان مسيحياً في السابق ، ويقول بأنه بقي الوعد الالهي لإبراهيم مدة أربعمئة وثلاثين سنة ، إلى أن تحقق وأصبح عملياً ، مع انه لم يكن ذلك أبدياً وإنما تغير وانقلب بعد فترة وجيزة .

(١) النور / ٥٥ .

ويقول : بأنهم ذكروا أن هذا الخبر وارد في خمسمائة مكان في العهد القديم والعهد الجديد على أساس أنه معجزة .

تحقق الوعد الإلهي للمسلمين :

يجب أن يفخر المسلمون بشرف محمد (ص) ، حيث وعد الله عز وجل أمته بالحكومة والأمان فلم يمض زمان على الوعد ، وكان رسول الله (ص) على قيد الحياة ، يعني في نفس تلك الثلاث والعشرين سنة من عمر الرسالة ، وقد أصبحت اليمن جزءاً من دولة المسلمين ، واعتنق النجاشي الإسلام في الحبشة ، ولم يمض قرن من الزمان بعد النبي (ص) ، حتى كان النور قد ازداد إشراقاً فوصل من جهة الغرب إلى أقصى الأندلس ، حيث راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومن الشرق إلى حدود الصين حيث من عز وجل بذلك على المسلمين ، وأوصلهم إلى الأمن والأمان .

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾^(١)
فالإسلام غالب أيضاً من حيث الحجة والبرهان على جميع الأديان ولم يقع الإسلام يوماً مغلوباً في مقابل الدليل والبرهان حيث أن قوانينه جميعاً مطابقة للفطرة البشرية لذلك لا يمكن التغلب عليه .

التأييد الإلهي في نصرة الإسلام :

ويكتب المرحوم فخر الإسلام ، بأن نصارى أمريكا وأوروبا قد كتبوا كتباً في الرد على الإسلام وأخيراً كتبوا أربعة كتب في الإهانة لمقام نبي الإسلام (ص) والقرآن ، ولكن من جهة أخرى فقد قيض الله عز وجل أناساً من أمثالي لأرد على تلك الكتب وثابت بطلانها بقلمى مجاناً .

وقد كتب عشرين مجلداً بأسلوب جذاب تبعث قراءتها على اللذة الفكرية ، كل ذلك في مقابل سبل الأموال المتدفقة من أوروبا . وهذا في الواقع هو تأييد إلهي لنصرة الإسلام ، حيث يتمكن شخص واحد من ابطال كل المنافقين .
ويذكر هو حالته وما جرى له والتي هي معجزة بحد ذاتها .

مقدمات اسلام رجل مسيحي :

فيقول فخر الإسلام : إن موطني هو أمريكا ، وقد كان آبائي من القساوسة وعلماء الدين المسيحي ، وفي بداية شبابي كان لي شوق كبير لتحصيل العلوم الدينية وفعلاً اجتهدت في ذلك وترقيت في مدارج العلم حتى تمكنت من الوصول إلى مجلس درس البابا الأعظم .

وكان يحضر درسه أربعمئة شخص ، وقد كنت أكثر قابلية واستعداداً من الآخرين في فهم المطالب العلمية ، لذلك كانت علاقة البابا معي أوثق بحيث كنت الوحيد الذي يؤذن له بالدخول على البابا .

وفي أحد الأيام لم يأت البابا إلى مجلس الدرس ، وقيل إنه مريض فانشغل التلاميذ في البحث والنقاش ، وكان كلامهم يدور حول كلمة «فار قليط» المذكورة في كتاب العهد الجديد ، وكل يبدي رأيه ويقول كلمته .

« فار قليط » بمعنى المسلي :

فأتيت إلى الباب فرأيتَه ممدداً في فراش المرض فقلت له : لقد ذهبت إلى مجلس الدرس ولكنكم لم تحضروا فجئت لرؤيتكم ، فقال هل حدث نقاش في غيابي ؟ فقلت : نعم ، فقد كانوا يتباحثون حول كلمة « فار قليط » ويقولون إنها بمعنى المسلي حيث كان النبي عيسى (ع) يقول : إني سوف أذهب ويأتي من بعدي « فار قليط » .

فقال البابا : هيهات ، لا يمكن لأحد أن يفهم المقصود من هذه الكلمة . فلما قال ذلك تمسكت به متوسلاً أن يفهمني معناها ، وأنا الذي كنت متعطشاً للكمال .

فقال إني لا أرى صلاحاً في ذلك ، فأصررت عليه ، فقال : - إن إظهار معنى هذه الكلمة مضر لك ولي أيضاً . فلما أقسمت عليه قال : بشرط ألا تخبر أحداً بذلك ما دمتُ أنا حياً . فقبلت .

« فار قليط » بشارَة بمجيء محمد (ص) :

فقال خذ هذا المفتاح وأفتح ذلك الصندوق وسوف تجد فيه صندوقاً فاقتحه أيضاً ،

فستجد كتاباً باللغة السريانية ، والتي كتبت قبل الإسلام .

فعندما أخذت الكتاب ، قال افتح الصفحة الفلانية ، فأريت في تلك الصفحة معنى كلمة « فار قليط » حيث كتب في الحاشية أن « فار قليط » هي محمد (ص) .
فسألته أيُّ محمد هذا ؟ فقال هو ذلك الذي يعتبره المسلمون نبياً ، فقلت : إذن فالمسلمون على الحق ؟ فقال : نعم .

فقلت : إذن ، لماذا لا تظهر ذلك ؟ فقال : مع الأسف اني فهمت ذلك وأنا في أواخر عمري ، فبمجرد أن أعلن الإسلام فان الحكومة سوف تقتلني فأين أذهب ؟ فهل يمكن للمسلمين أن ينقذوني ويخفوني عندهم حتى اتجه إلى بلاد المسلمين ؟ ! ولكن الحكومة المسيحية سوف ترسل في طلبي أينما ذهبت ، فلذلك لا أتمكن من إظهار ذلك ، فالصلاح في السكوت ، ولكنك شاب يمكنك الذهاب والفرار .

السفر إلى الشام ثم العراق :

فقبلت يده وسافرت في ذلك اليوم ، فدخلت الشام ، وأذكر لطف الله على حيث سألت عن أحوال علماء المسلمين فأرشدوني إلى أحد علماء الشيعة فأسلمت على يده ، وقرأت الصرف والنحو والمنطق والبلاغة ، ثم ذهبت إلى النجف الأشرف ، وجئت إلى المرحوم السيد كاظم اليزدي والمحقق الخراساني ، ووصلت على أيديهما إلى مرحلة الاجتهاد ثم جئت إلى إيران لزيارة الإمام الرضا (ع) ، فأخبرني بعض الأشخاص ، بأن النصارى قد كتبوا أربعة كتب في النقص على الإسلام فاشتغلت بردها والإجابة عليها .

القلم السيال نعمة الله :

لقد أنعم الله عليه بنعمة كبرى وهي القلم السيال ، حيث يقول بأن هذا القلم الذي أعطاه الله لي من أجل أن أنصر حبيبه محمداً (ص) ، وقد كتب مجلدين في الرد على اليهود والنصارى ، وإظهار الحجة الالهية واحقاق الحق وابطال الباطل والرد على التهم التي تصدر من بعض القساوسة الحاقدين على نبي الإسلام ، والتي هي مخزية في الواقع ، وعلى كل حال فقد نصر الإسلام حقيقة .

اتهام النبي (ص) باتباع الشهوات :

فمن جملة اتهاماتهم ، أن محمداً (ص) كان رجلاً شهوانياً ، لأنه يقول بتعدد

الزوجات ، ومع أنه يسمح بأربع زوجات لأتباعه ، لكنه اختص لنفسه بتسع زوجات .
وقد اجبوا على ذلك بأجوبة كافية ، فكيف يمكن لمحمد (ص) أن يكون رجلاً
شهوانياً وهو الذي لم يتزوج قبل بلوغه الـ ٢٥ ، وهي السنوات التي يكون فيها الإنسان في
غاية الشهوة إلى النساء ؟ .

ثم أن زواجه في سن ٢٥ سنة كان من امرأة عمرها أربعون سنة حيث اقترحت هي
عليه الزواج ، وكانت قد تزوجت قبل ذلك برجلين .

عندما أرادت خديجة ، وهي المرأة الثيبة ذات الأربعين عاماً والسيدة الكبيرة في
العالمين وأم المؤمنين ، وأم الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (ع) الزواج من رسول الله
(ص) بعد أن كثر المتقدمون لطلب يدها بقصد الزواج منها ، إلا أنها رفضتهم جميعاً
واختارت الزواج من محمد (ص) ، وعندما اقترحت عليه ذلك ، قالت : إن التي تريد
الزواج منك فيها عيبان ، أحدهما : أنها سنّها أكبر من سنك (الإختلاف بخمس عشرة
سنة) . والآخر : هو أنها قد تزوجت في السابق ولها أولاد أيضاً .

الرسول (ص) يريد روحية خديجة ومعنويتها :

لقد كان محمد (ص) روحاً مجسدة وروحانياً في ثياب البشر ، لذلك كان نظره إلى
المقام المعنوي لدى خديجة ، ولم يكن ينظر إلى أنها عجوز ، ولم يفكر في أموالها ،
ولأنما كان نظره إلى قلبها الطاهر وبصيرتها السليمة .

فقد كانت خديجة امرأة لم تعبد الأصنام ، وهي أول من رأى نور النبوة عند محمد
(ص) ، وسألته ما هذا النور ؟ فقال النبي (ص) انه نور النبوة فقولني : « أشهد أن لا إله
إلا الله » فقالت : لقد آمنت بك منذ سنوات .

وقال رسول الله (ص) انه في كل مرة ينزل فيها عليّ جبرئيل ، فإنه يقرئ خديجة
السلام .

إيمان خديجة في تلك الظروف :

وقالت له عائشة يوماً : كم تذكر اسم خديجة ؟ .

وليس البحث فعلاً حول خديجة ، لكننا نكتفي بذكر بعض الأمور للتبرك والتنويع في الكلام .

دفاعها بالمال والنفس عن رسول الله (ص) :

ففي أحد الأيام ، أراد المشركون الهجوم على دارها وقتل رسول الله (ص) فأغلقت الباب جيداً ، فقفذوا بيتهما بالحجارة ، فجعلت من نفسها درعاً لرسول الله (ص) .
وفي وقت آخر ، وعندما ذهب رسول الله (ص) إلى جبل حراء من أذى المشركين ذهبت خديجة مع الإمام علي للبحث عنه ، وهما يحملان رغيفاً من الخبز وجرة ماء ، حيث كان عمر علي (ع) عشر سنوات ، فذهب كل منهما في طريق للبحث عن رسول الله (ص) .

وقد كان رسول الله (ص) جريحاً ، حيث رماه المشركون بالحجارة ، فجاء الإمام علي وخديجة وغسلوا عنه الدماء ، وضمّدوا جراحه وأرجعوه معهم إلى مكة .

في تعدد الزوجات مصلحة الإسلام :

وعندما توفيت خديجة كان عمر النبي (ص) يناهز الخمسين عاماً ، ولم يتزوج ما دامت خديجة على قيد الحياة ، فلو كان رجلاً شهوانياً ، فلماذا ترك الزواج من أخرى طيلة الـ ٢٥ سنة التي كان فيها مع خديجة ؟

وبعد وفاة خديجة وهجرة النبي (ص) إلى المدينة ، تزوج الرسول (ص) من بعض النساء التي كان أغلبهن متزوجات سابقاً ، وللبعض منهن أطفال أيضاً ، وذلك لما يراه من مصلحة الإسلام ، ونشير إلى بعض وجوه تلك المصلحة باختصار :

كفالة الأراامل وزرع المحبة في القلوب :

فقد أدت الحروب التي وقعت بعد الهجرة إلى أن تصبح عوائل الشهداء دون كفيل ، ومن واجب المسلمين وهو تحمل مسؤولية ذلك ، لذلك كان بعض المسلمين يتزوجون من نساء الشهداء ، ويتكفلون مسؤولية الأطفال اليتامى ، وكان رسول الله (ص) كسائر المسلمين ، حيث لم يكن مستثنى من هذه القاعدة .
إضافة إلى ذلك ، فقد أدت الحروب المتتالية مع المشركين والكفار ، والتي كانت

تقع بين الأخ وأخيه والأب وابنه ، إلى أحقاد وعداوات ترسبت في / قلوب أولئك الذين أسلموا جديداً ، وبقيت عالقة في أذهانهم ، ولكن مصاهرة النبي (ص) لبعض رجالات المشركين أمثال أبي سفيان حيث تزوج النبي (ص) ابنته أم حبيسة ، أدت إلى تقليل العداوات ، حيث أصبحوا يحسبون الرسول (ص) واحداً منهم ، وبدلاً من الوقوف في وجه الإسلام ومحاربته ، أخذوا يدافعون عنه ، حتى لو كان ذلك من أجل المصالح الدنيوية على الأقل .

مساعده في تبليغ الأحكام الدينية :

وقد ذكر البعض ، أن الفوائد الأخرى في تعدد زوجات رسول الله (ص) ، تعلم أحكام الإسلام - وخصوصاً المسائل التي تتعلق بالنساء - من رسول الله (ص) ، فقد كان الحياء مانعاً من تعلم تلك المسائل ، سواءً كان حياء النبي (ص) ، أو حياء المؤمنات ، فلذلك كانت نساء النبي واسطة جيدة في ابلاغ أحكام الحيض والنفاس والإستحاضة وكذلك أحكام الولادة والعدة وغيرها إلى أمثالهن من نساء المؤمنين .

بيت النبي (ص) كأفق بيوت المسلمين :

فأين رسول الله (ص) وطلب الدنيا ؟
لقد كان رجلاً روحانياً محضاً . وقد بلغت زوجاته في آخر عمره تسع زوجات ، حيث اتسعت رقعة الإسلام وأخذت الغنائم تصل من جميع الأطراف .
فأخذت نساء الرسول (ص) بالشكوى والحديث بأننا زوجات النبي (ص) ونريد بيتاً ومعيشة مرفهة .

فقال (ص) « وهو مضمون الحديث الشريف » بأن بيتي يجب أن يكون مثل أفقر بيوت المسلمين .
ففي بعض الأحيان يمر أربعون يوماً دون أن تسمع نارا للطبخ في بيت رسول الله (ص) ، وعندما أخذت بعض سائمه مضايقته بسبب ذلك سزلت الآيات القرآنية في سورة الأحزاب .

طلب الدنيا أو طلب الله ورسوله :

لكن مهوركن - واسرَّحْكُنَّ سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴿١﴾ .

نعم فلو كنتن تطلبين بيتاً فخماً ، وخدماءً وحياة مرفهة فإن ذلك لا يمكن أن يكون في بيت محمد (ص) ، وإن طلبتن الآخرة فيمكنكن البقاء .

وقد أعلنت نساء النبي توبتهن بعد نزول هذه الآية الشريفة ، واخترن النبي والدار الآخرة . وقد روي عن عائشة قولها بأن حالنا قد تحسن بعد وفاة رسول الله (ص) ، حيث أخذ الخليفة يدفع لنساء النبي (ص) مبلغاً من المال لنفقاتهن .

العدالة بين الزوجات المتعددات :

قال بعض المحققين ، إن إحدى الحكم في تعدد زوجات رسول الله (ص) هو إظهار عظمة النبي (ص) وقدرته للناس .

فمن يستطيع أن يعيش من زوجتين دين مشاكل ؟ لكن محمداً (ص) استطاع العيش مع تسع من نسائه مع أتم العدالة .

فقد كان لكل واحدة منهن ليلة معينة ، ولم يكن يفرق بين شابة وكبيرة السن ، وفي بعض الأوقات يطلب الاذن من زوجته عندما يريد أن يشتغل بالعبادة فمثلاً يقول : يا أم سلمة ، إن هذه الليلة هي ليلتك ، ولكن هل تسمحين لمحمد (ص) أن يهتم بنفسه في هذه الليلة ، يعني أن يقضي هذه الليلة بالعبادة ، فقد كان مواظباً على حقوق الزوجة إلى هذا الحد .

الصحة حتى في مرض الموت :

وعندما أوشت صلوات الله عليه على الوفاة والرحيل عن هذه الدنيا ، كان في بيت أم سلمة ، فجاءت عائشة ورأت حال الرسول (ص) وعلمت أن هذا هو مرض الموت ، فأقنعت سائر الزوجات لكي يتنازلن لها عن حقهن ، حتى يبقى رسول الله (ص) في بيتها هي ولا ينتقل من مكان لآخر حفاظاً على صحته .

فقد كانت روحانية الرسول (ص) وجلالة قدرة انه وصل إلى منتهى درجات الكمال

التي يمكن أن يصل إليها الإنسان ، فأين هو من اتباع الشهوات ؟ ! ذلك الإنسان الذي بقي إلى آخر عمره يتأوه كلما ذكر عنده اسم خديجة مع كثرة زوجاته غيرها . وأجدد السعادة أن أختتم حديثي بكلام حول خديجة .

وصية خديجة إلى أم أيمن :

عندما حضرت خديجة الوفاة ، كان لفاطمة الزهراء (ع) من العمر خمس سنوات ، فقد ثقل على خديجة أن تبقى ابنتها الصغيرة من دون أم ، لذلك أوصت أم أيمن وقالت لها : أقمي لي انك لا تتركين ابنتي وحيدة في زفافها ، لأن البنت تحتاج في ساعة زفافها إلى أمها .

ولذلك لم تترك أم أيمن الزهراء (ع) وحدها عند زواجها حتى أوصلتها إلى باب غرفتها ليلة الزفاف ، فقال لها رسول الله (ص) ، لا ينبغي أن تقفي خلف باب مخدع علي وفاطمة (ع) ، فقالت : هذه وصية أمها خديجة . فبكى عندها رسول الله (ص) .

خوف خديجة من الصربي يوم القيامة :

ومن شدة حيائها ، انها كانت تخجل أن تطلب بنفسها طلباً من رسول الله (ص) ، وإنما تقول لابنتها الزهراء ، اذهبي إلى أبيك وقولي له بأني خائفة من أن أبعث عارية يوم القيامة ، وأرجو أن تدفني في ثوبك . وعندما ماتت خديجة ، كفنها رسول الله (ص) بردائه الذي كان يصلي فيه ودفنها .

وقد كانت ابنتها الزهراء (ع) تستحي أن تطلب شيئاً من علي (ع) ، ولم تقل يوماً يا علي أن لي حاجة إلا في آخر عمرها حيث كانت مضطرة لأن توصي بوصيتها . وقال بعضهم بأنها كتبت وصيتها قبل ذلك كما في بعض الروايات ، ووضعتها تحت ثيابها حتى لا توصي بوصيتها شفواً .

أجل ، فقد كانت إحدى وصاياها الوصية بأولادها وخصوصاً الحسين (ع) .

ابك لي وابك لليتامى ولا تنسَ قتل العدا بَطَفَ العراق

* * *

الفصل السادس

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(١)

عدم ايمان (أبي لهب) :

تقدم الكلام في بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، حيث كان من جملتها الأخبار الغيبية ، والأخبار بخفايا الأمور وبواطن الأشياء ، والتي لم يطلع عليها أحد .
ومن جملة ذلك ، ما ورد في سورة « تَبَّتْ » ، حيث أخبر في هذه السورة عن أمرين مهمين إخباراً غيبياً وبشكل إعجازي :

الأول : هو أن أبا لهب وزوجته لن يؤمنا أبداً ، حيث يبقى هو و«حمالة الحطب» كافرين إلى آخر العمر ، ويموتان على الكفر ، ويكون مصيرهما إلى نار ذات لهب .

الثاني : هو أن أموال هذا الخبيث سوف لا تنفقه أبداً ، فقد بقيت جنازته ثلاثة أيام بلياليها ملقاة فوق التراب حتى تعفنت ، فاضطروا لان يلقوا بها في حفرة .

وقد أصيب ببلاء عجيب ، ثم مات من جراء ذلك ، حيث لم ينفعه دينار واحد من أمواله وكانت قصة ذلك كالتالي :

المانكة لمساعدة المسلمين في بدر :

قبل سبعة أيام من وفاته ، وبينما كان جالساً في المسجد الحرام هو وأبورافع وأم

(١) الإسراء / ٨٢ .

الفضل أيضاً ، إذ تراءى لهم أبو جهل وقد رجع لتوه من معركة بدر ، فقام أبو لهب واحتضن أبا جهل وقال له : قل لي يا أبا جهل هل انتهيت من محمد (ص) أم لا ؟

فأجابه أبو جهل : عندما بدأت الحرب رأينا فرساناً بملابس بيضاء وعلى خيول بلقاء ، وهم يشيرون إلينا بالرماح ، فلم نتمكن من الحركة بعد ذلك .

مشاجرة أبي لهب مع أبي رافع وأم الفضل :

فقال أبو رافع : انها كانت الملائكة ..

فلما سمع أبو لهب هذه الكلمة استشاط غيظاً ، وقام إلى أبي رافع المسكين ، والذي كان غلاماً فضرب به الأرض ، وأخذ يضربه على رأسه وجسده لأنه قال أن الملائكة نزلت لمساعدة محمد (ص) وأصحابه .

وقد كانت أم الفضل امرأة شجاعة ، فأخذت بيدها عصاً وأخذت تدافع عن أبي رافع . ثم أن أبا لهب ذهب إلى منزله ولم يخرج منه بعد ذلك ، حيث ابتلي بمرض قبيح ، ولم ينفع معه شيء من أمواله ، حيث تورم أسفله وأخذ بالأنين والصراخ حيث لا تنفع الأموال ولا الأولاد ، وأخيراً مات في اليوم السابع .

المرض المعدي والجنابة المتعفنة :

ولم يتجراً أولاده بعد موته على حملة ، وكانوا يقولون : إن مرضه معدٍ وسوف نصاب بذلك المرض أيضاً ، ولذلك تركوه في الغرفة بعد أن أغلقوا الأبواب حتى مضى عليه ثلاثة أيام ، وصعبت على الجيران الحياة من جراء الرائحة العفنة ، فاضطروا إلى جره إلى لخارج والقائه في حفرة واهالة التراب عليه .

أجل ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾^(١) لم تسعفه أمواله في انقاذه من عذاب الدنيا الحرة ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾^(٢) .

تفسير السور مع عدة معالجات :

أصغر سورة في القرآن الكريم من بين ١١٤ سورة من حيث عدد الآيات

الكلمات ، هي سورة الكوثر ، حيث تكون مع البسمة أربع آيات ، ومع ذلك فقد تحدّى القرآن الكريم ﴿ وان كنتم في ريب ممّا نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾^(١) . فإذا كنتم تستطيعون أن تأتوا بسورة واحدة مثل سورة الكوثر يعني سطرّاً واحداً من القرآن ، فسوف لن تقع كل هذه الحروب ، وسوف يمكنكم خنق صوت الإسلام ، بإبطال معجزته .

وكل آية من الآيات الثلاث في هذه السورة هي معجزة ، وخبر غيبي ، فإضافة إلى العطاء الكوثر الذي سبق وان أشرنا إليه وسنشرحه أكثر فيما بعد انشاء الله ، فهناك اخبار عن استغناء الرسول (ص) وهلاك أعدائه الشامتين به في كل واحدة من هذه الآيات الثلاث .

وطبعاً فإن وجوه الإعجاز الأخرى من قبيل الفصاحة والبلاغة باقية على حالها ، حيث إنها معجزة من جهات مختلفة .

الرسول (ص) يصبح غنيا من الناحية المادية :

« وَأَنْحَرْ » يعني إن عليك أن تشتري جملاً من أموالك وتنحره في سبيل الله ، ومعلوم ماذا يعني ذلك ؟ حيث أن الجمل باهظ الثمن ، فيجب أن يكون رسول الله (ص) ثرياً ليتمكنه شراء الجمل ونحره في سبيل .

وقد كان رسول الله (ص) ينحر جملين على الأقل في كل عيد للأضحى . واحداً عنه والآخر عن الفقراء والضعفاء من أمته ، الذين ليس لديهم إمكانية شراء الأضحية . وقد ورد في بعض الروايات ، أن عدد الأضاحي التي كان رسول الله يقسم لحومها بين الفقراء وصل إلى ستين أو مائة بعير أيضاً .

الشامتين مقطوعى النسل :

﴿ إن شانتك هو الأبر ﴾ . وقد روي أن سبب نزول هذه السورة ، هو أنه عندما توفي إبراهيم ابن رسول الله (ص)، احصر أولاد الرسول (ص) في فاطمة الزهراء (ص) وقد كان بعض المنافقين جالسين في المسجد ، إذ دخل رسول الله (ص) فقال:

الأبتر ، ويقصدون المقطوع النسل ، حيث سينتهي اسمه ورسمه بعد وفاته .

وقال البعض ، بأن العاص بن وائل كان يتحدث مع رسول الله (ص) فأطال الحديث ، فلما رجع إلى قريش سألوه مع من كنت تتحدث فقال : مع هذا الأبتر .
وعلى كل حال ، فإن المنافقين كان يبشر أجدهم الآخر وكانوا مسرورين إلى أن هدفهم سوف يتحقق بعد وفاة محمد (ص) .

ولما وصل هذا الكلام إلى مسامع النبي (ص) ، تأثر من ذلك ، فأنزل الله عز وجل على قلب حبيبه الحزين هذه السورة رحمة منه ولطفاً .

عدد حواربي المسيح اثنا عشر شخصاً :

وكما أشرنا سابقاً ، فإن الكوثر يعني الخير الكثير وأحد مصاديقه كثرة الاتباع وكثرة أمته . أما بالنسبة إلى عيسى بن مريم كما هو مذكور في الإنجيل ، فإن مدة نبوته كانت أربع سنوات سوى أيام قليلة ، ومع ذلك فإن أمة عيسى كانت سبعين شخصاً خلال هذه المدة إلى أن صعد إلى السماء كما هي عقيدتنا . وقد كانت بينهم اثنا عشر نفرًا من الحواريين أيضاً ، وقد ارتد البعض منهم إلى الشك والكفر ، ومن جملتهم « يهودا » الذي وشى عيسى ليقتلوه .

كثرة أمة محمد (ص) عطاء الهي :

أما بالنسبة إلى أشرف الأنبياء محمد المصطفى (ص) ، فإن تعداد أمته كان يزداد يوماً بعد يوم في حياته خصوصاً بعد هجرته إلى المدينة ، حتى كانت سنة حجة الوداع ، وهي آخر سنة من عمره الشريف ، حيث أعلن الذهاب إلى الحج وحج معه المسلمون ، وأمر النبي (ص) بالاحرام من مسجد الشجرة . فأخذ الناس بالاحرام والتحرك نحو الحج زرافات ووحداناً ، وكانت المسافة من مسجد الشجرة - والذي هو قريب من المدينة - إلى مكة تبلغ في حساب القدماء أربعة عشر يوماً بمسير الجمل .

وقد ذكر المؤرخون ، أن أصوات تلبية الحجّاج كانت تسمع من مسجد الشجرة حتى مشارف مكة ، حيث كانت الجموع متصلة مع بعضها البعض مسافة ثمانين فرسخاً .
وقد ورد في رواية معتبرة ، أن طلائع الحجّاج قد وصلت إلى أبواب المسجد الحرام

بينما كان آخر القافلة لا يزال في مسجد الشجرة . وقد قَدَّر البعض عدد الحجاج بثمانين ألفاً وآخرون بمائة وعشرين ألفاً وعلى كلتا الروايتين ، فإن هذا العدد كان بالنسبة إلى تلك الأيام شيء لم يسبق له مثيل ، فأَيُّ الأنبياء كان له هذا العدد من الاتباع في حياته ، مع لفت الإنتباه إلى أن هذا العدد إنما هو ممن وجب عليه الحج من المسلمين ، لا كل المسلمين .

اتباع الأنبياء ، قليلون دائماً :

لقد دعا نوح قومه تسعمائة وخمسين سنة فما آمن إلا قليل ، فقد كانوا ثمانين شخصاً بمن فيهم النساء والأطفال والأحفاد .

وإبراهيم خليل الرحمن (ع) ، مع كل تلك الآيات البينات في بابل ، لم يؤمن معه إلا بضعة أشخاص لا يتجاوزون عدد الأصابع .

أما لوط فلم يؤمن به إلا زوجته وبناته ، وخالفته المؤتفكات والتي كانت عدة مدن كبيرة .

وعلى كل حال ، فإن جميع الأنبياء لم يكن لهم من الاتباع في حياتهم إلا القليل ، أما بالنسبة إلى نبينا (ص) ، فإن من نعم الله وعطاياه الكثيرة كثرة أمته في حياته إضافة تعاضمها بعد وفاته .

فقد كانوا يدخلون مكة أفواجاً أفواجا ، بينما كانت أصوات « الله أكبر » تدوي في الفضاء ، فلا خبر بعد الآن عن عبادة الأصنام .

أحوال المطلع :

وقد خطر على ذهني خبر بمناسبة حجة الوداع وسأقوله لكم ، وبعد ذلك نرجع إلى إعجاز سورة الكوثر .

فبعد أن نزل جبرائيل على النبي (ص) وقال : بأن هذه السنة هي آخر سنة من عمرك ، وإن أجلك قد حان ، كان رسول الله (ص) يقول بعد كل صلاة « استغفر الله ربي وتوب إليه » . فقالوا لماذا نراك تكثر من الإستغفار يا رسول الله (ص) فقال : لقد أخبرني جبرائيل بأن هذه السنة هي آخر سنة من عمري .

فقالوا : لقد طهرَك الله من الذنوب يا رسول الله (ص) .

فقال : أين هول المطلع ؟ - أين ضيق اللحد ؟
تكيف الحال في محضر الله عز وجل للحساب وبين ضيق القبر وخطرات البرزخ ،
الويل لقلوبنا الغافلة .

عندما يستغفر محمد (ص) مع تلك الطهارة والنزاهة ، وعندما يقول زين العابدين
(ع) في أوقات السحر ثلاثمائة مرة العفو ، فيجب علينا أن نقولها آلاف المرات ، ولكن
الغوث من جهالتنا .

لا يبقى على الأرض سوى المسلمين :

قلنا إن الكوثر يعني الخير الكثير ، ومن موارده هو كثرة أمته ، سواءً في حال حياته
أو بعد مماته ، حيث يصل الأمر إلى أن لا يبقى فوق سطح الأرض إلّا مَنْ يقول : « لا إله
إلا الله ، محمد رسول الله » وذلك في زمان ظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى
فرجه الشريف .

والخبر الغيبي الآخر في هذه السورة الصغيرة هو ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١)
والشأن يعني الشامت ، وهو الذي ينسب المعاييب إلى رسول الله (ص) ويقول بأن
محمدًا أبتر ، فهو الأبتر في الحقيقة ، حيث لم يبق أثر من عمرو بن العاص وغيرهم ،
بينما بقي لرسول الله (ص) بنت واحدة وقد جعل الله تعالى البركة في نسلها .

يقول^(٢) المفسر السني الفخر الرازي في تفسيره الكبير ما معناه : إذا أردت أن تفهم
سورة الكوثر جيداً فتعال إلى بيت جعفر بن محمد (الصادق) عليهما السلام ثم أفهم أخبار
الإمام الرضا (ع) لكي تفهم ماذا يعني إبقاء النسل ؟

نسل بني أمية اثنا عشر ألف ولد :

ذكروا أن تعداد الأولاد الذكور من بني أمية وبني مروان الذين كانوا في سن الرضاع
سنة ٦٠ هجرية ، وهي سنة عاشوراء الحسين يبلغ اثني عشر ألف ولد ، حيث كان مهد
كل واحد منهم من الذهب والفضة فهل يحتمل انقراض هؤلاء القوم ؟

(١) الكوثر / ٣ .

(٢) راجع الجزء ٢٢ من التفسير الكبير للفخر الرازي ص / ١٢٤ مشورات دار الكتب العلمية بطنجة .

وفي مقابل ذلك بنو هاشم وأولاد الحسين (ع) حيث نجد كل هذه البركة والكثرة من رجل عليل واحد هو الإمام علي بن الحسين السجاد (ع) ولم يبق من نسل أولئك شيء يذكر .

البركة في النعاج وليس الكلاب :

ومثل بني أمية وبني مروان بالنسبة إلى بني هاشم ، كمثل الكلاب والخراف ، فكم يلد الكلب في السنة الواحدة وكم تلد النعجة ؟ الكلب يلد سبعة أو ثمانية ولا يقل عن الثلاثة ، وأيضاً يلد في السنة مرتين ، أما النعجة فإنها تلد طفلاً واحداً ومرة واحدة في السنة أيضاً .

ثم أن الناس لا يقتلون الكلاب لكن يذبحون آلاف الخراف باستمرار في كل مدينة .

والشيء المحير واقعاً ، هو أنك لو ذهبت إلى أية مدينة فسوف تجد في الطريق قطعان الماشية ترعى في الحقول مع قلة التوالد والتناسل ، ولكن هل يمكنك أن ترى قطعاً من الكلاب ؟

فلم يبق أي أثر من بني أمية أو بني مروان ، وأعداء أهل البيت لا في الظاهر ولا في الباطن ، ولم يبق ليزيد نسل بل وتجدون في الشام مزبلة حيث تعرف بأنها قبر يزيد .

والله عز وجل أكرم الحسين وجعل العلو في نسله « وكلمة الله هي العليا » .

ثم ألا يمكن أن نعتبر بقاء علي بن الحسين (ع) في صحراء كربلاء هو معجزة واقعاً في حد ذاتها ؟

* * *

الفصل السابع

سهولة حفظ القرآن :

كان كلامنا في وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ومن جملة وجوه ذلك الإعجاز ، كما يصرح بذلك القرآن هو سهولة حفظه وتذكره ، فلا يوجد أي كتاب يمكن حفظه بهذه السهولة ، حيث نجد في كل دورة من الزمان حفظة كثيرين للقرآن .

ويقول المرحوم فخر الإسلام في كتاب (أنيس الاعلام) ، إن عدد المسلمين الذين يحفظون القرآن بأجمعه في هذا الزمان فقط ، أكثر من مائة ألف شخص ، مع أن الذين يحفظون الإنجيل لم يبلغ عددهم عشر هذا المقدار ، إذ كيف يحفظون ما هو قابل للحفظ ؟

أما القرآن الكريم ، فهناك الكثير من الأميين يحفظون عدة سور منه ، حيث إن لذة قراءته توجب الأنس به ، وتساعد على حفظه بسرعة ، وهذه من معجزات هذا الكتاب السماوي وأمر خارق للعادة .

الوعد بحفظ القرآن من التحريف :

والأمر الآخر في إعجاز القرآن الكريم ، هو الوعد بحفظه من قبل الله عز وجل ، حيث لا تتمكن الأيادي الخبيثة من إبادته أو العبث فيه بالباطل وتحريفه ، فكم قد انفقوا من الأموال وينفقون من أجل ترويع الباطل وإبطال الحق ، وكم نشروا من كتب الضلال وقاموا بالمؤمرات والسياسات الشيطانية الأجنبية لمحو الإسلام والقضاء عليه ، حيث إن لديهم المال والقوة وطرق الإحتيال والخداع من أجل القضاء على القرآن ، ففي منطق

الأمور الطبيعية يجب أن ينفق المسلمون مثل ذلك المقدار من الأموال وبذلك المقدار من القوة والعمل لابطال هذه المحاولات الشيطانية والتصدي لتلك الفعاليات الخبيثة .

ولكن انظروا إلى المعجزة ، حيث يبعث الله رجلاً من النصارى ومن مجلس درس البابا الأعظم إلى طهران ، ويعطي بيده قلماً ليرد على أكاذيبهم تلك ويبطل سحرهم مجاناً ، حيث يقول بنفسه بأنني عندما كنت في أوروبا كان لي ملك ومال ، أما الآن فأني مدين في طهران ، حتى أنني أجد بعض المضايقة أيضاً من بعض الأشخاص الدائنين .

كيف يمكن أن ينشر الحقائق في عشرين مجلداً ، ويرد على التهم التي كانوا يلصقونها بالإسلام وبالنبي الأكرم (ص) ؟ ، أليس هذا هو الوعد الالهي بحفظ القرآن ؟

كون النبي (ص) أمياً ،

ومن جملة خصائص القرآن التي سبق وأن أشرنا إليها - ونذكرها الآن بتفصيل أكثر - هو كون النبي أمياً ، وقد جاء بالقرآن ، فمحمد الذي لم يذهب إلى مكتب للتعليم ، ولم يمسك بيده قلماً ، وأيضاً لم يأت بيئة أخرى ، بل كان بين قومه وقبيلته أربعين سنة ، وباتفاق جميع المؤرخين ، فإن رسول الله (ص) لم يخرج من مكة من أول عمره إلى زمان بعثته سوى مرتين .

وفي كل سفر إلى الشام لم يكن وحيداً ، بل كان مع قافلة للتجارة ، والسفر الأول كان في سن الثامنة ، حيث أخذه عمه أبو طالب إلى الشام ورجع .
والسفر الآخر كان في سن العشرين ، حيث سافر للتجارة إلى الشام بأموال خديجة ، وكان ذلك أيضاً مع قافلة من أقربائه ، وعلى كل حال ، فإن محمداً (ص) لم يعيش خارج حدود قبيلته ، وكان الجميع مطلعين على أوضاعه وأحواله وبأنه أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وفي نفس الوقت جاء بهذا القرآن الذي فيه علم الأولين والآخرين ، ونفس هذا الأمر كاف في إعجازه .

القرآن لا يحتاج إلى إصلاح كما وكيفا ،

والوجه الآخر أيضاً - كما سبق وأشرنا إليه بشكل آخر - هو أن كل كتاب بهذا الحجم من أي شخص كان لا بد وأن يحتاج إلى إصلاح في بعض مواضعه ، سواء كان من

حيث الكمية وأصل المواضيع ، أو من حيث الكيفية في إداء المعنى ، ولكن القرآن الكريم لا يوجد فيه آية واحدة مخالفة لآية أخرى ، بل انه يفسر بعضه بعضاً ، وجمع القرآن من أوله إلى آخره فصيح وبليغ ، لا أن الآيات والسور التي جاءت متأخرة أبلغ وأنصح .

عدم الملل في القرآن معجزة :

من جملة وجوه إعجاز القرآن هو الأنس المستمر به ، فالأنس بالكتب البشرية محدود بحدود معينة ، فمثلاً تكرار قراءة بعض الكتب أكثر من مرة وأحياناً مرتين أو ثلاث في كتب أخرى يوجب الملل ، إلا في القرآن المجيد ، فكلما قرأ فيه الإنسان تزداد معنوياته ، ويزداد أنسه به خصوصاً في شهر رمضان المبارك ، حيث تكون الأجواء الروحية للإنسان فيه أكثر ، فيزداد الأنس بقراءة القرآن أكثر أيضاً ، فنراه يختم القرآن ثم يبدأ بقراءته من جديد .

وهذه المسألة غير طبيعية أبداً ، وهي دليل على أن هذا الكلام من رب العالمين ، حيث لا تتوفر فيه خصوصيات الكتب البشرية ، فهو سهل وحلو ولا يوجب الملل ، وكلما قرأه الإنسان أكثر يزداد أنسه وتعلقه به ، ونرجع لنشير مرة أخرى إلى بعض الأخبار الغيبية في القرآن .

الانتصار بعد الهزيمة بالنسبة للروم :

ومن الآيات التي أخبرت بالأمور الغيبية هي الآيات الأولى من سورة الروم . وسبب نزول هذه السورة بشكل موجز ، هو أنه في أوائل بعثة خاتم الأنبياء (ص) ، لم يؤمن بدعوته إلا عدد قليل في مكة المكرمة ، ففي السنوات الثلاث الأولى ، لم يكن عدد المسلمين يتجاوز الأربعين حيث كانوا يلاقون أنواع الأذى من قبل المشركين . وفي ذلك الوقت وقعت الحرب بين الفرس والروم في زمان خسرو برويز ، فقد كانت الحروب مستمرة بين امبراطوريتي الروم والفرس ، وكثيراً ما كان العرب يصابون بالضرر من جراء تلك الحروب .

الرباح تحمل الكنز الى خسرو برويز :

ففي تلك الأيام ، أرسل خسرو جيشاً جراحاً لحرب الرومان واتفق أن وقعت كنوز

ملك الروم بيد خسرو بصورة عجيبة .

وقد كان ذلك عندما وضع ملك الروم ذخائره وكنوزه في باخرة لإرسالها إلى إيطاليا خوفاً من استيلاء الفرس عليها ، وبينما كانت السفينة وسط البحر اذ هبَّت رياح شديدة بحيث فقد الملاحون السيطرة عليها ووقعت السفينة بأيدي أعدائهم الفرس ، حتى قيل إن واحداً من تلك الكنوز كان أربعة ملايين مثقال من الذهب الخالص ، وقد قيل عنه انه الكنز الذي جاءت به الرياح ، وقد تغلبت جيوش الفرس في النهاية وغُلِبَ الروم .

استفادة المشركين الإعلامية من هزيمة الروم :

وقد وصل خبر هزيمة الرومان إلى مكة المكرمة ، وقد تفاعل المشركون وعبيد الأصنام بها خيراً . وقالوا بما أن الفرس يعبدون النار ولم يكونوا من أهل الكتاب ، لذلك فهم أقرب إلينا ، أما الرومان النصراني فهم أصحاب كتاب وهم أقرب إليكم ، فكما أن عباد النار قد انتصروا على الروم أهل الكتاب ، إذن فسوف نتصر نحن على المسلمين أيضاً .

وقد تأثر المسلمون من هذا الكلام ، فنزلت الآية الشريفة تخبرهم : ﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بضع سنين ﴾^(١) فاشمتوا ما طاب لكم ، فالوضع لا يبقى على وتيرة واحدة حيث سيغلب الرومان الفرس بعد عدة سنوات فانتظروا عدة سنوات ، وسوف تنقلب الأوضاع ويتصر الرومان أصحاب الكتاب على الفرس عبَاد النار ، والتفاؤل هو لصالحكم حيث أنتم أصحاب كتاب أيضاً ، وستغلبون المشركين ، وقد فرح المسلمون بذلك فعلاً .

رهان أبي بكر على انتصار الرومان :

كان (عُبيد) أحد أثرياء المشركين ، فقال يوماً لأبي بكر إني سمعت محمداً يقول بأن الرومان سوف ينتصرون ؟ فقال نعم ، فقال هل لك أن تراهن على انتصارهم خلال ثلاث سنوات على عشرة من الإبل ؟ فقال أبو بكر قبلت الرهان .

فلما جاء أبو بكر إلى رسول الله (ص) وأخبره بما حدث مع عُبيد ، قال له رسول الله

(١) الروم / ٢ - ٣ - ٤ .

(ص) : زد في المدة والمال .

يعني أن ما عَيَّنْتَه من السنوات الثلاث قليل لأن كلمة (بضع) الواردة في الآية القرآنية تطلق على الثلاثة إلى التسعة .

فجاء أبو بكر إلى عُيَيْد وقال : جئت لأزيد في مدة الرهان ومقدار المال ، فأني أراهنك على مائة من الإبل لمدة تسع سنوات حيث ينتصر الروم .

فقبل عُيَيْد بذلك ، ولما أراد أبو بكر الخروج من مكة أخذ عليه الضمان بالبقاء على ذلك الشرط وقد جعل عُيَيْد ابنه ضماناً لذلك .

تحقق الوعد الإلهي في سبع سنوات :

وفجأة وعلى رأس السنة السابعة وصلت الأخبار بهجوم الرومان المغلوبين في السابق على بلاد فارس وهزموا الفرس واسترجعوا منهم ما أخذوه .

ففرح المسلمون بهذا الخبر ، وأخذ أبو بكر مائة من الإبل من ورثة عُيَيْد ، وسأل رسول الله (ص) عن تكليفه في هذا الصدد فقال له رسول الله (ص) انفقه جميعاً في سبيل الله .

التدريج في الأحكام الإسلامية :

وبالنسبة إلى مسألة رهان أبي بكر قال البعض بأن رسول الله (ص) لم يقل شيئاً .

ولكن ينبغي أن يكون معلوماً بأن الأحكام الإسلامية جاءت بالتدرج ، وأكثر أحكام الحلال والحرام نزلت في المدينة ولم تصدر في ذلك الوقت حرمة الرهان حيث حُرِّمَ بعد ذلك في المدينة .

فلذلك وعلى فرض صحة الرواية بأن رسول الله (ص) قد أيد رهان أبي بكر وأرشده أيضاً ، فإن ذلك لا يتنافى مع تحريمه بعد ذلك في المدينة .

حرمة الرهان آلا في السبق والرماية :

القمار حرام مطلقاً ، وكذلك المسابقة مع العوض (حيث يحمل الفائز على المال

من الخاسر أو من طرف ثالث) إلا في الرماية وركوب الخيل ، حيث إنه نافع لجيوش المسلمين ، وفيه مصلحة عامة لأن المسلمين سوف تزداد قوتهم القتالية ببركة هذه المسابقات في الرماية وركوب الخيل .

الوعد بالغنم والثروة عند فقر المسلمين :

ومن جملة الأخبار الغيبية للقرآن - كما أشرنا إليه سابقاً - هو الوعد بغنى المسلمين في وقت كانوا في أشد حالات الفقر .

اقرأوا تاريخ الإسلام بصورة دقيقة فسوف تدركون أن المسلمين كانوا يعيشون في صدر الإسلام أقصى الظروف الحياتية ، حيث كانوا يرزحون تحت وطأة الفقر المدقع والأوضاع السيئة .

فمن حيث المأكل ، كان يصل الأمر في بعض الأيام أن يكون كل طعامهم في اليوم الكامل حفنة من التمر . أما بالنسبة إلى الملابس فيقول ابن مسعود : عندما كنا نجلس في المسجد كنا نصف أرجلنا ونلاصقها ثم نغطيها بخرقه من القماش لنستر عورتنا ، يعني أنهم كانوا في ضيق بحيث لا يجدون إلا ما يستر عورتهم بشق الأنفس .

ويمكن أن ندرك وضع بيوت المسلمين من خلال بيت رسول الله (ص) ، فقد كان من جذوع النخل ، وكان فراش ذلك البيت من الرمل الناعم .

أما من حيث القوة العسكرية والتسلح من أجل الهجوم ، أو الدفاع في مقابل الأعداء ، فلم يكن لديهم في معركة بدر أكثر من ثلاثة عشر سيفاً في مقابل ٩٥٠ سيفاً للمشركين ، ولم يكن لديهم الأموال الكافية لشراء سكين واحد . وكان مجموع ما يملكون من الإبل سبعة جمال وكان بقية أفراد جيش بدر راجلين .

ففي تلك الأوضاع ، يعدهم القرآن الكريم بالثراء والغانم الكثيرة ، وقد رأيتم تحقق ذلك ، فالغانم كانت في معركة الأحزاب وخيبر وحنين ، أما الغنائم المستقبلية فقد كانت في غزو الروم وبلاد فارس واليمن .

عدم استطاعتهم اطفاء نور الله :

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾^(١) .

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾^(٢) .

فهم يريدون أن يطفئوا نور الشمس المحمدية المشرقة بأفواههم ، ولكنهم لن يستطيعوا أبداً ، بل أن النور قد خرج من المدينة وشمل اليمن والجزيرة العربية بأجمعها ، فحتى في زمان رسول الله (ص) كان صوت لا إله إلا الله قد وصل إلى البحرين « والله متم نوره » .

وقد كان إشراق هذا النور من الشدة ، بحيث لم يمض قرن من الزمن ، حتى وصل إلى الشرق والغرب ، فقد وصل من ناحية المغرب إلى القيروان في غرب الأندلس (اسبانيا) ، ومن ناحية الشرق إلى جدار الصين وسوف يكتمل في زمان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، وقد وعد الله سبحانه وتعالى بعدم انطفاء هذا النور ، فقد ارادوا ويريدون الآن أيضاً اطفاءه ولكن ذلك النور يزداد اشراقاً .

* * *

(١) التوبة / ٣٢

(٢) التوبة / ٣٣

الفصل الثامن

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً
يتنفون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾^(١) .
اثبت النبوة بالحس :

إن إثبات نبوة كل نبي ، أو إمامة أي إمام تامة تكون بواسطة الشهود والحضور ،
يعني أن الإنسان يكون حاضراً في زمان النبي أو الإمام ويشاهده بنفسه ، ويتعرف عليه
وعلى صفاته ثم يحصل له اليقين بأنه أظهر وأكمل الناس في العلم والعمل ، وكذلك يدرك
معجزته بواسطة الحواس .

وهذا هو أحد الطرق ، وهو طريق الحضور والشهود ، والذي هو أحسن طريق لإثبات
النبوة والإمامة .

اثبت النبوة والإمامة بالتواتر :

والطريق الثاني في إثبات النبوة أو الإمامة هو أن يثبت ذلك بالتواتر بأن النبي أو الإمام
كان بهذه الصفات ، وكانت معجزاته وعلمه وعمله كذا وكذا .

ويثبت المطلوب لكل من حصل لديه التواتر حتى لو لم يشاهد ذلك بنفسه ، فليس
من الواجب أن يكون حصول العلم للإنسان عن طريق المشاهدة ، فقد لا يكون بواسطة

(١) الفتح / ٢٩ .

الحضور بل يكون حصول العلم في بعض الأوقات عن طريق السماع ، وليس هو بأقل من المشاهدة .

بأي معنى يكون التواتر ؟

ومعنى التواتر ، هو أن يخبر عدد كثير من الناس عن موضوع معين ، بحيث يقطع العقل باستحالة اجتماعهم على الكذب ، فهنا يحصل له العلم كما لو رأى الإنسان ذلك بنفسه ، فمثلاً أنت لم تذهب إلى مكة ، لكن لا شك عندك في وجودها ، وعندما يشك أحد في وجود مكة فإنه يستحق أن تسخر منه وتقول بأنه مجنون ، في حين أنه يمكن أن يقول لك : هل ذهبت يوماً إلى مكة ؟ وهل رأيت مكة ؟ .

وتقول : لم أذهب ، لكنني على يقين من وجود مكة حيث تذهب جماعات من الناس إلى مكة في كل سنة من أقطار متعددة ومتباعدة ، ويستحيل اتفاقهم على الكذب ، وهذا المعنى هو التواتر ، والميزان فيه ليس هو الكم ، بل الكيفية فقد يثبت التواتر في بعض الأحيان بعشرة أو عشرين شخصاً ولكن قد لا يحصل اليقين في أحيان أخرى بمائة شخص ، حيث يرتبط ذلك بالأشخاص المخبرين وكيفية إخبارهم .

ثبوت نبوة محمد (ص) بالتواتر :

ولا شك لأي شخص بظهور شخص خاتم الأنبياء محمد (ص) بن عبدالله بن عبد المطلب قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، وأدعائه النبوة حيث قال ﴿ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾^(١) . يعني ليست نبوتي خاصة بكم يا أهل مكة ، أو يا أيها العرب ، بل عامة الناس جميعاً إلى يوم القيامة .

فلا يشك أحدٌ في هذه المسألة ، وهي ادعاء محمد (ص) للنبوة ودعوته الناس إلى التوحيد الخالص .

أوصاف محمد في كتب الأخبار :

أما صفاته وملكانته الشريفة من حيث العلم والعمل ، فلا يخفى على من كان له أدنى اطلاع على كتب الأخبار والروايات ، بحيث ورد ذلك بحد التواتر ، ولنسمع صفات رسول الله (ص) من لسان زوجته .

فقد روي أن عدداً من أهل الكتاب الذين سمعوا بنبوة محمد (ص) جاءوا إلى المدينة لرؤيته ، لكنهم عندما وصلوا كان رسول الله (ص) قد توفي .

فقالوا إن أقرب الناس إلى محمد (ص) هو زوجاته فلنسأل زوجاته عن صفاته وحالاته ، فضربوا لذلك ستاراً وأخذت إحدى زوجات النبي تحدثهم من وراء الستار وقالت :

صفات محمد في القرآن :

« كيف يتسنى لنا وصف محمد (ص) ؟ لقد كان خلقه القرآن » فمن أراد أن يعرفه ويتعرف على كيفية حياته فعليه بقراءة القرآن بدقة ، فكل ما موجود في القرآن هو ما كان عليه محمد (ص) فالقرآن يعني عملاً جسدهُ محمد (ص) .

ومثال ذلك ، أن الله عز وجل يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

وقد كان أسلوب محمد (ص) وسيرته هي العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وكان يتجنب الفحشاء والمنكرات والظلم ، ويأمر الآخرين باجتنابها .

وبالنسبة إلى فضائل نبي الإسلام ، فقد اعترف بها حتى أعداؤه ومحاربوه ، كبعض النصارى ، وخضعوا أمام عظمتهم وشهدوا بطهارة روحه ، فقد ثبت لحد الآن امران أساسيان بالتواتر : أحدهما ، هو ادعاء النبوة ، والآخر : هو الشخصية المثالية للرسول (ص) حيث يتصف بجميع الصفات الكمالية .

لا يمكن احصاء معجزات النبي محمد (ص) :

والشيء الذي يبقى هو المعجزة التي تشهد على صدقه في ادعاء النبوة ، ولسنا بحاجة إلى المعجزات في زمانه بالخصوص ، وقد ذكرنا بالتفصيل أن المعجزة الباقية لمحمد (ص) هي القرآن الكريم ، ولا حاجة لإثبات سائر المعجزات بالتواتر ، ومع ذلك فإن الله تعالى ، ومن أجل إظهار عظمة شأنه وإكمال حجته ، قد أعطى من المعاجز إلى محمد (ص) - لإزالة كل شك وريب - بحيث إن معاجزه لا تعد ولا تحصى وكل ما ذكره كان من باب النموذج .

اثبات أربعة آلاف معجزة :

فقد أثبت صاحب كتاب « أنيس الإعلام » أربعة آلاف معجزة ، وهذا لا يعني عدم وجود غيرها ، وانها منحصرة في هذه المعجزات .

فقد صدرت المعجزات من عينه ولسانه وبيده ورجله ، وقد وردت بعض تلك المعجزات بالتواتر ، كمعجزة شق القمر ، كما نص عليها القرآن الكريم ، وتسبيح الحصى في يده المباركة ، والتي ثبتت لوحدها بالتواتر .

معجزة اللعاب والتواتر المعنوي :

وقد وصل إلينا بعضها بالتواتر الإجمالي ، وهو يعنى وقوع عدة قضايا نفهم من جميعها مفهوماً معيناً ، فمثلاً البركات التي كانت للعبابه ، والتي وردت في الروايات ، حيث تفهم بمجموعها بأنه قد أظهر المعجزات بلعبابه .

إذن فبالتواتر المعنوي يثبت بأن الله عز وجل قد جعل في لعب النبي (ص) أثراً خارقاً وإعجازياً .

الصاق رجل معاذ باللعاب :

وعلى سبيل المثال ، فقد ذكر السنة والشيعه ، ان من كان يبتز له عضو من أعضائه في الحروب ، كان رسول الله (ص) يضع شيئاً من لعبه المبارك على ذلك العضو ويلصقه في محله ، فكان يبرأ فوراً ويرجع إلى ما كان عليه وكأن شيئاً لم يكن .

ففي معركة بدر ، تقابل مُعَاذ بن جبل مع أبي جهل ، فسبقه أبوجهل وضرب رجله معاذ بالسيف فقطعها ، فجاؤوا بمعاذ ورجله المقطوعة إلى رسول الله (ص) فوضع رسول الله (ص) شيئاً من لعبه المبارك على رجله ولفها ، ثم فتحها وقد شفيت رجله تماماً .

شفاء عين علي (ع) المصابة بالرمد :

ومن جملة الروايات المشهورة والقطعية الواردة في غزوة خيبر ، هو أن علياً (ع) كان مصاباً بالرمد الشديد في عينه بحيث كان يتوجع لذلك كثيراً .

وكان مَرْحَب يدعو الناس إلى البراز حتى أن الصحابة انسحبوا ولاذوا بالفرار .
وقال رسول الله (ص) لأَعْطَيْنُ الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
كَرَّارٍ غير فَرَّارٍ وسيكتب الله النصر على يده .

فلما أصبح الصباح قال (ص) أين علي (ع) ؟ فقالوا إنه مصاب بالرمد ، فقال
اثنوني به ، فلما جاء علي (ع) مسح على عينه بلعابه فلم يُصَبْ بعد ذلك بألم في عينه
إلى آخر عمره ودعا له أيضاً وقال : آلهي احفظه من الحر والبرد ، فكان الحر والبرد لا
يؤثران فيه بعد ذلك .

إشباع الكثيرين بالطعام القليل :

ومن جملة المعجزات المذكورة في كتب الروايات ، قصة إشباع العدد الكثير
بالطعام القليل .

ففي معركة الخندق ، والتي شارك رسول الله (ص) بنفسه في حفرة ، حتى إنه كان
يعمل أكثر من الآخرين ، وقد صادف ان كانوا في قحط شديد ، بحيث بقي رسول الله
(ص) وأصحابه بدون طعام لمدة ثلاثة أيام ، وقد كانت لجابر شاة ، فقال لرسول الله
(ص) ان عندي شاة في بيتي وسأذبحها لتطعم منها .

فقال رسول الله (ص) هل اجيء لوحدي أم مع أصحابي ؟
فاستحى جابر أن يقول له لوحدي ، وتصور أن رسول الله (ص) سوف يأتي مع عدة
من خواص أصحابه فلذلك قال : بل مع الأصحاب .

وقد كان عدد الذين يحفرون الخندق يقارب السبعمائة نفر ، فدعاهم رسول الله
(ص) إلى بيت جابر لتناول الطعام .

وذهب جابر إلى بيته ، وأخبر زوجته بالأمر ، فقالت زوجته العاقلة هل أخبرت
رسول الله (ص) بما عندنا ؟ فقال نعم : فقالت :
- اذن لا خوف من ذلك فهو أعلم بما هو صانع .

فلما جاء رسول الله (ص) كان أول ما صنع انه ذهب إلى التنور وبصق فيه ، وأمر
زوجة جابر وقال لها : عليك بإخراج الخبز وقال لعلي (ع) عليك بتقطيع الخبز في

الصحنون ، وكان جأبر على اللحم أيضاً ، فكان رسول الله يتناول الطعام منه ويعطيه إلى الأصحاب حتى شبعوا جميعاً ، بينما بقيت الشاة على حالها على المائدة فعلى هذا يحصل للإنسان اليقين من مجموع تلك القضايا التي ذكرنا بعض النماذج منها ، بأن لعابه المبارك له تأثير خارق بحيث تصدر منه المعجزات .

المعجزات الصادرة من لسان النبي (ص) :

والآخر ، هو كون لسان النبي (ص) معجزة أيضاً ، فلم يذُع يوماً إلا واستجيب دعاؤه وتحقق كلما جرى على لسانه .
جاؤا إليه يوماً بكيس فيه دراهم من فضة ، فقال افرغوا الذهب ، فتحول جميع ما في الكيس إلى ذهب .
وكم احى الموتى بلسانه المبارك ، حيث طلب من الله ذلك ، فرجعوا إلى الحياة ، ونكتفي بذكر معجزة واحدة كنموذج .

احياء ولجين لصاحب البيت :

كان أحد الصحابة راغباً في دخول النبي (ص) إلى بيته ، فقال لزوجته بأنني سوف ادعو رسول الله (ص) ، ثم انه ذبح شاة له ، واشتغلت زوجته بتهيئة الطعام وذهب هو إلى رسول الله (ص) ليدعوه إلى بيته .

وكان أحد أطفاله ينظر إليه ساعة الذبح ، فقال لأخيه في غيابه : ألم تشاهد كيف ذبح أبي الشاة ، فهل تريد أن تعرف ذلك ؟ فقال نعم ، فصعد كلا الطفلين إلى السطح حيث مدد أخاه ووضع السكين في رقبته وذبحه أما الأم فلما رأت ذلك صاحت به ماذا تفعل ؟ فخاف الولد وهرب من الجهة الأخرى للسطح وسقط إلى الأرض ومات .

فما العمل الان ؟ حيث إن ضعفاً عزيزاً يريد القدوم بعد أن كانوا يأملون قدومه مدة من الزمان ولكن حدث ما حدث .

وأخيراً جاء رسول الله (ص) مع ذلك الصحابي إلى البيت ، فأخبرت المرأة زوجها بما حدث ، وأكدت عليه أن لا يظهر ذلك كي لا يتأثر رسول الله (ص) ، فما كان منه إلا أن لف جسدهما لكي يدفنهما بعد ذهاب رسول الله (ص) .

فتزل جبرائيل على رسول الله (ص) وقال : قل له بأنني لا أكل الطعام حتى يأتي ولدك . فقال رسول الله (ص) ادع أطفالك أيضاً فقال : ليس لي إليهما سبيل ففضل بأكل الطعام .

فقال (ص) لا يمكن ذلك فإنه أمر من الله ، فاضطر أخيراً لإخباره بما جرى على ولديه ، فقال رسول الله (ص) هات الجثمانين ، ثم دعا رسول الله (ص) واحياهما في ذلك المجلس وأكلا الطعام مع رسول الله (ص) .

هذا هو نموذج على معجزة لسان النبي (ص) .

ثراء جعفر ببركة دعا النبي (ص) :

والنوع الآخر من معجزات لسانه المبارك ، هو الأدعية التي دعا بها لبعض الأشخاص واستجيب دعاؤه ، ففي المجلد السادس من بحار الأنوار ، هناك باب مفصل حول هذا الموضوع . ومن ذلك ما جرى لعبدالله بن جعفر عندما كان طفلاً ، فقال له رسول الله (ص) ماذا تفعل ؟ فقال أبني بيتاً ، فقال (ص) - وما تفعل به ؟ قال : أبيعه واشتري به تمراً .

فتبسم رسول الله (ص) وقال : بارك الله في معاملتك . وقد كان أبوه جعفر الطيار الذي استشهد في الحرب ، وكان رسول الله (ص) يحب هذا الطفل الذي أصبح فيما بعد زوجاً للحروراء زينب (ع) ، فبسبب هذا الدعاء أصبح عبدالله من أغنى الناس ، وكان يضرب به المثل في الكرم والسخاء .

الأخبار الغريبة للرسول (ص) :

والنوع الآخر لمعجزات لسانه المبارك ، هو إخباره بالغيب وتحقيقه فيما بعد ، بل إخباره عن الماضي والمستقبل سواء كان في القرآن أو في الروايات .

ولم يقرأ محمد (ص) كتاباً ، ولم يذهب إلى كتاب ولم ير أستاذاً ، ومع ذلك فكّم أخبرنا بالمغيبات ، والتي ذكرت في المجلد الأول من كتاب « حياة القلوب » وكذلك في مجلدات بحار الأنوار .

اخبار النبي (ص) بالنسبة لأهل بيته :

وأشير فقط إلى ما أخبر به من مصائب أهل بيته ، فقد أخبر بما يجري على الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين إلى الحجة بن الحسن عليهم السلام ، وقال لعلي (ع) سوف تكون جليس الدار ، وسوف يقاتلك الناكثون والقاسطون والمارقون (طلحة والزبير وعائشة وكذلك معاوية والخوارج) .

وأخبر عائشة بخروجها لحرب علي (ع) ، وبأنك سوف تفعلين كذا وكذا .
وأخبر علياً بأنهم سوف يضربون رأسك بالسيف في شهر رمضان .
وأخبر ابنته الزهراء (ع) بأنك سوف ترحلين عن الدنيا قريباً ، وأنت أول من يلتحق بي من أهل بيتي ، وكم سوف يلحقون بك الأذى ويغصبون حقك ويسقطون ولدك .

وقال في حق الحسن (ع) انهم سوف يدسون إليه السم ، واخباره بما يجري على الحسين (ع) في كربلاء حيث تعلمون ذلك جميعاً .

وقال^(١) (ص) لجابر بن عبدالله الأنصاري بأنك سوف تبقى وتدرك محمد بن علي الباقر (ع) فأقرأه عني السلام .



(١) أصول الكافي ، ٤٦٩/١ .

الفصل التاسع

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(١) .

ذكر وتعظيم محمد (ص) يبعث المحبة :

حديثنا اليوم حول النبي محمد (ص) أيضاً وصفاته الكمالية ، فيجب أن يزداد شوقكم وحبكم عندما نذكر اسمه ، لأن ذكره يبعث على الوجد .

فقد كان الإمام الصادق (ع) عندما يذكر اسم محمد (ص) يطأطئ رأسه إلى قرب ركبته تعظيماً .

يقول سعدي الشيرازي المعروف :

يا سعدي إذا أردت أن تكون عاشقاً فيكفيك عشق محمد وآل محمد .

وإن الشمس والقمر لا يشرقان يوم المحشر فالنور هناك هو جمال محمد (ص) .

وعلى كل حال فقد ذكر الله عز وجل في الآية المذكورة خمس خصال من صفات

محمد (ص) : فهو الشاهد والمبشّر والنذير ، والداعي إلى الله ، والسراج المنير .

محمد الشاهد على الله :

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا » شاهد أعلى الله وأسمائه وصفاته ، فقد جعل الله عز وجل

محمد (ص) مرآة لأسمائه الألف ، وجعل ظهور أسمائه فيه ليكون محمد (ص) شاهداً

(١) الأحزاب / ٤٤ - ٤٥ .

على وجود الله وحقيقة الله . . . محمد شاهد على عظمة الله .

وأوضح ذلك أكثر ، فإن علم محمد شاهد على علم الله ، وكذلك « هو السميع البصير » فسمع وبصر محمد (ص) شاهد على أن الله سميع بصير .

وقد كان رسول الله (ص) يرى خلفه كما يرى أمامه ، فلم يكن يحجبه شيء ، وكانوا يأتون ويقفون خلف الحائط فيقول رسول الله (ص) يا من تقفون خلف الحائط سلام عليكم .

ويقول لماذا أرى صفوف جماعتكم غير متساوية ، فحتى لو كنتم ورائي فلاني أراكم أيضاً .

وينام لكن أذنه تسمع ، وعينه ترى ، وقلبه مستيقظ ، فسمعه وبصره شاهد على سمع وبصر الله حيث إن الله تعالى يراكم أيضاً .

إحاطة علم النبي محمد (ص) بالماضي والمستقبل ،

ماذا أقول عن إحاطته العلمية بالماضي والمستقبل ؟ فهو يرى الماضي من زمان آدم (أبي البشر) ، بل من عالم الذر وابتداء الخلقة وما قبلها . والمستقبل كذلك ، فهو يرى إلى قيام القيامة وما بعدها . وقد قال بنفسه فوق المنبر : أيها الناس ان أسماء أهل الجنة عندي واني أعرف أهل جهنم أيضاً .

فالإحاطة العلمية للنبي محمد (ص) شاهد على الإحاطة العلمية لله عز وجل .

القُدرة المترشحة من قُدرة الله تعالى ،

وبالنسبة إلى قدرته ، فأى قدرة أعلى من أن يشير إلى القمر بأصبعه فيقسمه إلى نصفين ، ويشير إلى الشجرة فتأتي إليه ثم ترجع إلى مكانها ، وتمطر السماء كذلك وتتحرك الغيوم أو تقف ، فكل ما أراد شيئاً فانه يتحقق ، فقدّرتة شاهدة على قدرة الله عز وجل الغير مناهية .

عفوه وحلمه وكرمه أيضاً نموذج من صفات الحق ، فيا من تريدون أن تتعرفوا على ربكم انظروا إلى كرم محمد وعفوه وحلمه لتعرفوا كرم الله وعفوه وحلمه ، وأذكر هنا قصة في عفوه .

يعطى من وحشي قاتل حمزة :

كان وحشي غلاماً لهند زوجة أبي سفيان ، وقد قتل حمزة سيد الشهداء عم النبي (ص) ، وبعد ذلك مثل بجسده ، وشق خديه وصدره بالخنجر ، ثم أخرج كبده ، وقد سمعتم بأن هنداً قد لاكت بأسنانها كبـد ذلك الرجل العظيم لتأكله ، ولكن كما ورد في بعض الروايات انه تحول إلى أصلب من الحجر في فمها ولم تستطع أكله ، يعني أن الله عز وجل لم يرد أن يكون كبـد انسان شريف مثل حمزة جزءاً من بدن كافر مثل هند ، وقد أهدر رسول الله (ص) دم وحشي ، يعني صدر الحكم بإعدامه غيابياً ويجب على كل مسلم أن ينفذ ذلك الحكم .

وعندما أراد وحشي القدوم على رسول الله (ص) ، أرسل رسالة يقول فيها بأنني لو ثبت فهل تقبل توبتي ؟ فقال (ص) : نعم .

فجاء وحشي وأسلم وتاب من أفعاله السابقة وقد عامله رسول الله (ص) وكأنه لم يصنع شيئاً .

أجل ؛ فهذا نموذج من عفو الله الذي اختص به رسوله (ص) .

الكافر الذي رأس رسول الله (ص) وحيداً :

وقع رسول الله (ص) على الأرض في معركة أحد وسقط سيفه إلى جانبه ، فوصل إليه أحد المشركين وقال في نفسه لقد وصلت في الوقت المناسب ، فمحمد وحيد وبدون سلاح فلا بد أن أقتله .

رفع سيفه ليضرب به رأس النبي (ص) وقال : يا محمد ، من يستطيع انقاذك من يدي الآن ؟ فقال رسول الله (ص) بكامل برودة الأعصاب : ربي .

فارتعشت يد الأعرابي فوراً ، وسقط السيف من يده ، فقام رسول الله (ص) وأخذ سيفه وقال : والآن من يخلصك من يدي .

فقال الأعرابي بذكائه : عفوك وكرمك .

فقال : لقد تركتك ، فقام وذهب .

أجل ، فان الحياء والعفو ، والأدب والوفار والسكينة وكل واحدة من صفاته الكمالية شاهدة على صفات خالق العالم ، فهذا أحد المعاني لكلمة الشاهد بالنسبة إلى النبي محمد (ص) .

الشاهد على أعمال الناس :

والمعنى الآخر لكلمة « الشاهد » عبارة عن كونه شاهداً على أمته وعلى سائر الأمم ، فقد جعل الله نبيه محمد (ص) شاهداً لأجل الاعتناء بأعمال عباده ، فنفس صلاتك وصومك وحجك يقع مورداً للعناية الإلهية حيث يرى الله تعالى أعمال عباده ، فقد جعل لذلك شاهداً مثل محمد على الأعمال .

ففي يوم القيامة يكون النبي (ص) شاهداً على كل فرد من أفراد أمته ، فهنيئاً للمؤمنين الذين يكون النبي (ص) شاهداً على عبادتهم ، وكذلك فإن أي واحد من الأئمة عليهم السلام شاهد على أعمال العباد أيضاً .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « مالكم تسؤون رسول الله (ص) ؟ ! فقال رجل : كيف نسؤوه ؟ فقال : أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية ساء ذلك ، فلا تسؤوا رسول الله وسرّوه »^(١) .

البشير والنذير :

« مبشراً ونذيراً » فالنبي محمد (ص) هو البشير والنذير ، والتبشير والإنذار على جميع الأنبياء ، لكن لم يصل أحد إلى الصفات الكمالية إلى ما وصل إليه نبينا الكريم .

ومضت سنوات وأنتم تسمعون تبشيرات النبي محمد (ص) ، وكما قال الإمام علي (ع) : لولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين .

أجل ، فقد بشر أهل التقوى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾^(٢) . ومن جهة أخرى

(١) أصول الكافي ، ج ١ / ٢١٩ ح / ٣ باب عرض الأعمال على النبي والأئمة (ع) .

(٢) سورة فصلت / ٣٠ .

فهو نذير لمن كان ظالماً سواء كان الظلم للنفس من شرك أو كفر معصية ، أو الظلم للآخرين ، فعندما يموت الظالم ، تأتي إليه ملائكة العذاب بسفود من نار لقبض روحه ، ويقبضون روحه بضربه بالسياط على وجهه وظهره . وقد روي أن علياً (ع) قال لرسول الله (ص) : « هل يصيب ذلك أحداً من أمتك » فقال : نعم ، حاكم جائر ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وشاهد زور »^(١) .

البشارة والأمن حول اليتيم :

وقال (ص) على المنبر وقد الصق اصبعيه السبابة والوسطى : « أنا وكافل اليتيم كهاتين »^(٢) وطبعاً فإن ذلك يشمل الإنسان الذي لم يقصر في تربية اليتيم حتى يصل إلى سن الرشد .

قد أُنذر من جهة أخرى « الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً »^(٣) .
فقد بشر وانذر أيضاً .

البشارة للكاسب الأمين :

وقد بشر رسول الله (ص) التاجر الصادق في كلامه ، والمخلص في عمله وقال « التاجر الصدوق يحشر مع الأنبياء ووجهه كالقمر ليلة البدر » . ومن جهة أخرى فقد انذر أيضاً ، ذكر الشيخ الأنصاري في المكاسب المحرمة أن من يغش الناس في المعاملة لا يعتبر مسلماً وقال : .

كان رسول الله (ص) ماراً في سوق الخضار فرأى حنطة فوضع يده في وسط الحنطة وأخرج قبضة منها فوجد هارطة في حين أن الظاهر منها كان جافاً فنهاه عن الغش (حيث غطى القسم الرطب وأظهر الجاف منه) فهذا غش ويعنى أنه خيانة في المعاملة « ليس من المسلمين من غشهم »^(٤) .

(١) وسائل الشيعة : كتاب القضاء / أبواب الشهادات باب تحريم شهادة الزور ح / ٣ .

(٢) سفينة البحار ٢ / ٧٣١ .

(٣) النساء / ١٠ .

(٤) الوسائل : التجارة ، أبواب ما يكتسب به ، الباب ٨٦ حديث / ٢ .

البشارة والامن للنساء :

واذكر بشارة تتعلق بالنساء .

فقد جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) وقالت : يا رسول الله لقد تخلفنا عن الرجال للرجال جهاد وجماعات ، فماذا نصنع ؟

فقال رسول الله (ص) : لو اقمتم الصلاة واديتن الزكاة وصمتن وذهبتن إلى الحج واطعتن أزواجكن ضمنت لכן الجنة ، فتكليف النساء أخف من تكاليف الرجال ، وقد أُنذر كذلك ، فقد روي أن رسول الله (ص) قال يوماً لابنته الزهراء : لقد رأيت ليلة أُسري بي امرأة معلقة من شعرها لأنها كانت تكشف عن شعرها أمام الأجانب .

وقال (ص) إذا اطاعت المرأة زوجها فإن الله يعطيها ثواب اطاعته ، يعني كأنما اطاعت الله تعالى ، وقال رسول الله (ص) : أيما امرأة تطيبت ثم خرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها متى رجعت^(١) .

الفضلات هي نهاية نعيم الدنيا :

وقد جاء في ارشاد القلوب للدليمي أن رسول الله (ص) كان يسير في عدة من أصحابه إذ وصلوا إلى مزبلة ، فأشار إليها رسول الله (ص) وقال : ما هذا ؟ ولم يكن سوى بعض الخرق ، وعدة عظام نخرة ، ومقدار من الفضلات الجافة :

فقال (ص) : هذه هي نهاية الدنيا ، فهذه الأوساخ هي نهاية هذا الإنسان أيضاً . يقول ابن مسعود : فبكى أصحابه عند ذلك بتأثير موعظة الرسول (ص) .

ابنوا قصور الجنة بأنفسكم :

وأخبر رسول الله (ص) عن كيفية الإستفادة من عمركم ومالككم في تهيئة وسائل السفر ، فالجنة مهيئة مستعدة (ان الجنة قاع صفصف) فهي معدة لزراعة الأشجار وبناء القصور ، ولا يكون ذلك إلا بأيديكم .

وقال رسول الله (ص) :

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال .

« لما أمر بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعاناً ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وربما أمسكوا فقلت لهم : مالكم قد أمسكنم ، قالوا : حتى تجيئنا النفقة ، قلت : وما نفقتكم ؟ قالوا : قول المؤمن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإذا قال بنينا وإذا أمسك أمسكنا^(١) .

فزرع الأشجار بأيديكم أنتم ، فالحور والقصور تصير بسبب أعمالكم الصالحة كما أن المعصية هي السبب في خرابها .

لقاء الإمام علي (ع) طليعة الجنة :

وقال (ص) ما مضمونه انه ما من مؤمن يموت إلا واستقبله ألف ملك وبأيديهم الورود والرياحين فيشيعوه إلى الجنة (البرزخية) .

وفي الحقيقة فإن رؤية المؤمن لجمال علي (ع) عند خروج روحه هي طليعة الجنة ، فكم يبلغ فرحه وسعاده وسروره عندما يرى وجه محبوبه علي (ع) المنير ؟ عند ذاك يخرج حب الغير من قلبه ويغرق المؤمن في عالم الشوق واللذة ، وما أجمل هذا المعنى الذي صوّره أحد الشعراء :

يا من قلت مَنْ يَمُتْ يَرْنِي ، فدتك نفسي على كلامك الجذاب ، فياليتني مت في كل يوم ألف مرة لكي أراك .

* * *

(١) البحار ج ٤ ص ١٢٠٨

الفصل العاشر

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾^(١) .

المحرف من الرسالة الإسلامية حياة الإنسان :

هناك مطلب مهم ينبغي الإشارة إليه في باب النبوة والإمامة والنتيجة المترتبة على ذلك ، كما نستفيدة من القرآن الكريم وهو أن الهدف من إرسال الرسل ، هو تحقق الحياة الانسانية ، والغرض من تشريع الشرائع ، هو أن يكون الإنسان إنساناً ، وهذا يتوقف على توضيح معنى الحياة وأقسامها .

الحياة منشأ الحركة :

الحياة هي القوة التي تبعث على العمل والحركة ، وهي على ثلاثة أقسام نباتية وحيوانية وإنسانية .

الحياة النباتية : هي أن ينمو الجسم في أبعاده الثلاثة وهي الطول والعرض والإرتفاع ، ويكون متحركاً كالشجرة التي لم تجف ، فإن لها حياة نباتية ، حيث تنبت الأغصان والأوراق والورود والأنمار . أو تكون حركتها من الحامض إلى الحلو ، فثمرة العنب تتحرك منذ بداية غرسها إلى أن تتبدل من الحصرم إلى عنب حلو ، وإلا فإن الشجرة ميتة ، فعندما لا تتحرك ولا تورق ولا تثمر فإنها في الواقع جماد لا يستفاد منها إلا للاحراق .

(١) الأنفال / ٢٤ .

الحياة النباتية في جميع الحيوانات :

هذه هي المرتبة الأولى من الحياة ، وهي موجودة في كل واحد منا أيضاً ، ففي البدء كنا قطرة ماء ، ونتيجة التحولات التي حصلت في الطول والعرض والإرتفاع ، وُجد البدن والأعضاء ، حيث يحصل البدن على الغذاء وينمو باستمرار .

المرتبة الثانية : هي الحياة الحيوانية والتي هي منشأ الحركة والحس ، فاللدودة الصغيرة لها قوة لامسة هي أول مرتبة من الحياة الحيوانية فعندما ندني منها خشبة فإنها تجمع أطرافها فوراً كردة فعل لذلك ، لكنها تفتقد إلى سائر القوى .

وما دام الحيوان متحركاً فإن فيه حياة ، فعندما يذبحون الشاة يقولون إنها ما زالت على قيد الحياة ما دامت تتحرك ، أو عندما يجس الطبيب نبض الإنسان المحتضر يقول إنه حي ما دام ينبض قلبه .

فمن هذه الجهة لا فرق بين الإنسان وسائر الحيوانات أيضاً ، فإن منشأ الحركة في كليهما واحد .

الحياة الإنسانية ناتجة من نور المعرفة :

أما الحياة الإنسانية - والتي هي المرتبة الثالثة والأساس في بحثنا - فالذي يقابلها هو الموت الإنساني ، يعني أن هناك قوة تحصل في نفس الإنسان ، ويعبر عنها الشرع بالنور ، أي نور الإيمان ، ونور المعرفة الذي لو حصل لدى الإنسان لكان منشأ لأمور عالية ، كما كانت الحياة الحيوانية منشأ الحس والحركة .

هناك الغضب والحرص في الحياة الحيوانية ، وجمع الأموال ، فلو أنه صار إنساناً وعاش الحياة الإنسانية ، لصدر عنه ما يليق بالإنسان ، ولنضرب مثلاً على ذلك .

ولد الخنزير له ولد الغزال :

روي أنه اجتمع في قديم الزمان ذئب مع انثى الغزال فحملت منه وولدت ولداً ، فاختلف في أن هذا المولود هو ابن للذئب ليحرم أكله من الناحية الشرعية أو انه ابن الغزال ليكون حلال اللحم .

وذكر صاحب كتاب (فيه ما فيه) بأن القاضي أصدر حكماً لطيفاً وقال عليكم أن

تجربوه ليتضح الأمر ، وهو أن يوضع في جهة معينة مقدار من الجيف ومقدار من المسك والرياحين في الجهة الأخرى . فإذا رأيتم أن هذا الولد اتجه نحو الجيفة فهو ابن أبيه وولد الذئب وآكل للجيف ، أما لو لم تظهر منه رغبة في ذلك واتجه نحو الرائحة الطيبة فهو ابن الغزال .

ظهور ما يحل على الحياة الإنسانية :

فالمقصود هو أن الإنسان لو وفق إلى الحياة الإنسانية لظهرت على تصرفاته آثار هذه الحياة الإنسانية حتماً .

كيف يمكن أن تصدر آثار الحيوانية من الحمار والبقر ولا تصدر آثار الحياة الإنسانية من الإنسان ؟

إذا حصل الشخص على الحياة الإنسانية ، فمن آثار ذلك هو العفو والحلم والوقار ، فالذي لا يمتلك هذه الصفات فهو ما زال حيواناً ، فالذي لا يعفو هو حيوان يسير على قدمين وكل شخص أناني كذلك .

ما أصعب أن يكون انساناً :

عندما يحصل الإنسان على الحياة الإنسانية ، فإن روحاً ملائكية سوف تنبعث فيه ، سوف لا يفكر إلا في إيصال نفعه وخيره إلى الآخرين . . . ويحب الإيثار ، يعني يجد نفسه مستعداً لأن يترك الأكل من أجل أن يأكل الآخرون ، لكن لو كان كل تفكيره منحصراً بذاته فسيكون انساناً بالشكل فقط ، أما واقعه وملكوته وباطنه فهي غريبة عن جوهر الإنسانية .

ومن الأمثال القديمة في هذا المجال هو « ما أسهل أن يكون المرء عالماً وما أصعب أن يكون إنساناً » .

وهذا ليس بالأمر الهين ، فمن الصعب واقعاً أن يصبح الشخص إنساناً ، والحياة الإنسانية لها علاماتها وآثارها والتي من جملتها البذل والعطاء والعفو ، حيث يكون مستعداً لأن يخسر ماله في سبيل راحة الآخرين .

وبهذه المناسبة أذكر سبب نزول سورة « الليل » .



معاملة أبو الدحداح مع الأنصاري :

كان لأحد الأنصار جار في المدينة ، وكان لذلك الجار نخلة قد تدلى جانب منها على بيت الأنصاري الفقير ، فعندما كانت هذه النخلة تحمل رطباً ، كان بعض الرطب يتساقط في بيت الجار الفقير حيث يلتقطه أطفاله ، وبمجرد أن يرى صاحب النخلة الرطب في يدا أولئك الأطفال يضربهم ويأخذ ما بقي من التمر من أيديهم .

وكان هذا الفقير يتحسر لذلك ، فجاء يوماً إلى رسول الله (ص) وقال : إن لجاري نخلة وقد مال جانب منها على داري ويأكل أولادي من الرطب المتساقط منها ، لكن جاري يأتي ويضرب الأطفال .

فأرسل رسول الله (ص) خلفه وقال له : بعني تلك النخلة وأعطيك بدلاً منها نخلة في الجنة .

ففكر قليلاً وقال : إن هذه النخلة أحسن ما عندي من النخيل .
فوصل الخبر إلى أبي الدحداح ، فذهب إلى صاحب النخلة وقال : هل تبيعني هذه النخلة ؟

فقال : لا .

فقال أبو الدحداح : أعطيك أربعين نخلة ان وهبت هذه النخلة لرسول الله (ص) .
فقال : اني لا أعطي هذه النخلة إلا إذا أُعطيَتْ في مقابلها أحسن بساتين المدينة .
فقال أبو الدحداح : إن لي بستاناً كذلك ، وأنا أعطيك ذلك البستان في مقابل هذه النخلة فقبل بذلك .

فجاء أبو الدحداح إلى رسول الله (ص) وقال لقد أصبحت هذه النخلة ملكي واني وهبتها لك .

فقال رسول الله (ص) : واني وهبتها بدوري لهذا الأنصاري الفقير ليأكل أطفاله منها .

فأنزل الله عز وجل سورة من قرآن في حق (أبي الدحداح) هي سورة (الليل) حيث يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (١) .

(١) الليل / ٥ - ٧ .

احصل على قلب ان استطعت :

فلأنه عاش حياة إنسانية ، فقد أنزل الله تعالى في حقه سورة قرآنية ، فهو ليس أنانياً بعد الآن بحيث يتلذذ بالنظر إلى بستانه ونخيله ، بل أن لذته في الحصول على المحبة في القلوب ، فهو مستعد لإعطاء خمسمائة نخلة في مقابل نخلة واحدة لتفرح بذلك قلوب البعض .

أجل ان بإمكان الإنسان أن يصل إلى ذلك المستوى ، وقد ورد في الرواية أن « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

فكما أن الحديد والحجر والأسمنت والخشب تحفظ البناء ، فكذلك بنو آدم يشد بعضهم بعضا ، ويخدم أحدهم الآخر .

يهيئ وسائل السفر الى الآخرة :

ومن علامات حصول جوهر الإنسانية عند أحد الأشخاص ، هو انه لا يهدأ له بال في تحصيل الزاد لآخرته ، أما الآخرون الذين يعيشون كالحيوانات ، فهمهم هو بناء القصور والبساتين ، لكن من أفعم قلبه بالحياة الإنسانية فهو يفكر دائماً في آخرته .

وقد ذكروا أن أحد الأشخاص بنى عمارة وانفق عليها ثلاثمائة وخمسين ألف تومان ، فجاء آخر وبني إلى جوارها عمارة أخرى أحسن منها ، فأمر أن يهدموا عمارته ليبني عمارة أحسن من عمارة منافسه ، فقد تصل الأنانية إلى هذا الحد ! فلماذا لا تعطى أموال هذا البناء الجديد إلى الفقراء ؟

عتق سبع جواربي للخلاص من النار :

فهل من شخص قد أحى قلبه وهو مشغول بتهيئة أمور سفره إلى الآخرة ؟ وقد كان رسول الله (ص) مرة مشغولاً بالصلاة ، فحضرت امرأة جليلة إلى صلاة الجماعة فقرأ رسول الله (ص) هذه الآية :

﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾^(١) . فلما سمعت المرأة آية العذاب هذه تغير حالها ، وجاءت بعد الصلاة إلى رسول الله

(ص) وقالت إنما أملكه هو سبع جوارى وقد اعتقتهم جميعاً لوجه الله ، لكي يخلق الله تعالى أبواب جهنم السبعة أمامي ويعتقني من النار .

أجل ، وبعد وفاة خاتم الأنبياء أيضاً ، حصل الكثير من الناس على الحياة ببركة الحياة الطيبة الإنسانية لرسول الله (ص) .

الانس بخسر الله من لوازم الحياة الإنسانية ،

من جملة علامات الحياة الإنسانية ، هو الشوق إلى ذكر الله والأنس بالله ، وذكر الآخرة والشوق إلى لقاء الله ، والإشتياق للحصول على الثواب الألهي .

ومن جملة علائمه ، هو ان لا يهتم لدنياه ، ولا يحزنه من أمر ما مضى أو ما سيأتي في المستقبل شيء ، فالأمس قد ذهب بخير كان أو شر ، والغد غير معلوم هل انه من العمر أو لا ؟ فلذلك « اغتنم الفرصة بين العدمين » .

ما هو علاج الموت ؟

واذكر كلاماً بمناسبة هذا اليوم الذي هو يوم النصف من رمضان ، ويتعلق بالإمام الحسن المجتبي (ع) ، فقد سمعتم ما ورد في كتاب بحار الأنوار في المجلد العاشر عن جنادة بن أمية قال :

سمعت بأن الإمام الحسن (ع) قد دس إليه السم فذهبت لعيادته فرأيت جالساً على الفراش وأمامه طشت يتقيأ فيه الدم ، حتى اني رأيت قطعاً من كبده في ذلك الطشت فقلت : لماذا لا تعالج نفسك يا مولاي ؟ فقال (ع) :

- وكيف يمكن علاج الموت ؟

وقد دسوا السم عدة مرات للإمام المجتبي (ع) لكنه كان يمسح بطنه المباركة بقبر جده رسول الله (ص) ويشفى ، ولكن في هذه المرة قال : لقد جاء الأجل وهي ليست كالمرات السابقة .

فقال جنادة : عندما ادركت ان الإمام ذاهب لا محالة ويشت من شفائه قلت : عظمي يا مولاي ..

استعد للموت ،

فقال الإمام (ع) : يا جنادة استعد لسفرك ، وحصل زادك قبل أجلك ، ثم قال :
- وأعلم انك تطلب الدنيا والموت يطلبك .
فلا ينبغي أن تحزن على غذك إذ لا يعلم كون الغد من العمر . ثم قال :
- إذا جمعت من الطعام واللباس أكثر من حاجتك ، فأنت خازن لغيرك ، أجل حيث
تكون حملاً للورثة .

كيف يكون العمل للدنيا والآخرة ،

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .
فلا يحزنه شيء من أموره الدنيوية ، حيث إن المجال واسع دائماً ، أما بالنسبة إلى
الآخرة فالوقت ضيق ، فالذي يريد أن يموت غداً ماذا يفعل ؟ لا بد وأن يوصي ، ويقضي
دينه ، ويطلب براءة ذمته من أصحاب الحقوق .

العزة في طاعة الله ،

ثم قال : (إذا أردت عزاً بلا سلطان وهيبة بلا عشيرة فأخرج من ذل معصية الله إلى
عز طاعته) .
فلو ابتعدت من الذنوب ، فكن على يقين بحصولك على عز لا مثيل له ، وكذلك
تكون لك هيبة يحترمك فيها الآخرون ، فمثلاً يمتنعون عن ارتكاب الذنب في حضورك .

مرض يعقوب ودعاء سهل بن عبدالله ،

ذكروا أن يعقوب الصافري (مؤسس سلسلة الصفاريان) مرض يوماً واجتمع الأطباء
على معالجته دون جدوى .
فقال يعقوب : إذا وجدتم في إحدى المناطق الأطراف رجل إلهي بحيث يكون له
حرمة عند الله فأتوني به فقالوا :

- إن سهل بن عبدالله الشوشري الزاهد المشهور هو كما تقول .
فلما جازوا إلى سهل لم يقبل بالمجيء ، فالشخص إذا كان من أهل الآخر فماذا
يصنع عند السلاطين ؟ فهو لا يعتني حتى بالسلطان ، وأخيراً وبعد التوسل والإصرار جازوا

به ، وجلس سهل إلى جانب فراش يعقوب وقال :

- أتريد أن يعطيك الله الشفاء في الوقت الذي تتصاعد فيه آهات المظلومين من ورائك ؟

فقال : ماذا أفعل إذن ؟ فأجاب سهل :

- اطلق سراح المسجونين : فأمر يعقوب باطلاق سراحهم .

فقال : أنت ظلمت عباد الله ثم ترجو من الله العافية ! فعليك أن تتوب من ماضيك .
وأخيراً جعل يعقوب يتوب ويستغفر ، وعند ذلك رفع سهل يده بالدعاء وقال : يا إلهي الذي أنقذت يعقوب من ذل الذنوب ، خلّصه من فراش المرض هذا .
فذكروا أن يعقوب قام من فراشه في نفس ذلك المجلس ، وأمر أن يأتوا بطبق من الذهب إلى سهل بن عبدالله .

فقال سهل : إن الذي يريد طبق الذهب هو الشخص الذي لم يحصل على رحمة الله ، أما الذي يكون مع الله فله كل شيء .

الذل في معصية الله :

وقد كان غرضي هو بيان ميزان العز والذل ، فالعزة في طاعة الله ، فلو أردت أن تكون عزيزاً فلا ترتكب خيانة ولا تدليساً أو خداعاً ثم انظر إلى عزتك ، والذل هو صاحب المعاصي ، فكل من يرتكب الذنوب هو ذليل الآن أيضاً ، ولكن كمال ظهور ذلك الذل هو عندما يخرج من قبره عارياً مع وجه أسود وصحيفة عمله في يده اليسرى ، فإنه يكون عند ذلك غارقاً في الذل ، وقد حكى الله تعالى حال هؤلاء الأشخاص في القرآن الكريم حيث يقول :

﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ﴾ (١) .

وقد ورد في الرواية أن مدة ذلك الموقف أربعون سنة حيث يكون فيه المذنب مطأطأ برأسه إلى الأسفل .

ويقول الإمام زين العابدين (ع) في دعاء أبي حمزة :

(١) السجدة / ١٢ .

« أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري ، أنظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلّاتق في شأن غير شأني »^(١) .

لا حزن على الموت الحيواني :

الموت النباتي ، هو أن يسقط من هذه الخصوصية كما في الرجل العجوز والمرأة العجوز اللذين لا يستطيعان الإنجاب بعد ذلك ، فهذه أيضاً مرتبة من الموت .

والقسم الثاني هو الموت الحيواني والحياة الحيوانية ، فقد قلنا إن القوة التي تكون منشأ الحس أو الترك بالإرادة هي من مختصات الحيوان وهي أقوى من المرتبة النباتية ، وأعلى مرتبة كالسمع والبصر التي يفتقدها النوع النباتي (وقد توجد بعض المستثنيات في عالم النبات) . والصفات الحيوانية مثل الشهوة والغضب والحرص موجودة في الحيوانات ومن جملتها الإنسان . والموت الحيواني يكون بتعطّل الحواس عن العمل ، هو نفس ذلك الموت العادي للحيوان والإنسان ، والموت الحيواني يقابل الحياة الحيوانية ، والتي لا تكون مهمة ولا تستحق العناية ، فالموت أخيراً هو نهاية هذه الحياة المادية .

والحياة الإنسانية هي قوة إلهية يعبر عنها بنور الإيمان والعلم ، فهي الحياة التي توجد في القلب .



(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ص/ ١٩٣ دار إحياء التراث العربي - بيروت .

الفصل الحادي عشر

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾^(١) .

علامة الحياة والموت النباتي والحيواني :

كان الحديث حول الحياة والموت الإنساني قد بقي ناقصاً ، فقد قلنا ان الحياة على ثلاثة أقسام وفي مقابل كل قسم من الحياة قسم من الموت .

فالحياة التي هي منشأ الفعل والحركة ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام باعتبار متعلقها (وهو الفعل والحركة) . فهناك الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية .

فالمرتبة الأولى عبارة عن التحرك الجسدي وتوليد المثل والإزدياد في الأبعاد إلا ثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) .

والذي هو من علامات ولوازم الحياة النباتية ، فمثلاً نجد شجرة النارج تولد براعماً بنفسها ، إذن فهي تتوالد ، أو نجد نوعاً آخر يتكاثر بواسطة البذرة ، فانه يريد نفس ذلك البذر حيث يكون له كل تلك النتائج العظيمة .

وأما من حصل على الحياة الإنسانية ، وهو الشخص الذي اشتاق إلى الموت ولقاء الله ، فإنه يكون من أهل البذل والتسامح ، ويتأثر بمجرد سماع الموعظة ، ولكن الويل لمن ابتلى بالموت الإنساني فينطبق عليه المعنى الذي قصده أحد الشعراء وهو :
« ماذا تنفع الموعظة القلب الميت فإن المسمار الحديدي لا يدق في الصخر » .

(١) الأنفال / ٢٤

فمن كان قلبه ميتاً ، فانه لا ينفعه حتى لو ازال الجبال ، أو أقام الصلاة وصام ، وحتى لو توجهت إليه مئات المصائب والبلايا مثلاً .

انذر الأحياء . وليس الموتى :

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة بعبارات مختلفة فيقول في سورة يس : ﴿ لينذر من كان حياً ﴾^(١) .

ويقول في مكان آخر :

﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾^(٢) . فمن كانت اذن قلبه صماء ومن مات موتاً انسانياً . فإنك لا تستطيع افهامه أبداً لأنه ميت من الناحية الإنسانية .
ويقول في مكان آخر : ﴿ أموات غير أحياء ﴾^(٣) .

قلنا ان علامة الحياة هي الحركة ، ففي هذا القسم تعلم الحياة أو الموت من الحركة وعدم الحركة أيضاً .

وكل انا . بالذي فيه ينضح :

فأنتم تشاهدون أشخاصاً يواظبون على الحضور إلى المساجد وكل همهم هو الله والآخرة ، وفي مقابلهم تجدون أشخاصاً يتوجهون إلى مراكز الفحشاء والفساد حيث ان كل إناء بالذي فيه ينضح .

فالشخص يعلم حاله من حركاته هل هو حي أم ميت ، حيوان أم إنسان ؟ ويفهم ذلك من حركات لسانه . ففجأة يتحرك لسانه بالكلام البذيء والشتائم ، فيفهم أنه حيوان حتى الآن ولم يحصل على الحياة الإنسانية بعد .

وفي مقابل ذلك ، تشاهدون أشخاصاً لا ينطقون إلا بذكر الله والصلوات وإيصال الخير إلى الناس ، فيفهم من ذلك أن قلوبهم حية .
كل هذه الإرشادات والعبادات ، من أجل أن نصل إلى مرتبة من الحياة الإنسانية .

(١) يس / ٧٠ .

(٢) النمل / ٨٠ .

(٣) النحل / ٢١ .

يجب أن نسعى للحصول على حياة أقوى ،

وطبعاً فإن الله عز وجل قد مَنَّ عليكم بالحياة الإنسانية ، ودليل ذلك هو نفس حضوركم إلى هذا المجلس ومشاركتكم فيه ، مع انكم صائمون ، والوقت هو بعد الظهر ، فمن الذي دعاكم للمجيء وإبقاكم ، فمن الطبيعي أن يكون النوم أحلى وألذ ، أو لا سمح الله يكون الإفطار أسهل من الصيام .

ولكن الذي أريد قوله ، هو ان لنا حياة ولكنها ضعيفة وضيئلة ، وفي معرض الإبتلاء والأمراض .

يجب أن نسعى بكل ضرورة لزيادة هذه الحياة انشاء الله ، لكي نكون في عداد الأحياء ، وندخل إلى ذلك العالم ، وإلا فإن الحياة الضعيفة معرضة للزوال والموت .

ما هي أسباب الحياة الإنسانية ؟

والآن نرى من أين يمكن الحصول على هذه الحياة الانسانية ، فنحن نريد أن نكون اناساً حقيقيين . فمن أية نافذة يمكن لنا الدخول ؟

لا شك بأن الله عز وجل قد جعل الحياة في الدنيا تركز على الأسباب ، فجميع الإرتباطات تعتمد على العلة والمعلول ، فكما أن الحياة النباتية والحيوانية بحاجة إلى أسبابها فكذلك الحياة الإنسانية بحاجة إلى الأسباب أيضاً .

فبالنسبة للحياة النباتية ، يجب وضع البذرة أولاً في التراب ، ثم أن الرياح يجب أن تهب لستم عملية اللقاح بين البراعم المذكورة والمؤنثة .

وأما الحياة الحيوانية فهي بحاجة إلى أب وأم في بعض الأفراد من قبيل آدم أبي البشر أو عيسى بن مريم . فالإنسان بحاجة إلى الوالدين في الصور الإعتيادية حيث يجب أن تتربى النطفة من حوومن الأب وبويضة الأم ويطوي مراحل النشوء والخلق ، ويحتاج بعد الولادة إلى التربية أيضاً .

لنكون اناساً لا بد من الإرتباط بمحمد (ص) ،

أما بالنسبة إلى الحياة الإنسانية ، فانها تحصل بالارتباط بالإنسان الكامل والحقيقي ، يعني خاتم الرسل وهادي السبل محمد المصطفى (ص) ، فما لم تتصل الروح بمحمد

(ص) ، فإنها ستكون محرومة من الحياة الإنسانية ، وما لم تكن النفس مرتبطة بأهل البيت (ع) فكيف يمكن الحصول على الحياة الإنسانية الطيبة ؟

وقد ورد في الحديث الشريف الذي ذكرناه مراراً وسمعتوه ، والجدير بالذكر أنه نفس ذلك الحديث الذي قاله الإمام علي (ع) في اليوم العشرين من شهر رمضان لصعصعة ، أي بعد الضربة بالسيف .

محمد وعلي أبوان لإنسانية الإنسان :

يقول أمير المؤمنين (ع) : قال لي رسول الله (ص) يوماً :
اصعد المنبر وقل : « لعن الله من عتق والديه - لعن الله من أبى من مولاه - لعن الله من ظلم أجيروه » .

فقال علي (ع) : فلما قلت ذلك ورجعت سُئِلْتُ عن معنى هذه الكلمات ، فسألت رسول الله (ص) عنها فقال : « يا علي ألا وإنني وأنت أبوا هذه الأمة فمن عتقنا فلعنة الله عليه ، ألا وإنني وأنت موليا هذه الأمة فمن أبى عنا فلعنة الله عليه ، ألا وإنني وأنت أجيروا هذه الأمة فمن ظلمنا أجزرتنا فلعنة الله عليه »^(١) .

وقد سمعتم بأن العاق لوالديه لا يشم رائحة الجنة ، والعقوق الحقيقي عقوق محمد وعلي بالدرجة الأولى ، وفي المرتبة الثانية هو عقوق الآباء والأمهات بنفس النسبة التي بين الروح والجسد ، فالحياة الجسدية من الأب والأم هي خمسين أو ستين سنة ، أما الحياة من محمد وعلي فهي الحياة الإنسانية الأبدية .

حقوق الوالد الروحي أكثر بمراتب عديدة :

وطبعاً فإن حق الأب والأم كثير جداً ، فكم تتعب الأم وتحمل الصعوبات ليصل الطفل إلى سن الرشد ، وكم يتعب الأب في سبيل تحصيل القوت وأسباب المعيشة للطفل وتربيته ، ليكون مستقلاً بعد ذلك .

ولكن حق محمد وعلي أكثر من ذلك بمراتب عديدة لأنهم علمونا وأرشدونا إلى

(١) بحار الأنوار ٦٦/٣٤٣ .

المعارف التي يمكننا ببركة العمل ، بها التوصل إلى الحياة الأبدية ، والتحليق جنباً إلى جنب مع الملائكة .

فمن حصل على ارتباط مع هذين الأبوين الروحيين فانه سوف يحشر معهما في أعلى عليين بعد الموت .

لا تقاس الولاية بالنعم الدنيوية :

وقد ذكرنا سابقاً رواية يونس بن عبد الرحمن ، وأذكرها هنا بشكل مختصر للمناسبة . يقول يونس : دخلت على الإمام الصادق (ع) فقلت : « لولائي لكم ، وما عرفني الله تعالى من حقكم أحب أليّ من الدنيا بحذافيرها » . فظهرت علائم الغضب في وجه الإمام فقال (ع) : « يا يونس ، قستنا بغير قياس ، ما الدنيا وما فيها ؟ هل هي إلا سدّ فورة أو ستر عورة ، وأنت لك بمحبتنا الحياة الدائمة »^(١) .

الحي هو من ارتبط بالحي الحقيقي :

الحي المطلق والحقيقي هو من كان حياً بالذات ، وترتبط به حياة الجميع ، فالله تعالى هو الذي أعطى الحياة الحقيقية لمحمد وآل محمد (ص) ، وقد قضى سبحانه ، بأن كل من ارتبط بهؤلاء فسوف يحصل على نصيبه من الحياة ببركتهم ، فجوهر الإنسانية هم محمد آل محمد (ص) وكل من ارتبط بهم .

من أكثر الضجيج وأقل الحجيح :

فالشخص الذي لم يرتبط بالإنسان الكامل ، فإنه فاقد للإنسانية وليس هو سوى حيوان يمشي على قدمين .

وقد سمعتم بأن الراوي قال للإمام (ع) ما أكثر الحجاج في هذه السنة؟ وبإشارة من الإمام زالت الحجب الملكية وظهر الملكوت ، فرأى أن أغلبهم قردة وخنازير . أجل ما أكثر الضجيج وأقل الحجيح ، فهؤلاء لم يصبحوا أناساً بعد .

(١) سفينة البحار ٢/ ٦٩٢

والإنسان الحقيقي هو ما تجسّد في تلك الأنوار الطاهرة عنيت المعصومين الأربعة عشر وكل من استفاد من إنسانيتهم واتصل بهم ، وذلك الإتصال له مراتب عديدة ، حتى يصل إلى درجة تكون روحه ونفسه من روحهم ونفسهم ، ويستضيء قلبه بنورهم ، والخلاصة يكون الابن الروحي لعلّي (ع) من بقايا طينته .

المشابهة في القول والفعل :

ومن الأمور الطبيعية هو وراثة الابن عن أبيه ، حيث يشابه أباه أو أمه في سلوكه أو في شكله أو حركاته الظاهرية ، وكذلك يشبه أقربائه أيضاً من أعمامه أو أخواله ، وهذا الشيء ملاحظ بصورة كاملة في الحيوانات ، فاعلموا أن ابن محمد وعلي (ع) يجب أن يكون شبيهاً لهما في حركاته وسكناته أيضاً ، فلو كانت أقواله وأفعاله مشابهة لأقوال وأفعال أعدائهم فهل يمكن أن يدعى بأنه مؤمن وموالم وشيعي ؟

حسن الخلق في شيعة علي (ع) :

ويذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وهو الرجل السني والمعتزلي المذهب ، ويقول بأنه قد ثبت بالتجربة بأن شيعة علي (ع) حسنو الأخلاق وطيبون ، كما أن الآخرين في مقابل ذلك قساة وأجلاف ، فكلّ تابع لمولاه .

أجل فإن التأثيرات الروحية والأخلاق الحسنة ، تظهر في من كان ابناً لمحمد وعلي (عليهما السلام) .

لذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ (١) .

ف عندما يدعوكم رسول الله (ص) ، فإنه يُريدُ أن يحييكم وينور قلوبكم ويملاها بالمحبة ، ويعطيكم الحياة الأبدية .

لا تتركوا الحصن المنيع للولاية :

لا ينبغي أن تتباعدا من محمد، وآل محمد (ع) ، بل يجب عليكم السعي إلى التقرب إليهم أكثر ، كونوا على يقين بأنكم تحصلون على الحياة بنفس التي تكونون قد

(١) الأنفال / ٢٤ .

افنيتم أنفسكم فيهم ، وسوف تموتون بنفس النسبة التي ابتعدتم فيها عنهم .

ولا يجتمع عشق الدنيا والشهوات مع عشق محمد وعلي (ع) ، فلما الله والأخرة وأولياء الله ، وإما شيطان النفس والهوى . فلماذا أردتم الحياة الحقيقية فتعالوا إلى حصن الولاية المنيع ، فالحصن المنيع موجود ولكنك أنت الذي لم تخرج قدمك بعد من حصن الشيطان الوهمي ، فلا يمكنك أن تتذوق الحلاوة بمجرد أن تقول كلمة حلو ، فيجب العمل للإعتصام في قلعة الولاية وعدم تركها فالنتيجة لمقام النبوة والولاية بالنسبة لنا ، هو أن نحصل على نور الإيمان والمعرفة .

البصيرة أهم بكثير من العين الباصرة :

عندما تسمع بأن شخصاً أعمى ذهب إلى قبر الإمام الرضا (ع) وحصل عن الشفاء ، وأخذ يبصر ويرى فان ذلك سيكون أمراً مهماً بالنسبة لك واقعاً ، ولكن يجب أن ندرك بأن هذه العين الباصرة سوف لا تستمر إلا إلى سنوات معدودات ، ثم يعود صاحبها تراباً ، إضافة إلى أن الرؤية بتلك العين محدودة بعدة أمتار لا أكثر .

في حين الإمام الرضا (ع) ، يعطي لمن أراد عيناً باقية ، حيث ترى مسافة ثلاثة آلاف سنة على طريق الصراط ، فكم تكون هذه العين مهمة واقعاً ؟

حديث الأعمش مع الجارية العمياء :

وينقل المجلسي في المجلد ١٩ من البحار ، حادثة عجيبة عن الأعمش الذي هو من كبار العلماء والمحدثين حيث يقول :

كنت في سفر الحج إلى بيت الله الحرام مع قافلة في الصحراء ، فإذا بجارية عمياء كانت تقول دائماً « اللهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد أن ترد إلي بصري » .

فيقول الأعمش : اقتربت منها وقلت : ما هذا الكلام الذين تقولين ، فهل لمحمد (ص) حق على الله .

ولكن هذه الجارية التي كانت محبة وعارفة قالت له مؤكدة :
- ومن أين تعرف محمداً (ص) وهو الذي أقسم الله عز وجل بروحه العزيزة ؟
فقال الأعمش ، فسألته : ومتى أقسم الله تعالى بمحمد (ص) ؟

قالت : ألم تقرأ الآية القرآنية التي تقول ﴿ لعمرك انهم لم يعلمون ﴾^(١)
فلو لم تكن نفس محمد عزيزة عند الله فكيف يقسم بها ؟

حب علي (ع) يشفي البصر والبصيرة :

يقول الأعمش : وبعد أن انتهينا من أعمال الحج ، رجعنا من نفس الطريق ، فرأيت
الجارية وقد رجع إليها بصرها وتغير كلامها أيضاً ، فكانت تقول دائماً : عليكم بحب
علي بن أبي طالب ففيه خير الدنيا والآخرة .

فأقتربت منها وقلت : ألسنت أنت تلك الجارية العمياء ؟ فقالت :

- نعم ، فقلت :

- من الذي ارجع إليك بصرك ؟ فقالت :

- حب علي (ع) .

فطلبت منها أن تحكي لي ما حدث لها فقالت :

- كما رأيت وسمعت فاني كنت أطلب من الله أن يرّد بصري بحق محمد وآل محمد

(ص) فسمعت نداءً يقول : أيتها المرأة إذا كنت صادقة في كلامك فضعي يدك على
عينك واقتحيها .

فوضعت يدي على عيني ورفعتها فرأيت عيني تبصر وترى ، فنظرت إلى ما حولي
فلم أر أحداً فقلت : الهي بحق محمد وآل محمد عَرَفَنِي بمن كان الواسطة في شفاء
عيني ، وقلت أيها المنادي أسألك بحق الله إلا ما عَرَفْتَنِي بنفسك فقال :

أنا الخضر خادم علي (ع) ، عليك بحب علي (ع) فهو واقعاً خير الدنيا والآخرة ،
فابق هنا وقولي هذا الكلام للحجاج بان (حب علي هو خير الدنيا والآخرة) .

أجل ، فعندما تستبصر البصيرة ببركة حب علي (ع) ، تكون أهم من العين الباصرة
بكثير .

حياة القلب لا موت فيها :

احياء الميت الحيواني معجزة ، وواقعاً هو أمر عجيب ومهم ، ولكنه سوف يموت مرة

أخرى في النهاية . أما حب علي (ع) فإنه يوصلك إلى الحياة الأبدية ، حيث ستكون بعد الموت في عداد الأحياء ، وسوف تتحرك بمجرد خروج روحك مع الملائكة حيث يُفرج بها كباقة الزهور إلى الملاء الأعلى .

* * *

الفصل الثاني عشر

انحصار الاطلاع على الغيب بالوحي :

يتوقف نظام الآخرة بالنسبة إلى الإنسان على وجود الأنبياء (ع) ، فلو لم يهد الله عز وجل الناس بواسطة الأنبياء ، فكيف يمكن أن يعرف الإنسان ما وراء الموت ويعرف طريق الخير والصلاح ؟

ولو لم تكن تعاليم الأنبياء ، فكيف يدرك الإنسان ما في عالم الروح ؟ فلو اشتغل وأتعب نفسه من أول عمره إلى آخره لكي يعرف شيئاً عن الآخرة لما وصل في ذلك إلى نتيجة .

لذلك فإن الله عز وجل وبمقتضى حكمته البالغة ، يجب أن يرشد البعض إلى عالم الغيب ، ويريهم الجنة والنار ، ويعرفهم على طريقه المستقيم ، حتى يرجعون بهذه الهدايا إلى الناس ، ويبينون لهم ما وراء الموت من أحداث .

لا يطلبون أجراً من الناس :

وقد كانت سيرة الأنبياء وطريقتهم ، هي عدم طلب الأجر من أحد في مقابل تبليغاتهم ، فعملهم هو النصيحة وإرادة الخير للناس .

وفي أواخر عمر الرسول (ص) اجتمع عدة من الصحابة في المدينة وقالوا : إن نفقات رسول الله (ص) قد ازدادت لكثرة الوافدين عليه ، فلو جمعنا مالاً واشترينا له عقاراً ليسد نفقاته من أرباحه .

وجاؤوا إلى رسول الله (ص) وعرضوا عليه ذلك ، فسكت رسول الله (ص) فنزلت الآية الشريفة :

﴿ قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى ﴾^(١) .
فلو انه كان يريد مال الدنيا فقد جعل الله كنوز العالم تحت تصرفه .

المودة لمنفعتكم :

هل تريدون أن تدفعوا أجر محمد (ص) ؟ لا يقدر أي واحد على ذلك ، فأجره على الله عز وجل . نعم الشيء الوحيد الذي يمكن لأتمته القيام به ، هو أن يعملوا بأوامره . أجر محمد (ص) هو أن تطيعه وتعمل بأوامره ، فكل وقت ذكرت فيه اسمه الشريف أو سمعت ذلك فصل عليه .

وان تحب أقرباءه ، وذلك يرجع نفعه إليك أيضاً ، وذلك بنص القرآن الكريم الذي يقول : ﴿ ما سألتكم من أجر فهو لكم ﴾^(٢) يعني أن محبة أهل بيتي تعود بالنفع عليكم .

الأنبياء . كانوا أزهد الناس :

وكما أشرنا سابقاً من أن النبي يجب أن يكون أفضل الناس في جميع الصفات الأخلاقية ، ومن جملة الزهد ، حيث لا يكون له أدنى اهتمام بالمال والجاه والمقام والشهرة بل يكون اعتماده على ما في خزائن الله أكثر مما في أيدي الناس ، وكما ورد في دعاء النذبة : « بعد أن اشترطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية . . » .

فكيف يمكن للنبي أن يهدي الناس ، ويخرج من قلوبهم حب الدنيا ويرغبهم في الآخرة ، إذا كان هو نفسه مهتماً بجمع الأموال وطالباً للشهرة والرياسة ؟
لذلك كان الأنبياء من أزهد الناس على الأرض ، وقد ذكر الإمام أمير المؤمنين في إحدى خطبه في نهج البلاغة ، بعض النماذج على زهد الأنبياء (ع) .

كان زهد عيسى وموسى قدوة :

يقول الإمام في نهج البلاغة عن موسى بن عمران بأنه : « كانت خضرة البقل ترى من

(١) الشورى / ٢٣ .

(٢) سبأ / ٤٧ .

شفيف صفاق بطنه « من كثرة ما كان يأكل من نبات الأرض .
وعندما أعطته ابنة شعيب قرصاً من الخبز قال : ﴿ رب اني لِمَا انزلت إلي من خير فقير ﴾ (١) . وقد كنت محتاجاً إلى هذه النعمة .

أما بالنسبة إلى عيسى بن مريم ، فانه كان يتوسد الحجر ، وكان سراحه بالليل القمر ، ولم تكن له زوجة ولا بيت ولا فراش ، وكان غالب أكله البصل .

مثال على زهد خاتم الأنبياء (ص) :

ثم بعد ذلك تحدّث الإمام (ع) عن زهد خاتم الأنبياء (ص) فقال : أو يكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاویر فيقول « يا فلانة - لإحدى زوجاته - (وأظن أنها كانت عائشة) غَيَّبه عني ، فاني إذا انظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها » .

« لم يضع حجراً على حجر » في حين انه إذا أراد أمكنه أن يني بيتاً من الذهب .
وقد كان سقف بيته من سعف النخل وجذوعه .

ويقول أحد الفضلاء : يا ليت انهم حفظوا آثار النبي (ص) بأي شكل من الأشكال ، ليرى المسلمون بعده بأعينهم كيف كانت حياة رسول الله (ص) .

نعم ، فإن نبياً كان أزهد الناس ، فكل شيء يصل إلى يده كان ينفقه في سبيل الله .

وعندما كان يدخل مجلساً كان المسلمون يقومون له اجلاً فكان يقول : لماذا تقومون لي فأنا مثلكم ؟

وكان عندما يدخل مجلساً يجلس أدنى أماكنه ، وكان مجلسه بالنسبة إلى الآخرين بمستوى واحد من دون تفاضل .

كلن فراش النبي (ص) زهيدا :

كان فراشه قطعة من القماش ، فكان يجعلها قسمين قسماً يفرشه على الأرض والآخر يلتحف به . وعند الصلاة يقوم على قطعة منه ويضع الأخرى على كتفه .

وقد بلغ به الهرم في آخر سنوات عمره ، حيث يقول « شيبني هود » ، حيث أن

(١) القصص / ٢٤ .

مسورة هود من السور المشيبة كسورة عمّ ، والمعروف أن قراءة آيات العذاب الالهي قد أهّمت الرسول (ص) .

وعن علي (ع) : كان فراش رسول الله (ص) عباءة وكانت مرفقته من أدم حشوها ليف ، فثبت ذات ليلة فلما أصبح قال : لقد منعني الليلة الفراش عن الصلاة .
وتقول عائشة : كانت تمر علينا الأربعون يوماً دون أن نشعل في البيت ناراً للطبخ ، وإنما نكتفي بالماء والتمر . وقد تحسن حالنا بعد وفاة رسول الله (ص) حيث عيّن الخليفة مقداراً من المال لنفقات زوجات النبي (ص) .

لا أترك دعوتي :

وجاء شيوخ قريش إلى أبي طالب وقالوا : لقد تجرأ ابن أخيك « محمد (ص) » وشتم آلهتنا وسفه أحلامنا فانظر ماذا يريد ، فإذا كان يريد المال فنحن أغنياء قريش وسوف نعطيه من المال ما يجعله أغنى الناس ، وإن كان يطلب الإمرة لأمرناه علينا ، وإن كان يريد الزواج زوجناه من أجمل النساء وإن كان مجنوناً لأننا له بالطبيب .

فذكر أبو طالب ذلك لرسول الله (ص) فقال (ص) :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي (وهو كناية عن انه لو أعطي حكومة كل العوالم العالية والسافلة وجميع الإمتيازات) على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه » .

فما حاجة محمد (ص) في مال الدنيا ، فقد اغناه الله عز وجل حتى انه جعل لسانه منشأً للمعجزات .

بكلمة ذهب تصير الدراهم ذهباً :

جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) بثلاثمائة درهم في كيس وقالت له : - يا رسول الله تصدّق بهذه الأموال على الفقراء .

فقال رسول الله (ص) لأحد أصحابه : افرغ الذهب من هذا الكيس . فلما افرغ ما في الكيس فإذا هي دنانير من ذهب ، فدهشت المرأة لذلك وقالت أقسم بالله .بأنني ما وضعت في الكيس إلا دراهم من الفضة . فقال (ص) :

- اتعجبين لذلك فقد قلت بأنه ذهب فجعله الله تعالى ذهباً .
أجل ، فقد كان لسانه معجزة أيضاً فأين طمعه في الدنيا ؟
يا رسول الله (ص) ، الفضة أو النحاس يتحول بإشارة منك إلى ذهب فماذا لو
نظرت بلطفك إلى قلوبنا النحاسية وحولتها إلى ذهب ؟

كيف يكون المشافي مريضاً :

يجب أن يكون النبي (ص) والإمام (ع) في أعلى درجات الكمال في جميع
الفضائل ، في الحلم والصبر والتقوى والإحسان إلى الناس وكظم الغيظ والوقار
والطمأنينة . يجب أن يكون قدوة للآخرين وأفضل منهم . ولا يمكن أن يكون هناك صفة
حسنة لا توجد بشكل كامل وتام عند النبي أو الإمام .

والنبي (ص) مأمور بمعالجة المجتمع من الأمراض المعنوية وإحياء القلوب
المتية ، وإخراج حب الدنيا من قلوب الناس ، فكيف يمكن أن يكون ملوثاً بالماديات ؟ !

كلام لطيف للشيخ الشوشتری :

يقول الشيخ جعفر الشوشتری في مواعظه ، بانهم يقولون لي إنك تخيف الناس من
الموت وعذاب جهنم ، نعم فالشيخ يخيف ، ولكن كم شخصاً خاف لحد الآن وأخذ يفكر
بتهيئة وسائل سفره ؟

ويقول في مكان آخر : يكفي في التوجه إلى الدنيا وجود النفس والهوى والشيطان .
ولا يحتاج إلى محرك آخر ، حيث أن المقتضيات توافق الماديات ، ولكن هناك حاجة إلى
محرك في الجهة الأخرى ، فيجب أن يقال للناس باستمرار بأن الدنيا فانية فلا يستولي
عليكم الحرص ولا تقيدوا القلب باغلال المادة . نعم فيجب على النبي والإمام والعالم
الديني أن يدفع بالمجتمع باتجاه الآخرة ويبيعه عن الدنيا ، لذلك يجب أن يكونوا أطهر
الناس ، ولا تكون أنفسهم مشوبة بالماديات .

لذلك يفكر أولو الألباب بحالات وكمالات من يدّعي النبوة ، أكثر من نظرهم إلى
المعجزة فالأصل هو الكمالات الروحية ، فالشخص الذي يدّعي النبوة إذا كان رجلاً مادياً
ويعبد المال والشهوة ، وطالباً للمقام والجاه ، فان كذبه سيظهر مهما أتى بما يخرق العادة
من المعجزات .

العصمة قوة الهية :

والعصمة التي هي شرط في النبي أو الإمام ، قوة من الله تعالى ، حيث يكون محفوظاً ببركتها من كل ذنب وخطأ ولهو ونسيان وغفلة ، سواء كان قبل النبوة والإمامة أو بعدهما .

ومن الألفاظ المتداولة والخاطئة قولهم للطفل بانه طفل معصوم ، لأنهم يتصورون ان العصمة هي عدم الذنب .

الشخص العادل ، هو الشخص المكلف والذي لا يرتكب معصية ، أما المُعصوم فهو من له قوة إلهية وقُدسية بحيث إنه لا يصدر منه أي خطأ أو اشتباه ، فلو كنا نَحتمل الخطأ في حق النبي أو الإمام ، فيمكن أن يشبهه ويأمر بدل النهي ، وينهى بدل الأمر ، وتزول ثقة الناس به ، فلماذا يجب عليهم اتباعه ؟ وما هي ميزته عن الآخرين ؟

اعتراف الأئمة هل هو تواضع أو تعليم للعباد ؟

وهنا يرد اشكال مشهور ، يسأله كثير من الناس أيضاً ، وهو أن النبي والأئمة (ع) معصومون في الواقع بحكم العقل ، وباعتقادنا انه حتى ترك الأولى وترك المستحب وفعل المكروه لم يصدر من محمد وآل محمد (ص) ، ولكننا نرى في الأدعية الواردة عنهم انهم يعترفون بالذنب والمعصية .

فنحن نقرأ في دعاء أبي حمزة للإمام السجاد (ع) يقول : إذا رأيتُ مولاي ذنوبي فزعت . وأمثال ذلك .

ويقول علي بن عيسى الأربلي في كتاب كشف الغمة :

لقد لفت نظري قول الإمام موسى بن جعفر (ع) في السجود :

« عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لأكمهنتي ، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني . . . » .

فتعجبت من ذلك وذهبت إلى السيد رضي الدين بن طاووس ، وطلبت منه أن يحل لي هذه المسألة .

فقال : يمكن أن يكون ذلك من أجل تعليم وتربية الآخرين .

ولكن هذا الجواب لم يقنعني فقلت :

- من الذي يريد أن يعلمه موسى بن جعفر (ع) ، وهو يدعو في منتصف الليل وحيداً في السجن وفي حال السجود ؟
فقال السيد : يمكن أن يكون ذلك من باب التواضع لله .
ولكن هذا الجواب أيضاً لم يكن مقنعاً وبقي هذا الاشكال في ذهني حتى وجدت له
الحل ببركة موسى بن جعفر (ع) .

جواب الأربلي الجيد عن الاشكال المشهور :

وخلاصة ما قاله الأربلي أن للنبي والإمام حالات خاصة من الإستغراق ، حيث
يغرقون في بحر العظمة الالهية ويفقدون احساسهم بأنفسهم .
ومن الطبيعي إن هذه الحالات غير مستمرة في الليل والنهار ، حيث إن لهم الكثير
من الأعمال الأخرى ، من قبيل الإهتمام بأمور المسلمين ، وتنظيم أمور معيشتهم العائلية
من واجبات ومستحبات ومباحات .

ولا شك أن حالهم عند معاملاتهم أو عند حديثهم مع الآخرين لا يكون كحالهم في
الصلاة والمناجاة .

ويرى النبي والإمام أن العبودية هي في الإستمرار على تلك الحالة من الإستغراق ،
وعدم الإستمرار عليها يعدونه من الذنوب بالنسبة لهم ، ويطلبون العفو من ذلك .

أعرفكم أخوفكم :

وكل من كان مقرباً أكثر من الميزان الالهي ، فخوفه وخشيته أكثر ، لأنه يدرك عظمة
الحق تعالى أكثر ، فان أعرفكم بالله أخشاكم لله .

فحيث وجد الطريق على بساط القرب الالهي فسوف تكون المباحات عنده من
السيئات .

الذنب هو الموجب للحيا ، :

والمنشأ الأساسي لهذا الاشكال مورد البحث ، هو انهم يقيدون اللفظ بمعناه اللغوي
فقط ، في حين أن معناه الإصطلاحي أوسع من ذلك . ولتوضيح ذلك أكثر ، نقول :
الذنب في لغة العرب بمعنى المخالفة ، وكلما جاءت كلمة الذنب يتبادر إلى الذهن

استحقاق العقاب ، فالذنب هو من كان صاحبه مستحقاً للعقوبة والعذاب .

في حين أن الذنب يطلق على ما أوجب لصاحبه الخجل والحياء ، حتى لو لم يكن مستحقاً للعذاب والعقاب .

وعلى هذا فانه يشمل حتى الأمور الإضطرارية وغير الاختيارية أيضاً ، وعلى ذلك لا يبقى مورد للأشكال . وأضرب لذلك عدة أمثلة لتوضيح المطلوب .

الذنب يستعمل بالمعنى الواسع :

فلو كنت تسير في الطريق ، ووضعت قدمك من دون قصد أو التفات على القرآن ، أو سقط القرآن من يدك دون إرادة ، فانك سوف تضطرب وتخجل ، مع إنك غير مقصر ، وتعد ما صدر منك ذنباً حتى لو لم تستحق عليه العقاب .

ومثال آخر ، لو كان هناك طفل قد غطي بملحفة ، ودون أن تعلم بذلك وضعت قدمك على الطفل ، أو حدث شيء بسببك أدى إلى موت الطفل . فمع انك لم تقتله ، وليس عليك حق القصاص ، لانك غير مقصر بأي شكل من الأشكال ، ولم ترتكب ذنباً ، لكنه سوف تبقى إلى آخر العمر متأثراً وخجلاً من أبيه وأمه وأقربائه وتعد ذلك ذنباً .

كل تضيعة قليلة في حق المحبوب :

مع أن الذي يصل إلى مقام المحبة فسيهب جميع وجوده إلى محبوبه ، وهو خجل في نفس الوقت ويقول إني لم أصنع شيئاً .

فكم ينفق محب الحسين (ع) من الأموال في طريق الزيارة والعزاء الحسيني ، ويتعب في سبيل ذلك ، ومع ذلك يستحي أيضاً ويقول لم أؤدّ شيئاً ، ويعد عدم تمكنه من اداء حق الحسين (ع) ذنباً بالنسبة له .

يخجلون من الأمور المباحة :

الحياء الذي يكون لدى آل محمد من المباحات الضرورية ، مثل الأكل والنوم والجماع والكلام والإشتغال بالأمور البشرية بشكل عام ، قد لا يكون عند الآخرين من ذنوبهم .

فعلى هذا يتضح الوجه في التعبير بالذنب في الأدعية ، فعندما يقول الإمام السجاد

(ع) : « ادعوك يا رب بلسان قد أخرسه ذنبه ، رب أناجيك بقلب قد أوبقه جرمه » .

فإن ذلك يعني :

أدعوك بلسان كان لهجاً بذكر غيرك وبقلب كان متوجهاً إلى سواك .

لا أن لسانه (ع) - والعياذ بالله - كان مرتكباً للغيبة والتهمة والكذب والفحش .

أو أن قلبه (ع) كان ملوثاً بمعصية الشرك أو العُجب والرياء .

* * *

الفصل الثالث عشر

يجب أن يكون المعصوم معين من الله :

بعد أن اتضح بحكم العقل ، أن النبي أو الإمام يجب أن يكون معصوماً ، ولكن ما هي طرق معرفة العصمة ؟

والعصمة أمر باطني ومخفي . فيمكن أن لا يذنب الشخص أمام الناس ، لكن ذلك يكون لأجل التظاهر والرياء ، إذن فمجرد ترك الذنب لا يعني انه بالإمكان معرفة ما في قلبه ، أو الإطلاع على أحواله في وحدته ، ولذا يجب أن يوجهنا الله إلى ما يمكن بواسطته معرفة الجانب الآخر الغير الظاهر في حياة الإنسان المعصوم .

المعجزة تختلف عن السحر والشعوذة :

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى ملاحظة ، حيث يمكن أن يقوم شخص بأعمال خارقة للعادة بواسطة السحر والشعوذة أيضاً ، حيث تكون بالنسبة إلى الناس عجيبة جداً ، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى ضلالهم وانحرافهم .

والله تعالى هو الذي يجب أن يكشف خداع هؤلاء الأفراد ويظهر كذبهم ويحبط عملهم .

قبل أن مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمن في زمان رسول الله (ص) قالوا له إن محمداً (ص) بصق يوماً في بئر قد جف ماؤها فامتلات بالماء ببركة لعبه . فلو كنت نبياً لفعلت ذلك أيضاً .

فجاء إلى بئر قليلة الماء ، وبصق فيها فجفت البئر تماماً ، حيث لم يعد فيها ذلك الماء القليل ، وعندما اعترضوا عليه قال : إن هذا العمل معجزة أيضاً فهل يمكنكم القيام به ؟

فهذا الأمر الخارق للعادة ، إنما هو من جهة أن الله تعالى يريد فضحه بهذه الصورة ويكون شاهداً على كذبه .

الساحر مظلّم القلب وطالب المال :

أما السحر الموجود الآن بشكل من الأشكال فهو من قبيل أن يهيء طلاسماً معينة ، ويستفيد منها في جهات الشر ، كأن يلقي بين اثنين محبة شديدة ، أو يفرق بينهما .
وللسحرة خصلتان حيث يعرفهم العقلاء ويميزونهم بهما ، واحدة ترتبط بالباطن حيث إن لديهم ظلمة باطنية وظلام قلبي والعين الملكوتية هي التي يمكن أن تشخص ذلك .

والخصلة الظاهرية لهم هي جمع الأموال ، فالساحر جشع طماع ، فهو يستعد لإرتكاب أية جريمة من أجل جمع الأموال .

كشف المجهول بالإتصال مع الجن :

والفرع الآخر هو الكهانة ، حيث نجد بعض الناس يحصلون على المعلومات بواسطة الجن ، ولما كان الجن من مادة لطيفة وليست لهم تلك القيود المادية الموجودة عند البشر ، لذلك فهم أسرع وأقوى من البشر ، وقد ذكروا قصة بلقيس وعرشها لسليمان حيث قال : عفريت من الجن أنا أتيك به (من مدينة سبأ) قبل أن تقوم من مقامك ﴿^(١)﴾ .

وهذه الأمور تكون عجيبة بالنسبة لمن لم يعرف أسبابها ، ولكن عندما يتضح ذلك ، وانهم كانوا يقومون بهذه الأعمال بواسطة الارتباط بالجن ، فيسزل العجب ، فهي لا تشبه بعد ذلك المعجزة والأخبار الغيبية للأنبياء والأئمة والتي تحدث بدون تلك الأسباب .

والأشخاص الذين لهم ارتباط بالجن ، يكونون من السافلين ويشتمز الإنسان من

(١) النمل / ٣٩ .

ملاقاتهم ، وهم كالسحرة في طلب المال والمقام .

السحر والكهانة بواسطة الأساليب والمعجزة بدون سبب :

والسحر والكهانة تأتي نتيجة بعض الإرتباطات الروحية وبواسطة القيام ببعض الأعمال ، أما المعجزة فتكون بدون سبب وبمجرد الإرادة فقط .

والسحر أمر اكتسابي ، فيجب أن يؤدي الساحر بعض الرياضيات الباطلة والأعمال القبيحة الشيطانية ليكون ساحراً ، وكذلك الكهانة حيث يجب أن يتعد عن المعنويات ، ويقترّب من الجن والشياطين أكثر ليتمكن من الحصول على الأخبار عنهم بمرافقتهم وممالأتهم .

لذلك فإن المعجزة تماثل السحر والكهانة أبداً ، فكل عاقل يفهم من انحطاط الساحر بطلانه ويفهم من ماديته وعبادته للأموال انه بعيد عن الفضيلة .

الساحر الذي كان همه بطنه :

كان في زمان الخليفة العباسي المهدي أحد السحرة والمشعوذين ، قد ادعى النبوة وانخدع به بعض الناس ، فاخبروا المهدي العباسي بأن نبياً جديداً قد ظهر ، فأمر باحضاره وسأله : هل تدعي النبوة ؟ فقال بمنتهى الوقاحة :

- نعم ، فسأله ، ما هي معجزتك ؟

فقال أيضاً بمنتهى الوقاحة ، كل ما تطلب .

فقال الخليفة : هات لي بطيخة (وكان في فصل الشتاء ولم يكن هناك بطيخ) .

فقال : امهلني ثلاثة أيام أحضرها لك .

فقال الخليفة : لو كنت نبياً لاتيت بها الآن .

فقال : لو انك طلبت من الله بطيخة لما اعطاكها إلا بعد ستة أشهر . أما أنا المسكين فعبد من عباد الله ، وقد طلبت منك أن تمهلني ثلاثة أيام فقط . فهل هي مدة طويلة لكي تقول اثنتي بها الآن ؟ وفهم الخليفة أن هذا محتال خبيث فقال : أرسلوه إلى دار الضيافة وقوموا باكرامه .

فمضت عدة أيام حتى أشبع بطنه جيداً ثم أمر الخليفة باحضاره مرة أخرى

حاله ، فقال : جيد جداً وأحسن من السابق حيث إن جبرئيل كان يأتيني في السابق مرة واحدة في اليوم والآن يأتي عدة مرات .

فسأله الخليفة : ماذا يقول جبرائيل ؟

فقال : يقول لي ابق في مكانك .

فأصبح واضحاً أن هدفه هو اشباع بطنه ، فعندما تسير أمور البطن على ما يرام فلا حاجة لادعاء النبوة وتبليغها .

﴿ ليحق الله الحق ويطل الباطل ﴾^(١) .

المعجزة اظهار القدرة الله :

أما المعجزة فهي إظهار القدرة الالهية من دون سبب ، وبمجرد الإرادة ، وتكون مصحوبه بالنورانية والفضيلة وإظهار آيات الله . فالنبي يشق القمر بإشارة منه .

وفي إحدى المرات أصاب جيش النبي (ص) المكوّن من ألوف الأفراد العطش ، فجاؤوا إلى رسول الله (ص) وقالوا ماذا نصنع ؟ فقال :

- هاتوا كل ما عندكم من آنية . ثم وضع يده في الإناء فتدفق الماء من أربع عيون من خلال أصابعه المباركة وارتوى الجميع ، فأين السحر من هذه المعجزات ؟

السحرة عرفوا معجزة موسى :

وقد عرف السحرة قبل الآخرين وبصورة جيدة ، ان عصا موسى ليست بسحر ، بل إنها مزيلة للسحر ، وهي معجزة من قبل الله .

والمشهور أن السحرة عندما أرادوا مواجهة موسى بسحرم قال اثنان منهم : إن من الأفضل أن نمتحن موسى قبل منازلته ، فلنذهب ونسرق عصاه ، فلو لم يحدث شيء عرفنا أن موسى مثلنا وسوف ننازله بسحرنا .

وعندما كان موسى نائماً في الليل وصلوا إليه بشكل من الأشكال وأرادوا سرقة العصا ، لكن العصا انقلبت فجأة إلى ثعبان فهربوا ، وفهموا انه حتى لو كلّف موسى نائماً فإن صاحب العصا لا ينام .

(١) الأنفال / ٨ .

فلو كان سحراً لكانت العصا متقومة بموسى كسائر أنواع السحر الذي يرتبط بالساحر .

وعندمالقى السحرة بعصيتهم وحبالهم وملأوا الساحة بالحيات والعقارب وأنواع السحر، انقلبت عصا موسى (ع) إلى ثعبان عظيم وبهجوم خاطف تمكنت من ابتلاع كل شيء ، فألقى السحرة سُجْداً وآمنوا ، لأنهم رأوا وعرفوا أن هذا الأمر ليس سحراً ، ومهما هددهم فرعون لم يرجعوا عن إيمانهم ، وقال لهم ﴿ لَا قُطْعَنُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ وَلَا ضَلْبُنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١) وأعلقكم على جذوع النخل ، إلا أنهم لم يهتموا لذلك ﴿ وَقَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾^(٢) .

المعجزة دليل عصمة النبي والإمام :

فعلى هذا ، تعتبر المعجزة فرعاً من القدرة الالهية ، والتي تظهر على يد المأمور من قبل الله دون اكتساب أو تعليم وتعلم ، وتكون له بمثابة الوثيقة التي تشهد على عصمته . فلو لم يكن معه دليل ومستند فسوف يبقى مقام عصمته مجهولاً ، فكيف يعرف الناس انه صادق أو غير صادق ؟ فينبغي أن يؤيده الله تعالى ويصدق له ليعرفه الناس . وفي كل مرة يؤيده الله تعالى بمعجزة مناسبة لأرقى العلوم في عصره ، ولذا كانت معجزة موسى مناسبة لزمانه بسبب انتشار السحر والشعبذة في عصره ، فكانت معجزته انقلاب العصا إلى ثعبان إضافة إلى الآيات التسع .

ونشير أيضاً إلى معجزة عيسى(ع) .

أحيا الموتى وأبرأ الأكفم والأبرص :

وقد كان علم الطب في زمان المسيح (ع) قد تطور كثيراً ، بحيث كانوا يعالجون الأمراض المزمنة والصعبة بسهولة ، لذلك كانت معجزة المسيح (ع) من هذا القبيل ، حيث لم يتمكن من ذلك علماء الطب ، فقد كان يرى الأعمى ويحيي الموتى ويداوي الأبرص ويشافيه ، فلذلك لما رأى الأطباء في ذلك الزمان أن هذه الأمور غير طبيعية ، كانوا يؤمنون بذلك ويتبعهم الآخرون إلا المعاندين منهم .

(١) و(٢) الشعراء / ٤٩ - ٥٠ .

ولذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾^(١) لتكون شاهدة على صدق ادعائهم ، وتشهد على عصمتهم وصلاحياتهم للنبوّة ليصدّق بذلك الآخرون .

الله عز وجل يعرف النبي محمد (ص) :

وكما قلنا ، يجب أن يعرف الله تعالى نبيه إلى الناس ، وما أجمل طريقة التعريف ، فكيف عرّف الله تعالى محمداً (ص) إلى الناس ؟ كان يتيماً منذ الصغر ، فقد مات أبوه وهو في بطن أمه ، وماتت أمه أيضاً في أيام طفولته فبقي وحيداً دون أب وأم وترعرع تحت الرعاية والتربية الالهية الخاصة بين أناس من أوحش وأجهل الناس ، فأظهر ذلك النور من بين ظهرائي هؤلاء القوم ، وأجرى القرآن على لسانه المبارك حيث تنبع منه جميع العلوم .

وقد كتبوا إلى الآن أكثر من مائتي تفسير للقرآن ، ولكنهم لم يدركوا أعماق ذلك البحر المتلاطم بعد ، وقد أعلن عن إعجازه منذ البداية حيث كانت هذه المعجزة مناسبة لذلك الزمان إذ كان الشعر والفصاحة والبلاغة والأدبيات على أوجها . وقد جعله المعجزة الباقية أيضاً لأنه دستور دينه خالد .

آيات القرآن تهز عتبة :

اجتمع المشركون وأرسلوا عتبة الذي كان بارعاً في فن الشعر والفصاحة والبلاغة إلى رسول الله (ص) ليتمكن من الإتيان بمثل القرآن .

وجاء عتبة إلى رسول الله (ص) وقال : يا محمد اسمعني بعض اشعارك . فقال رسول الله (ص) : انه ليس بشعر انه كلام الله .

فقال : اقرأ .

فقرأ له رسول الله (ص) الآيات الأولى من سورة فُصِّلَتْ ، ومعلوم كيف يكون تأثير ذلك القرآن الذي يكون قارئه محمد (ص) .

حتى وصل إلى الآية الشريفة ﴿ فإن أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾^(٢) .

(١) الحديد / ٢٥

(٢) فُصِّلَتْ / ١٣

تغير وجه عتبة وخاف وارتعد ، ولم يطق سماع أكثر من ذلك ، فقرأ يده من فم رسول الله (ص) وقال : سألتك بحق الرحم أن تكف عن القراءة فإن هذا يكفي ، ولا طاقة لي على سماع أكثر .

ورجع وقد تغير لونه وطار صوابه ، فلما رأى أبو سفيان وأبو جهل ذلك منه قالوا : هل صبت إلى محمد (ص) ؟

فقال : لا . ولكني فهمت انه ليس كلام البشر .

أجل ، فلو انهم استطاعوا أن يأتوا بسورة واحدة مثل القرآن لأقاموا الدنيا واقعدوها ، خصوصاً في هذا الزمان ، حيث تكثر فيه الطباعة ، فكيف كانوا سيطبعون منه ويطلبون له ويزمرون على انه المثل للقرآن ؟ هذا مع كثرة أعداء الإسلام منذ البداية وإلى الآن ، والقرآن معجزة من وجوه عديدة بغض النظر عن الفصاحة والبلاغة والتي سنشير إلى بعض منها .

الاستشفاء بالقرآن الكريم :

هناك جهات عديدة في القرآن الكريم ، والتي تسبب مزيداً من البصيرة وتبعث على الإطمئنان وقوة القلب بأن الكلام كلام الله ، فالخواص والتأثيرات التي تترتب على هذه الألفاظ العظيمة متعددة ظاهرة كانت أم باطنية ، والاستشفاء بالقرآن الكريم قسم من خواصه الظاهرية ، فالقرآن الكريم فيه شفاء للأمراض الظاهرية والأمراض الباطنية المعنوية ، فهو شفاء للأمراض الجسدية وكذلك الأمراض المعنوية من قبيل الجهل .

ويمكنكم التثبت بالقرآن الكريم في كل بلاء ومرض لتحصلوا على التأثير الإيجابي والعجيب له ، فحتى لو كنت في الصحراء وكانت الرياح عاتية فإن قراءة آية ﴿ ولله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾^(١) تكون مؤثرة .

وقراءة سورة الحمد ، وخاصة سبعين مرة مجرب في علاج جميع الأمراض ، فيما أن يشفى تماماً أو لا أقل من تخفيف ألمه ومرضه ، حتى انه روي^(٢) انها لو قرئت على الموتى فبعثوا إلى الحياة فلا تتعجبوا من ذلك .

(١) الانعام / ١٣

(٢) الوسائل : الصلاة ، أبواب قراءة القرآن ، الباب ٣٧ .

وطبعاً فالشروط الأساس هو التعظيم لدى القاريء ، وإخلاصه واعتقاده ، بأن يعتقد جازماً بأن الفاعل هو الله تعالى والقرآن هو كلامه ، فعند ذلك يمكنه أن يستفيد كثيراً ، فقاريء القرآن محترم وحامل القرآن محترم كذلك .

وقد ورد في الرواية^(١) أن يوم القيامة يقال لقاريء القرآن : « اقرأ ، وارقه » أي اقرأ واصعد في المرتبة فهو يرتفع في الدرجات بمقدار قراءته

القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد :

نعم ، فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد ، الذي يمكن القول بأن ألفاظه هي عين الوحي ، وإلا فإن التوراة والإنجيل رصحف الزبور ليست كذلك .
وحتى التوراة والإنجيل الأصليان كانا وحياً الهياً ، ولكن لم يكونا من حيث الصياغة على سبيل الإعجاز، بل كانا لبيان الأحكام ونقل القصص المتعلقة بالماضي أو المستقبل ، هذا أولاً .

وثانياً : لا يدعى أحد بأن ما هو موجود من التوراة والإنجيل فعلاً بعنوان العهد القديم والجديد هما عين ألفاظ الوحي وإنما قد تغيرا عدة مرات وقد كتبا بواسطة أشخاص قد سمعوا بهما فكتبوا ما سمعوه .

ونجد الآن من بين الأناجيل العديدة أربعة أناجيل مشهورة كل واحد منها يختلف عن الآخر .

أما القرآن الكريم ، فهو الوحيد الذي تكون ألفاظه عين الوحي ومطابقة له ، فإضافة إلى أن نزوله كان معجزة ، فهو معجزة من جهات متعددة قد أشرنا إلى بعضها .

معاني كثيرة في كلمات قليلة وأسلوب صحيح :

ذكر المرحوم فخر الإسلام في كتابه (أنيس الاعلام) أربعة عشر وجهاً لإعجاز القرآن وذكر في كتاب (بيان الحق) عشرين وجهاً .

وأحد تلك الوجوه هو أن القرآن الكريم يحتوي على المعاني المتعددة والمفاهيم المهمة في ألفاظ قليلة دون الإخلال بالمعنى أو الأسلوب البياني ، يعني أنه يقول كلاماً

(١) الوسائل : الصلاة ، أبواب قراءة القرآن ، الباب ١ ح/٢ .

قليلا بمنتهى البلاغة والفصاحة يفيد معان كثيرة مع رعاية القواعد الأدبية بصورة كاملة ،
بحيث يخرج ذلك عن قدرة البشر ، وكمثال على ذلك نشير إلى الآية الشريفة من سورة
القصص :

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ .

فقد جمع في هذه الآية بين خبرين ، وأمرين ، ونهيين ، وبشارتين مع كل ذلك
البيان البليغ الذي لا يخفى على أهل الفن .

* * *

الفهرست

الصفحة

الموضوع

الباب الأول النبوة

٧	المقدمة
---	---------

الفصل الأول

٢١	إنكار الأنبياء يؤدي إلى إنكار الله تعالى
٢١	الإرتباط بالعوالم الأخرى يختص بالوحي
٢٢	الحيوانات لا تحتاج إلى الإجتماع
٢٢	إحتياج الناس بعضهم إلى بعض
٢٣	ضرورة الأنبياء لوضع القانون
٢٣	هل تكفي القوانين البشرية في تنظيم شؤون الحياة ؟
٢٤	عدم كفاءة قانون الزواج
٢٥	لا إمتياز لواضعي القانون على الآخرين
٢٦	عدم المصلحة الذاتية الشرط الآخر لواضع القانون
٢٦	القوة الإجرائية ضرورية في وضع القانون
٢٧	الجزاء من حقوق الله أيضاً
٢٧	القلوب لها طريق إلى الله

الفصل الثاني

٢٩	العصمة هي الشرط الأساسي في الأنبياء (ع)
٢٩	محمد (ص) الأمين قبل النبوة
٣٠	يجب أن يكون النبي أفضل من جميع الناس
٣٠	يجب ألا تكون أعمال وأقوال النبي خلاف العقل
٣١	الأقانيم الثلاثة مع القول بالوحدة
٣١	إستحالة النبوة بعد محمد (ص)
٣٢	سحر ابن المقنّع وإنتحاره
٣٣	الفرقة الضالّة والضلال الحقيقي
٣٣	نهاية الوحي والنبوة

الفصل الثالث

٣٥	لا طريق إلى السهر والإشتباه عند الأنبياء
٣٥	المعجزة دليل صدق النبي
٣٦	موقف العقلاء ممن يدعي النبوة
٣٦	الأمر الخارق للعادة فرع لقدرة الحق تعالى
٣٦	المعجزة تعني عجز الآخرين عن الإتيان بمثل ذلك
٣٧	المعجزة الباقية للدين الخالد
٣٨	فأتوا بسورة من مثله
٣٨	جواب الإمام الصادق (ع) إلى الطبيب الهندي
٣٨	المعنى الواسع لكلمة الإسراف
٣٩	سلامة الجسم ببركة الصوم
٣٩	الإستمرار على ما تعود عليه الجسم
٣٩	إتحاد الكواكب والأجرام السماوية مع الأرض سابقاً
٤٠	دوران جميع الأجرام السماوية
٤٠	حركة المجموعة الشمسية بإتجاه (وكا)

٤١	 حركة الأرض كالمهد
٤١	 الجبال أوتاد الأرض
٤٢	 علم الفقه في القرآن المجيد
٤٢	 الحكم الحرجي غير موجود في الإسلام
٤٢	 أخذ الرهن للضمان
٤٣	 علم الأخلاق والسفر إلى الآخرة
٤٣	 نموذج من آيات الآخرة في القرآن
٤٤	 كل هذه العلوم من رجل لم يدرس عند أحد

الفصل الرابع

٤٥	 معجزة محمد (ص) لجميع العصور
٤٥	 أخبار القرآن الغيبية لا مثيل لها
٤٦	 الأخبار الغيبية عن الحوادث القادمة
٤٦	 لا يمكنكم الإتيان بمثل هذا القرآن
٤٦	 القرآن الكريم متوفر دائماً
٤٧	 عليكم الإتيان بسورة واحدة بدل هذا الخداع
٤٧	 أفصح العرب يعلن عن عجزه
٤٨	 هزيمة جيوش الكفار
٤٩	 رجوعك مرة أخرى إلى وطنك
٤٩	 إن الله يحفظك من الأعداء
٤٩	 محمد (ص) اليتيم والفقير
٥٠	 الإستخفاف بمقدسات المشركين
٥٠	 يا من يرحم أعداءه
٥١	 حمالة الخطب لم تشاهد النبي (ص)
٥١	 المؤامرة الفاشلة في دار الندوة
٥٢	 النبي (ص) يهاجر من مكة

٥٢	علي ينام في فراش النبي (ص)
٥٣	يرفع الرمح لكن يده ترتعش
٥٣	عدم تأثير سحر المشركين في النبي (ص)
٥٤	عدم التمكن من حسد النبي (ص)
٥٤	المرأة اليهودية تدس السم إلى رسول الله (ص)
٥٥	رسول الله (ص) مظهر الرحمة الألهية
٥٥	عدة أشخاص لحماية النبي (ص)
٥٥	مؤامرة قتل النبي (ص) في ليلة العقبة

الفصل الخامس

٥٧	الاختلاف الكثير نتيجة لطول الزمان
٥٨	تفرق الجيوش المتراصة
٥٨	إنفاق الأموال والندم على ذلك
٥٩	هزيمة الجيش بسبب الرياح
٥٩	البشارة للنبي (ص) من الأخبار الغيبية
٦٠	نهاية الأصنام في مكة
٦٠	الفتح المبين والإستيلاء على مكة
٦١	حفر الخندق لمنع الكفار
٦٢	سيطرة الإسلام على قصور كسرى وقصر واليمن
٦٣	الحرية والأمان في إداء الشعائر الدينية
٦٣	بلال المؤذن والتعذيب الوحشي
٦٤	قول أحد تحت الصخرة الساخنة
٦٤	المؤذن الرسمي رغم أنف الأعداء
٦٤	كنعان ومصر مقر أهل الإيمان
٦٥	تحقق الوعد الإلهي للمسلمين
٦٥	التأييد الإلهي في نصرة الإسلام

٦٦	مقدمات إسلام رجل مسيحي
٦٦	فارقليط بمعنى المسلي
٦٦	فارقليط بشارة بمجيء محمد (ص)
٦٧	السفر إلى الشام ثم العراق
٦٧	القلم السيال نعمة الله
٦٧	إتهام النبي (ص) باتباع الشهوات
٦٨	الرسول (ص) يريد روحية خديجة ومعنويتها
٦٨	إيمان خديجة في تلك الأوضاع
٦٩	دفاعها بالمال والنفس عن رسول الله (ص)
٦٩	تعدد الزوجات في الكبر لصالح الإسلام
٦٩	تكفل الأرامل وزرع المحبة في القلوب
٧٠	مساعده في تبليغ الأحكام الدينية
٧٠	بيت النبي (ص) كأفقر بيوت المسلمين
٧٠	طلب الدنيا أو طلب الله ورسوله
٧١	العدالة بين الزوجات المتعددات
٧١	العدالة حتى في مرض الموت
٧٢	صية خديجة إلى أم أيمن
٧٢	خوف خديجة من العري يوم القيامة

الفصل السادس

٧٣	عدم إيمان (أبي لهب)
٧٣	الملائكة لمساعدة المسلمين في بدر
٧٤	مشاجرة أبي لهب مع أبي رافع وأم الفضل
٧٤	المرض المعدي والجنازة المتعفة
٧٤	أصغر السور مع عدة معاجز
٧٥	الرسول (ص) يصبح غنياً من الناحية المادية

٧٥	 الشامتون هم مقطوعو النسل
٧٦	 عدد حوارى المسيح إثنى عشر شخصاً
٧٦	 كثرة أمة محمد (ص) عطاء آلهى
٧٧	 إتباع الأنبياء قليلون دائماً
٧٧	 أهوال المطلع
٧٨	 لا يبقى على الأرض سوى المسلمين
٧٨	 نسل بنى أمية إثنى عشر ألف ولد
٧٩	 البركة فى التعاج وليس بالكلاب

الفصل السابع

٨١	 سهولة حفظ القرآن
٨١	 الوعد بحفظ القرآن من التحريف
٨٢	 كون النبى (ص) أمياً
٨٢	 القرآن لا يحتاج إلى إصلاح كماً وكيفاً
٨٣	 عدم الملل من القرآن معجزة
٨٣	 الإنتصار بعد الهزيمة بالنسبة للروم
٨٣	 الرياح تحمل الكثر إلى خسرو بروج
٨٤	 إستفادة المشركين الاعلامية من هزيمة الروم
٨٤	 رهان أبى بكر على إنتصار الرومان
٨٥	 تحقق الوعد الالهى فى سبع سنوات
٨٥	 التدرج فى الأحكام الإسلامية
٨٥	 حرمة الرهان إلا فى السبق والرماية
٨٦	 الوعد بالغنى والثروة عند فقر المسلمين
٨٧	 عدم إستطاعتهم إطفاء نور الله

الفصل الثامن

٨٩	 إثبات النبوة بالحس
----	--------------------------

٨٩	إثبات النبوة والإمامة بالتواتر
٩٠	بأي معنى يكون التواتر ؟
٩٠	ثبوت نبوة محمد (ص) بالتواتر
٩٠	أوصاف محمد في كتب الأخبار
٩١	صفات محمد في القرآن
٩١	لا يمكن إحصاء معجزات النبي محمد (ص)
٩٢	كتابة أربعة آلاف معجزة
٩٢	معجزة اللّعب والتواتر المعنوي
٩٢	إلصاق رجل معاذ باللعب
٩٢	شفاء عين علي (ع) المصابة بالرمد
٩٣	إشباع الكثيرين بالطعام القليل
٩٤	المعجزات الصادرة من لسان النبي (ص)
٩٤	إحياء ولّدين لصاحب البيت
٩٥	ثراء جعفر ببركة دعاء النبي (ص)
٩٥	الأخبار الغيبية للرسول (ص)
٩٦	إخبار النبي (ص) بالنسبة لأهل بيته

الفصل التاسع

٩٧	ذكر وتعظيم محمد (ص) يبعث المحبة
٩٧	محمد الشاهد على الله
٩٨	إحاطة علم النبي (ص) بالماضي والمستقبل
٩٨	القدرة المترشحة من قدرة الله تعالى
٩٩	يعفو عن وحشي قاتل حمزة
٩٩	الكافر الذي رأى رسول الله (ص) وحيداً
١٠٠	الشاهد على أعمال الناس
١٠٠	البشير والنذير

الموضوع

- البشارة والأمان حول الأيتام
- البشارة للكاسب الأمين
- البشارة والأمن للنساء
- الفضلات هي نهاية نعيم الدنيا
- ابنوا قصور الجنة بأنفسكم
- لقاء الإمام علي (ع) طليعة الجنة

الفصل العاشر

- الهدف من الرسالة حياة الإنسان
- الحياة منشأ الحركة
- الحياة النباتية في جميع الحيوانات
- الحياة الإنسانية ناتجة من نور المعرفة
- ولد الذئب أو ولد الغزال
- ظهور ما يدل على الحياة الإنسانية
- ما أصعب أن يكون إنساناً
- معاملة أبي الدحداح مع الأنصاري
- إحصل على قلب إن استطعت
- يبيء وسائل السفر إلى الآخرة
- عتق سبع جوارٍ للخلاص من النار
- الانس بذكر الله من لوازم الحياة الإنسانية
- ما هو علاج الموت ؟
- استعد للموت
- كيف يكون العمل للدنيا والآخرة
- العزة في طاعة الله
- مرض يعقوب ودعاء سهل بن عبدالله
- الذل في معصية الله

لا حزن على الموت الحيواني	١١٣
---------------------------	-----

الفصل الحادي عشر

علامة الحياة والموت النباتي والحيواني	١١٥
انذر الأحياء وليس الموتى	١١٦
وكل إناء بالذي فيه ينضح	١١٦
يجب أن نسعى للحصول على حياة أقوى	١١٧
ما هي أسباب الحياة الإنسانية ؟	١١٧
لنكون أناسي علينا بالإرتباط بمحمد (ص)	١١٧
محمد وعلي أبوان لإنسانية الإنسان	١١٨
حقوق الوالد الروحي أكثر بمراتب عديدة	١١٨
لا تقاس الولاية بالنعم الدنيوية	١١٩
الحي هو من ارتبط بالحي الحقيقي	١١٩
ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج	١١٩
المشابهة في القول والفعل	١٢٠
حسن الخلق في شيعة علي (ع)	١٢٠
لا تتركوا الحصن المنيع للولاية	١٢٠
العين الباطنية أهم بكثير	١٢١
حديث الأعمش مع الجارية العمياء	١٢١
حب علي (ع) يشفي البصر الظاهري والباطني	١٢٢
حياة القلب لا موت فيها	١٢٢

الفصل الثاني عشر

إنحصار الإطلاع على الغيب بالوحي	١٢٥
لا يطلبون أجراً من الناس	١٢٥
المودة لمنفعتكم	١٢٦

الأنبياء كانوا أزهد الناس	١٢٦
كان زهد عيسى وموسى قدوة	١٢٦
مثال على زهد خاتم الأنبياء (ص)	١٢٧
كان فراش النبي (ص) زهيداً	١٢٧
لا اترك دعوتي	١٢٨
بكلمة تصير الدراهم ذهباً	١٢٨
كيف يكون المشافي مريضاً ؟	١٢٩
الكلام اللطيف للشيخ الشوشترى	١٢٩
العصمة قوة الهية	١٣٠
اعتراف الأئمة هل هو تواضع أو تعليم للعباد	١٣٠
جواب الأربلي الجيد عن الإشكال المشهور	١٣١
أَعَرَفُكُمْ أَخَوْفُكُمْ	١٣١
الذنب هو الموجب للحياء	١٣١
الذنب يستعمل بالمعنى الواسع	١٣٢
كل تضحية قليلة في حق المحبوب	١٣٢
ينجولون من الأمور المباحة	١٣٢

الفصل الثالث عشر

يجب أن يكون المعصوم معيناً من الله	١٣٥
المعجزة تختلف عن السحر والشعوذة	١٣٥
الساحر مظلم القلب وطالب المال	١٣٦
كشف المجهول بالإتصال مع الجن	١٣٦
السحر والكهانة بواسطة الأسباب والمعجزة بدون سبب	١٣٧
الساحر الذي كان همه بطنه	١٣٧
المعجزة إظهار لقدرة الله	١٣٨
السحرة عرفوا معجزة موسى	١٣٨

المعجزة دليل عصمة النبي والإمام	١٣٩
إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص	١٣٩
الله عز وجل يُعرِّف النبي محمداً (ص)	١٤٠
آيات القرآن تهز عتبة	١٤٠
الإستشفاء بالقرآن الكريم	١٤١
القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد	١٤٢
معاني كثيرة في كلمات قليلة وأسلوب صحيح	١٤٢

الإمامية

تأليف
السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة
أحمد القبانجي

الفصل الأول

تعريف الإمامة ، والفرق بينها وبين النبوة :

الإمامة : هي الرئاسة العامة الألّية خلافة عن رسول الله (ص) في شؤون الدنيا والدين ، بحيث يجب على كافة الخلق طاعة الإمام .

والفرق بين النبي والإمام ، هو أن النبي حاكم بالأصل على الناس في دينهم ودنياهم مباشرة ودون وساطة ، أما الإمام فهو الحاكم عليهم بواسطة النبي .

هل يجب على الرسول (ص) تعيين الخليفة ؟

في البداية يجب أن نرى ، هل أن الرسول (ص) ترك الدنيا من دون أن يعيّن الخليفة بعده ؟ ولو أنه عين الخليفة ، فهل يكون الاعتقاد به واجباً ، أم لا ؟

إذا لم يعيّن النبي (ص) خليفة بعده ، فيلزم من ذلك القبح العقلي . لماذا ؟ لأن رئيس القوم أو القبيلة إذا أراد السفر فإن العقلاء يقولون إن عليه ألا يترك قومه بدون رئيس ، فكيف إذا كان السفر سفر الآخرة ، وأنه لا يرجع إلى قومه بعد ذلك ؟

فلو كان الرئيس يهتم بقومه واقعاً ، فلا بد وأن يعين من ينوب عنه كيلا تتوقف أعمال الناس في غيابه .

فأي رئيس أرحم وأكثر اهتماماً بقومه من خاتم الأنبياء محمد (ص) ؟ حيث كان في

منتهى الرحمة والرافة بالمسلمين حتى أن القرآن الكريم ذكره بهذه الصفة ومدحه على ذلك^(١) .

تعيين الخليفة في الأسفار القصيرة :

وقد كان رسول الله (ص) يولي أشد الإهتمام لهذا الأمر ، فمن شدة اهتمامه وعطفه على الأمة ، أنه كان لا يتركها كذلك حتى في الأسفار القصيرة وإنما يعين مكانه من ينوب عنه حتماً .

وقد شارك الرسول (ص) في غزوة تبوك ، فلما أراد أن يخرج من المدينة ويلتحق بالجيش عين علي بن أبي طالب (ع) مكانه حيث لم يسلم من لسان المنافقين واتهاماتهم حيث قالوا بأنه ترك علياً وأبعده عنه ، ولكن رسول الله (ص) أظهر فضل الإمام علي ومقامه في حديث المنزلة حيث قال :

« أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

فيجب ألا تبقى المدينة ، وهي عاصمة المسلمين بدون نائب وخليفة لرسول الله (ص) في تلك المدة التي غادرها الرسول (ص) مع الجيش ، لأن حفظ حوزة المسلمين وكيانهم واجب .

لا بد من تعيين الأحكام الشرعية :

إضافة إلى ذلك ، فلو أن أحداً كانت عنده مسألة شرعية فمن يسأل ؟ يجب أن يكون هناك من يعتمد عليه في هذه المسائل .

ولو جاء أحد من أتباع الديانات الأخرى ، وأراد أن يستفهم عن الإسلام ، فعندما يسأل أين محمد (ص) فيقال له مسافر ، فمن أي شخص يسأل ؟ وكيف يمكن إرشاده ؟ فلا بد إذن من وجود من ينوب عنه (ص) .

(١) ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عِتمٌ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (سورة التوبة الآية ١٢٨) .

القضاء على المؤامرات الداخلية :

وهناك شيء آخر وهو ضرورة وجود حاكم بين الناس ، حتى يمكن القضاء على المؤامرات الداخلية إضافة إلى دحر الأعداء الخارجيين ، وقد سمعتم بأنه عندما ذهب موسى إلى ميقات ربه لمدة أربعين يوماً نصب أخاه هرون خليفة له ، وكذلك فعل رسول الله (ص) في غزوة تبوك كما ذكرنا ، حيث نصب علياً (ع) خليفة له وجعله منه منزلة هارون من موسى .

إذن فمن الواجب عقلاً أن يُعيّن الرسول (ص) خليفة له بعد موته .

الاعتقاد بالإمام بعد الرسول (ص) واجب :

وبما أن الرسول (ص) لم يترك حكماً من أحكام الإسلام إلّا وبينّه ، فكيف يمكن أن يترك هذا الحكم - والذي هو بهذه الأهمية بحيث إن تركه قبيح عقلاً ؟ - إذن فلا بد أن يكون الرسول (ص) قد بيّن ذلك حتماً ، والإعتقاد به واجب أيضاً .

يجب أن يعتقد كل مسلم ، بأن رسول الله (ص) لم يترك الدنيا بدون أن يعين خليفة له ، وإلا فيلزم من ذلك أن يكون قد ترك أهم الأمور الدينية ، وارتكب ما هو قبيح في نظر العقل وعند العقلاء ، وهو منزه عن ذلك .

الإمام يجب أن يكون بتعيين الله أيضاً :

والإمام يجب أن يتم تعيينه من قبل الله كما هو الحال في الرسول (ص) ، لأنه هو الذي يعلم من الذي يصلح للإمامة . فالنائب للرسول يجب أن يكون نسخة ثانية من الرسول ، ومعدن علم الله ومحل ظهور أسماء وصفات الله ، فيجب أن يكون مثل النبي حتماً ، وأن يكون هناك تشابه تام بينهما .

لو أن الخباز أراد السفر ، وأراد أن يبقى مخبزه مفتوحاً والعمل فيه مستمراً فماذا يصنع ؟ هل يصح أن يقول للتجار تعال اعمل في محلي ؟

كيف يكون التجار خليفة ونائباً للخباز ويعمل عمله ؟

ولو أن معلماً أراد السفر ، فهل يمكنه أن يضع مكانه شخصاً أميناً لتعليم الطلاب ؟

يجب أن يكون الإمام مثابها للرسول (ص) تماماً :

فالنائب لأي شخص يجب أن يكون مماثلاً لذلك الشخص . ف خليفة الرسول (ص) يجب أن يماثل الرسول من حيث العلم والعمل ، بحيث لو رآه أي شخص فكأنما رأى الرسول (ص) ، وكما يجب أن يكون الرسول عالماً بالأحكام ، فكذلك الإمام يجب أن يعرف الأحكام التي يسأل عنها ، وإلا فسيكون مورداً لإعتراض الناس كما سبق وحصل هذا الشيء في تاريخ الإسلام .

اعتراض امرأة على الخليفة الثاني :

قيل أن عمر بن الخطاب أمر على المنبر أن لا يزداد في مهرور النساء على مقدار حدّه ، فقامت إليه امرأة فقالت له : يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول : ﴿ وآتيتهم إحداهن قنطاراً ﴾^(١) فقال عمر : « ألا تعجبون من أمام أخطأ وإمرأة أصابت ناضلت إمامكم فضلته »^(٢) .

ومن جملة الأمور التي أحلها القرآن الكريم هو مهر النساء فيقول :

﴿ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾^(٣) .

وبهذه المناسبة خطر على ذهني حديث مذكور في بحار الأنوار ومفيد من عدة جهات .

وحاصل هذا الحديث :

أنه كان أحد الأشخاص مريضاً ، ولم ينفع معه أي دواء ، فجاء إلى الإمام الصادق فأرشده إلى العلاج وقال له : اطلب من زوجتك أن تعطيك شيئاً من مهرها الذي أعطيته

(١) النساء/ ٢٠ .

(٢) رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، وذكره الزمخشري في كتاب الكشاف . كما أرسله ابن أبي الحديد في شرح النهج إرسال المسلّمات فراجع الجزء ١٢ من ص/ ٢٠٨ حيث روى ان عمر قال : كل النساء افقه من عمر .

(٣) النساء/ ٤ .

إياها بأن تهبه لك واشتر به مقداراً من العسل وامزجه بماء المطر وكله فإن فيه شفاءك .

فذهب الرجل وعمل بما أوصاه به الإمام (ع) فرزقه الله تعالى الشفاء من ذلك المرض ، وبقي الرجل متحيراً من طريقة العلاج التي أوصاه به الإمام (ع) فرجع يسأل من الإمام عن السر في ذلك .

فقال له إن ما قلته لك من أمر المهر لأن الله تعالى قال :

﴿ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ .

وبالنسبة للعسل فإن الله تعالى قد جعل فيه شفاءً للناس^(١) وهو طعام مبارك وله فوائد كثيرة خصوصاً لبعض أوجاع القلب الناتجة من الرطوبات الزائدة .

فالعسل يدفع تلك الرطوبات بحرارته الشديدة . وطبعاً يجب تشخيص المرض بصورة صحيحة قبل ذلك ، وعلى كل حال لنتم الحديث الشريف ، حيث قال له الإمام بعد ذلك : أما ما قلته من مزجه بماء المطر فلأن الله تعالى قد جعله مباركاً ووصفه بالبركة^(٢) .

ومن المعلوم أن المال عندما يكون طاهراً وحلالاً فإن طعامه الذي يكون الشفاء فيه إذا مزج مع ماء مبارك ، فإنه سوف يؤدي إلى الشفاء .

الإطلاع الكامل على علوم القرآن :

ويجب أن تكون علوم القرآن منقوشة في صدر من ينوب عن الرسول (ص)^(٣) ، بحيث لا تكون لديه آية متشابهة وأخرى مجملة . يجب أن يكون على اطلاع كامل بمطلقه ومقيدته ، عامة وخاصة ، وموارد نزول آياته وشؤونها ومصاديقها وجميع مواضعه ومطالبه الدقيقة .

(١) ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ سورة النحل آية ٦٩ .

(٢) ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركاً ﴾ سورة ق/ ٩ .

(٣) ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ سورة العنكبوت/ ٤٩ .

جواب أبي بكر على مسألة الإرث :

ويذكر في أحوال أبي بكر ، بأنه سئل عن (الكلالة)^(١) في أحكام الميراث ، فقال : « أقول فيها برأي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان »^(٢) .

وقوله : « فإن استقمتم فأتبعوني وإن زُغتُ فقوموني »^(٣) .

إذا كانت الإمامة بهذه الصورة فإنها ممكنة لأي شخص .

وفي بعض الأحيان كان يناشدهم « أقبيلوني »^(٤) ولست بخيركم وعلي فيكم » .

فالنائب للرسول (ص) يجب أن يكون في العلم أعلم من جميع الناس ، ويكون له من العلم كما كان للمنوب عنه ، وتكون له إحاطة تامة بالقرآن الكريم .

التحكيم بين اليهود والنصارى والمسلمين :

يُجمع المؤرخون السنة والشيعة ، بأن أعلم الناس بعد النبي (ص) هو علي (ع) ويروي ابن أبي الحديد عن المدائني قال خطب علي (ع) فقال : لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى أنزلت وفيمن أنزلت^(٥) .

فلا شك بأن الإمام علي (ع) أعلم من جميع الصحابة ، وقد جعل الله تعالى صدره الشريف مخزون العلوم .

(١) من لا ولد له ولا والد وهذه الآية بيّنت حكم اشتراط التوارث بين الأخوة والأخوات أن لا يكون للموروث منهم ولد .

(٢) شرح النهج ١٧ ص / ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) شرح النهج ١٧ / ١٥٩ .

(٤) ن . م ص / ١٥٥ .

(٥) في رحاب أئمة أهل البيت للأمين . ومثله في كشف المحجة لابن طاووس . والارشاد للشيخ المفيد .

ويقول الإمام في خطبته الشقشقية^(١) : « ينحدر عني السيل ولا يرقى إلَيَّ الطير » .

فسيل العلم ينحدر عن جبل صدر الإمام (ع) ، ولا يمكن لطيور الأوهام والخيالات إدراك حدود علمه أبداً .

كان يكرر دائماً على المنبر ويقول : « سلوني قبل أن تفقدوني »^(٢) .

كلام الغزالي :

يقول حجة الإسلام الغزالي ، وهو من العلماء المشهورين ومورد الإعتماد عند السنة في كتاب (سر العالمين) :

لولا حظتم كلتا العبارتين حيث يقول أحدهما - يقصد الخليفة الأول - : « أقبلوني .. » فإني لا أعلم لي والآخر - وهو علي (ع) - : « سلوني قبل أن تفقدوني » فعندما تقيسوا بين الجملتين سيتضح لكم من هو نائب الرسول ووارث علمه .

وهناك كلمة أخرى للإمام (ع) حيث يقول :

« سلوني عن طرق السموات (الملكوت والعالم الأعلى) ، فإني أعلم بها من طرق الأرض (الملك والعالم السفلي) » .

وكان يقول (ع) : « سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تُضِلُّ مائة وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقتها وسائقها »^(٣) .

الإمامة بالتعيين لا بالانتخاب :

فقد وجب بحكم العقل مماثلة نائب الرسول (ص) لنفس الرسول ، من حيث العلم والعمل والعصمة والتقوى ، هذا من جهة ..

(١) هي الخطبة رقم ٣ من خطب نهج البلاغة ج ١ ص ١٥١ .

(٢) و (٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨٦/٢ .

كما يذكر شارح نهج البلاغة فصلاً كاملاً عن معرفة علي (ع) بالمغيبات فراجع نفس الصفحة وما بعدها .

ومن جهة أخرى ، فصاحب المرتبة والمقام الأدنى لا يمكنه الإحاطة بالمقام الأعلى ، فالشخص المقلّد لا يستطيع معرفة المجتهد أو المجتهد الأعلّم إلا بتأييد من شخص أعلّم منه أو مساو له في المرتبة .

فلذلك لا يمكن للبشر إدراك مقام الإمام ، وكان تعيين الخليفة كحاكم على الأمة من الأمور الخاصة بالله بواسطة الرسول (ص) ، حيث إن الله ورسوله أعلّم بذلك ولا يتعلق الأمر بالآخرين .

الإمامة ليست كدولة الجمهورية :

يعتقد أخواننا السنة بأن تعيين الإمام يتم من قبل الناس فهو من مسؤولياتهم حيث يجتمعون وينتخبونه ، حتى لو كان ذلك بالقوة ، وحتى لو كان بالدبابة والمدفع ، فمع ذلك فهو إمام أياً كان .

فلو كان الأمر كذلك فهي ليست خلافة ونيابة من قبل الله والرسول ، وإنما هو شخص منتخب من قبل الناس ليحكم ويستلم مقاليد الرئاسة ، كما نرى من انتخاب الناس لرئيس الجمهورية ، فيجب أن لا يقال عنه إنه خليفة رسول الله .

رسالة أبي قحافة لابنه أبي بكر :

بعد أن استلم أبو بكر الحكم كتب إلى أبيه (أبي قحافة) : من أبي بكر خليفة رسول الله إلى أبيه (أبي قحافة) : أما بعد فقد بايعني الناس لأنني أكبر سنّاً فبايع أنت كذلك ! وقد أجابه أبو قحافة على رسالته وكتب له : وصلّتي رسالتك المتناقضة ، فأنت تقول في أولها بأنك خليفة رسول الله ، ثم تقول بعد ذلك بأن الناس قد جعلوني خليفة ، وهذا يعني أنك خليفة الناس وليس خليفة رسول الله .

هذا إضافة إلى أنك كتبت تقول إنهم بايعوك لأن سنك أكبر من أي واحد منهم فلو كان الميزان والملاك هو السن ، فأنا أبوك أكبر منك سنّاً فأكون أولى بالخلافة منك .

فلذلك كان أبو قحافة من الأشخاص الذين لم يبايعوا أبا بكر .

هل أن تعيين الخليفة بيد الناس ؟

خليفة الرسول (ص) يجب أن يكون بتعيين من الله . وأما ما يقوله أهل السنة والجماعة من أن رسول الله (ص) قد أوكل تعيين الخليفة إلى أهل الحل والعقد ، وأن اتفاقهم واجماعهم حجة لا يتلاءم مع الموازين التي بين أيدينا وهو يؤدي إلى الإخلال بالنظام العام .

هل يمكن القبول بأن رسول الله (ص) لم يعين الخليفة بعد وإنما قال لهم : اجتمعوا وانتخبوا لكم رئيساً بحيث يكون الرسول هو السبب في الصراع والنزاع ؟

فالبداية لكل هذه الاختلافات والفتن والفساد والقتل والسباب هي مسألة الإمامة ، وهي مستمرة لحد الآن ، فلو أن أحداً تصور أن تعيين الإمام يتم عن طريق الناس ، فقد أنكر العدالة الإلهية ، واتهم الله سبحانه وتعالى بالظلم .

فلهذا يجب بحكم العقل أن يكون تعيين الإمام بيد الله ، لا كما يقول اخواننا أبناء العامة من أنه أوكل أمر التعيين إلى الناس أنفسهم .

هل عين الرسول وصياً ، أم لا ؟

إلى هنا اتضح أنه يجب تعيين الامام من قبل الله والرسول ، والسؤال الآن هو : هل أن الرسول قد عين أحداً أو لم يعين ؟

الأدلة متواترة على تعيين الأوصياء ، وليست من طرق الشيعة فقط ، بل إن الأكثر ورد عن طرق السنة بأن الرسول عين اثني عشر وصياً أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم الحجة بن الحسن العسكري (ع) .

وقد ذكرت الروايات الواردة في تعيين الوصي في كتب الأحاديث ، ونذكر أحد مضامين تلك الروايات .

خلفاء الرسول (ص) اثنا عشر شخصاً :

قال رسول الله (ص)^(١) : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا

(١) مسند أحمد ، ٨٩/٥ وورد في مسلم في أول كتاب الإمامة .

عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي رواية أخرى ، قال : أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم .

هذا القبيل من الروايات وارد بحد التواتر ومضمونها أن الخلفاء اثنا عشر شخصاً من قريش ومن نسل الزهراء عليها السلام .

وينبغي الرجوع إلى كتاب غاية المرام وسائر الكتب التي من جملتها مجلدات الغدير فكم من الأحاديث والروايات التي صدرت عن الرسول (ص) من بداية البعثة حتى الوفاة ، تشير إلى أوصيائه خصوصاً الامام علي (ع) .

واذكر لكم واحدة في بداية بعثته ، وثانية في آواخر عمره الشريف كنموذج من تلك الروايات :

سأدب لأربعين نفراً من رؤساء قريش^(١) :

دعا رسول الله (ص) أربعين نفراً من زعماء قريش في بداية البعثة في مكة بأمر من رب العالمين وأطعمهم بذراع خروف واحدة وبصاع من الخبز فأشبعهم جميعاً وبقيت الذراع على حالها . عند ذلك قال أبو لهب إنه لسحر عجيب ؟ فسكت رسول الله (ص) على مضض وتفرق القوم ، فقال لعلي (ع) : لقد جمعتهم هنا لأدعوهم إلى الله ولكن لم يسمحوا بذلك وانكروا أكبر نعم الله فاجمعهم مرة ثانية .

وللمرة الثانية تتكرر نفس المسألة ويسكت الرسول (ص) أيضاً ، ولكن في المرة الثالثة لم يقل أبو لهب شيئاً فعند ذلك تكلم رسول الله (ص) وبدأ بالتحدث إليهم .

أول معين لي هو الوصي من بعدي :

ومحصل الروايات المتعددة في هذه القضية والواردة من طرق السنة والشيعه ، أن رسول الله (ص) قال : يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة فقال ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان

(١) المقصود بذلك قصة « وأنذر عشيرتك الأقربين » وقد وردت في كتب كثيرة لأهل السنة منها مسند أحمد ١١١/١ وكنز العمال ٣٩٦/٦ وغيرهما .

ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار ، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوازرنني عليه يكن أخي ووصيي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي ؟

فسكت الجميع ولم ينطق أحد بكلمة ، إلا واحد كان جالساً في زاوية المجلس وهو الوجود المقدس أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (ع) وقال : أنا يا رسول الله .

وكان علي (ع) أصغر الجميع سنّاً وشاباً لم يبلغ الخامسة عشرة ، فقال له رسول الله (ص) : اجلس يا علي .

وللمرة الثانية يكرر الرسول (ص) دعوته إليهم ، ويطلب منهم الناصر فلا يجيبه إلا علي (ع) ، وعندما كانت المرة الثالثة ولم يلبّ طلبه سوى علي (ع) قال الرسول (ص) « أنت أخي ووصيي ووارثي ووزير » .

وفي بعض النسخ « وقاضي ديني » يعني من يدفع الديون التي عليّ . أو الذي يتحمل مسؤولية الدين الاسلامي ، أو بمعنى القاضي والحاكم في ديني .

ثم تفرق الضيوف وهم يستهزئون بما قال ، ويقولون لأبي طالب : - ليهنك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك فقد جعل ابنك أميراً عليك .

ولاية علي (ع) هي ولاية الرسول (ص) :

وأذكر آخر ما أوصى به الرسول (ص) : فقبل شهرين من وفاته (ص) جمعهم في غدير خم ورفع يد علي (ع) وقد سمعتم جميعاً بذلك ، وإنما اكتفى بالإشارة إليه فقط ، حيث قال لهم رسول الله (ص) : أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ (يعني في التصرف بأنفسهم وأموالهم) . فقالوا : بلى يا رسول الله .

فقال (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه (فقد جعل ماله من الولاية لى الناس لعلي (ع)) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

قصة العهدة والقلم المؤسفة :

رجع رسول الله (ص) من السفر ، ومريض في المدينة وأصبح حاله شديداً ، وقد

تمدّد على فراش الموت فقبل يوم أو يومين من وفاته وبينما كان أصحابه مجتمعين في بيته قال :

« آتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً » .

فأراد رسول الله (ص) من ذلك أن يكتب لهم ما قاله لهم في غدِير خُم ، حتى لا يكون لهم أي عذر بعد ذلك ، لأنهم قد يقولون كما قال أنس المسكين بأنه قد كبر سني ولا أتذكر شيئاً .

عندما قال الرسول (ص) آتوني بدواة وكتف لأملّي عليكم وتكتبون - وفي بعض الروايات (لأكتب) لكم كتاباً - لا يتنافى في ذلك مع كونه أمياً ، فإنه لم يأخذ القلم بيده ويكتب . فعلى فرض أنه قال كلمة (لأكتب) فإنه يقصد بذلك الإملاء عليهم وإمضاء ما يكتبون لكي لا يحصل الخلاف بعد وفاته .

صحيح البخاري وكلام عمر :

وقد ورد في كتاب صحيح البخاري^(١) ، الذي هو عند أهل السنة من أهم الكتب وأكثرها اعتباراً ، وفي سبعة أماكن مختلفة من الكتاب بأن عمر قال : لا حاجة لنا بذلك يكفينّا كتاب الله . أما صحيح مسلم الذي هو أيضاً من أهم الكتب عند أهل السنة ، فيذكر بأن عمر قال « ان الرجل ليهجر » ويعني الهذيان وهو اهانة كبيرة لرسول الله (ص) .

اعتذار ابن أبي الحديد :

فلو أن أحداً تدبر في هذه الكلمة ، لفهم أموراً كثيرة ، وانكشفت له عدة حقائق ، ويعتذر ابن أبي الحديد المعتزلي عن الخليفة عمر ويقول بما أن عمر كان رجلاً شديداً وفضاً لم يتمكن من أن يسيطر على أعصابه ويمسك لسانه بحيث كان يقول وهو غير ملتفت لما يقوله .

ولكن هل كانت هذه نتيجة اتعاب ثلاث وعشرين سنة من تبليغ الرسالة ، بحيث أن

(١) الجزء الثاني/ ١١٨ .

الرسول لما أراد بعد كل هذه المدة أن يوحي أمتة بما فيه صلاحها وسعادتها لم يسمحوا له ؟ !

لو أن مسلماً على فراش الموت التفت إليك وقال أحب أن أوصي ولكنك لم تُعِرْ له اهتماماً ، فكم يكون ذلك قبيحاً ؟ فالقلب يعطف على المريض ويرقُّ له ، فكيف إذا كان المريض هو مريض الوفاة ؟

ولماذا هذه الإهانة ؟

هل هذا هو جزاء الاحسان والتقدير لشخص محمد (ص) ؟

الفصل الثاني

حفظ الإسلام من مسؤولية الخليفة :

كان الكلام في وجوب أن يكون لرسول الله (ص) خليفة . والذي يجب أن يكون بتعيين من رسول الله (ص) ليقوم مقامه بعد وفاته ، بحيث تكون له اللياقة الكاملة ، وأن يكون مثله حتى يمكنه إدارة أمور الدين وحفظ شريعة الإسلام اضافة إلى ادارة شؤون الأمة الدنيوية والإجتماعية . إذن فهو من ناحية العلم يجب أن يكون كاملاً تماماً ، وكذلك يكون في جميع الشؤون والكمالات نسخة ثانية لمحمد (ص) .

فلو أن الناس انتخبوا شخصاً جاهلاً وعديم المعرفة لرسول الله (ص) ، وكان كلما سأله أحد لا يعرف شيئاً ويحوّله على الآخرين إذن فكيف يكون خليفة ؟

وقد روى أهل السنة في عدة موارد بأن الخليفة الثاني قال : « لولا علي لهلك عمر »^(١) ، في أماكن مختلفة وأكثر من سبعين مرة ، وذلك في الحوادث التي لم يكن له فيها اطلاع أو معرفة ، ويقوم الامام علي(ع) بحل تلك المشكلات .

فيجب أن يكون لخليفة الرسول احاطة علمية بحيث لا يكون هناك حكم من الأحكام أو مسألة من المسائل ، إلا ويكون جوابها حاضراً عنده .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٢ / ٢٠٤ .

حديث عمر مع علي بن أبي طالب (ع) :

ذكروا بأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، اعترض يوماً على أمير المؤمنين علي (ع) . وقال : انك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سئلت عنه : فأبرز علي (ع) كفه ، وقال له : كم هذا ؟ فقال عمر : خمسة ، فقال (ع) : عجلت أبا حفص . قال : لم يخف علي . فقال علي (ع) . وأنا أسرع فيما لا يخفي علي^(١) .

يعرف عدد النمل أيضاً :

وبينما كان سائراً في الصحراء مع أبي ذر ، إذ وصلوا إلى واد للنمل بحيث كلما نظروا إلى جهة من الجهات شاهدوا صفوفاً منه .

فقال أبو ذر : سبحان الله الذي يعلم عدد هذا النمل .

فقال له الامام (ع) : قل « سبحان الله بارئها » أما عددها فاني عالم به أيضاً .
أجل ... فعلي (ع) يعلم بعدد النمل في جميع أنحاء الكرة الأرضية ، وكذلك بقية الأمور كما قال القرآن الكريم :

﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾^(٢) .

وكذلك يقول في سورة الرحمن ﴿ خلق الإنسان ﴾ ﴿ وعلمه البيان ﴾ ، فبيان كل شيء موجود في قلب الإمام بتعليم من الله . ولكن لم يعرف الإمام أحد إلا الله ورسوله كما هو مضمون الحديث الشريف^(٣) ، ولا شك في أن فضائله أكثر من فضائل جميع الصحابة بل هي غير قابلة للقياس .

فضل علي (ع) على جميع الأنبياء :

ويقول الامام^(٤) الفخر الرازي وهو من كبار أهل السنة في التفسير الكبير في ذيل آية المباهلة ويذكر مطلباً مهماً - وقد اشرنا إلى ذلك قبلاً - وهو أن الشيعة استناداً إلى هذه الآية

(١) بحار الأنوار ج ٤٠ ، ص ١٤٧ .

(٢) يس/ ١٢ .

(٣) الحديث هو : « يا علي ، ما عرفك إلا الله وأنا وما عرف الله إلا أنا وأنت » .

(٤) التفسير الكبير ٨١/٨ .

الشريفة : ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾^(١) . بإمكانهم القول بأفضلية علي بن أبي طالب على جميع الأنبياء بمن فيهم أولوا العزم ، لأن الله سبحانه وتعالى قد عبّر عن علي (ع) بنفس محمد (ص) ، فكما أن محمداً (ص) أشرف من الأنبياء فكذلك يجب أن يكون علي (ع) الذي هو نفس محمد (ص) أفضل من جميع الأنبياء .

أفضلية علي (ع) من آدم ،

عندما كان الإمام علي فراش الموت ، سأله اصبغ بن نباتة عدة أسئلة وأجاب عنها الإمام (ع) ، ومن المناسب جداً أن نذكر هنا تلك الأجوبة .

فسأله : أنت أفضل أو آدم أبو البشر ؟

فأجاب بما حاصله : انه وان كان من غير المناسب أن يذكر الإنسان محاسن نفسه ، ولكنني أجيبك اظهاراً للحق ، ان آدم كان في الجنة ، وكان نعيمها له حلالاً سوى شجرة واحدة ومع ذلك أكل منها ، وقد أحل الله عز وجل لي أشياء كثيرة ولم أتناولها .

فخبز القمح كان حلالاً لعلي (ع) لكنه كان يأكل خبز الشعير ، وكان يضع اصبعه في الحلوى ويقول ما أجمل لونك ولكن علياً لا يأكل منك ، وكان يمكنه أن يلبس أفخر لباس لكنه كان يقول :

« والله حتى استحييت من راقعها » .

دعا نوح لابنه وعلى قومه :

فسأله اصبغ : أنت أفضل أم نوح ؟

فقال : إن نوحاً دعا علي قومه وأهلكهم لأنهم آذوه ، أما أنا فمهما آذوني لم ادع عليهم .

أجل ، فخمس وعشرين سنة قضاها الإمام في معزل عن الناس ولم ينس بيت شفة وكذلك في أيام حكومته حيث لم يتركوا اذيته يوماً لكنه لم يدع عليهم أو يلعنهم .

وأيضاً فان نوحاً كان له ولد كافر ولم تنفعه شفاعته أبيه ولا دعاؤه له في خلاصه ، وقد

(١) آل عمران/ ٦١ .

رزقني الله عز وجل ولدين هما سيدا شباب أهل الجنة .

لم يخف علي (ع) في اداء المسؤولية :

فسأله : أنت أفضل أم موسى بن عمران ؟ فقال (ع) : عندما بعث الله عز وجل موسى بن عمران (ع) بالنبوة وأرسله إلى فرعون . قال : « رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون »^(١) . فوعده الله عز وجل بالأمن منهم وأرسل معه أخاه هارون ليعينه .
أما أنا فقد نمت مكان رسول الله (ص) (ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة) مع أن المشركين كانوا يحيطون بالبيت دون أن يعتريني الخوف .
كما أنني تلوت سورة براءة^(٢) بأمر من النبي (ص) على المشركين في مكة ولم أخف .

فاطمة أم علي تدعى إلى داخل الكعبة :

فسأله : أنت أفضل أم عيسى بن مريم ؟
فقال : كانت مريم والدة عيسى (ع) تعبد الله عز وجل في بيت المقدس (غرفة للعبادة بناها زكريا لمريم ولم يكن لها طريق إلى الخارج سوى سلم ينصبه زكريا إذا أراد الدخول عليها) ، فلما حملت بالمسيح (ع) ودنت منها الولادة نوديت : هذا بيت العبادة لا بيت الولادة . فخرجت من مسجدتها حتى وصلت إلى مقربة من نخلة فوضعت .
وأما أمي فانها لما رأت في نفسها آثار الحمل في المسجد الحرام أمسكت بأستار الكعبة . وقالت : إلهي أسألك بحق هذا المولود الذي في بطني إلا ما سهّلت ولادتي ، فكان أن انشق لها حائط الكعبة فدخلت والتحم الحائط وبقيت في الكعبة ثلاثة أيام . واشتهر ذلك بين الناس وذكروه في مجالسهم^(٣) .

(١) القصص/ ٣٣ .

(٢) المقصود بذلك هو قصة إرسال النبي (ص) أبا بكر عندما نزلت سورة براءة ليقرأها على أهل مكة وبعد ذهابه بثلاثة أيام نزل جبرئيل يقول لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك فبعث (ص) علياً (ع) فأخذ السورة من أبي بكر وقرأها علي الناس في مكة .

(٣) قصة ولادة علي في جوف الكعبة .

ذكره الحاكم في المستدرک ٤٨٣/٣ . وغيره كثير من علماء أهل السنة وهو من المتواترات .

وبعد ثلاثة أيام خرجت فاطمة من الكعبة وهي تنادي : مَنْ مثلي بقيت ثلاثة أيام في الكعبة في ضيافة الله تعالى آكل من طعام الجنة .

فسأله اصبح : أنت أفضل أم محمد (ص) ؟

فقال (ع) : أنا عبد من عبيد محمد (ص) :

وقد كتب بعض المحققين الأجانب يقول بأنه يكفي في أحقية محمد (ص) أن يكون له تابع مثل علي (ع) . ثم قال الاصبح : هل بإمكانني أن اسمع حديثاً من فمك المبارك ؟

علي (ع) والد مولاي وأجير هذه الأمة :

فقال : قال لي رسول الله (ص) يوماً : يا علي اصعد المنبر وقل (لعن الله من عك والديه ، لعن الله من أبى عن مولاه ، لعن الله من ظلم أجيره) .

قال (ع) : فصعدت المنبر وقلت ما أمرني به رسول الله (ص) : فلما رجعت سألتني رجل عن معنى هذه الجمل الثلاث ، فسألت عنها رسول الله (ص) فقال (ص) : يا علي ، أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، أنا وأنت موليا هذه الأمة ، أنا وأنت أجيرا هذه الأمة .

أجل - عندما كان الأمير (ص) يتكلم عن مظلوميته وغضب حقه يقول الاصبح : ولقد رأيت اصفرار وجهه بتأثير السم قد غلب على اصفرار المنديل الذي عصب به رأسه الشريف .

« أنت أول مظلوم وأول من غضب حقه » .

صلى الله عليك يا أمير المؤمنين .

الفصل الثالث

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾^(١) .

علي (ع) معصوم باجماع الأمة :

هناك عدة طرق لاثبات أحقية علي بن أبي طالب (ع) مع أولاده الأحد عشر بالخلافة بعد الرسول (ص) ، ومن تلك الطرق العصمة ، فكما ذكرنا يجب أن يكون الإمام كالنبي (ص) في العصمة من الذنب والخطأ والنسيان .

والذي لم يصدر منه أي خطأ لا عمداً ولا سهواً ولا غفلة باجماع المسلمين هو علي بن أبي طالب .

وقد ذكر علماء العامة في أحوال أبي بكر بأنه كان يصعد المنبر ويقول بأن^(٢) لي شيطاناً يغويني فيصدر مني الخطأ فكلما رأيتموني قد انحرفت فأقيموني . وعندما يحس بالعجز في نفسه يقول :

أقولوني فلست بخيركم وفيكم علي بن أبي طالب^(٣) .

ويفسر بعض علماء العامة هذا الكلام من أبي بكر ويقول : بأن ذلك كان من تواضعه .

(١) يونس/ ٣٥ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧/ ١٥٦ .

(٣) كتاب الطرائف للسيد ابن طاووس .

وينقلون كلاماً لعمر حيث كان يقول بعد وفاة أبي بكر بأن بيعة أبي بكر « كانت فتنه وقي الله المسلمين شرّها »^(١) .

أعلمية علي (ع) من الأمور المسلمة واليقينية :

والطريق الآخر لإثبات أحقية الإمام بالخلافة هو أعلميته ، فقد سبق وأن قلنا بأن الوصي للرسول (ص) يجب أن تكون له احاطة كاملة بجميع العلوم ، بل يجب أن يكون أعلم الجميع ، لكي يمكنه أن يقوم مقام الرسول (ص) .

وهناك حديث مشهور ومتفق عليه عند الشيعة والسنة وقد سمعتم به بأن رسول الله (ص) قال :

« أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها »^(٢) .
وقال في حق علي (ع) « اقضاكم علي »^(٣) .

وقد نزلت الآية الشريفة ﴿ وتعيها أذنٌ واعية ﴾^(٤) في حق علي (ع) .
ومن أراد الاطلاع أكثر عليه أن يراجع كتاب حق اليقين وكفاية الموحدين وغيره وسيجد أن مسألة الإمامة واضحة جداً من بين جميع المسائل الاعتقادية .

تقديم المفضول على الأفضل قبيح :

حيث إن العقل يحكم بفتح تقديم الأقل في العلم والأدنى في المنزلة على من هو أعلى منه ، كتقديم الجاهل على الإنسان العالم ، فالعقل يحكم بوجوب تقديم الأفضل على غيره حتى ولو كان فاضلاً .

وأفضلية علي (ع) غير قابلة للشك والترديد عند المحققين ، ومن الأحسن أن أذكر

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦٤/١٧ .

(٢) المستدرك للحاكم ١٢٦/٣ .

(٣) الصواعق المحرقة/الفصل الثالث من الباب الثالث في الحديث ٩٤ والمستدرك للحاكم ٥٥٣/٣ .

(٤) الحاقة/١٢ وقد ورد في كنز العمال عن النبي (ص) انها نزلت في حق علي (ع) فراجع ٣٩٨/٣ .

لكم ما رواه أخطب خوارزم الذي هو من كبار المحدثين عند أهل السنة عن رسول الله (ص) قوله :

« لو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً والماء والأرض ألواحاً والجن والإنس كتاباً لما استطاعوا احصاء فضائل علي (ع) » .

وقال رسول الله (ص) : ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب (ع) لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع^(١) .

(ولذلك كان العلماء يتبرّكون بكتابة فضيلة من فضائل الإمام علي (ع) خلف أغلفة الكتب) ..

جهنم لأعداء الإمام علي (ع) :

وقال (ص) : « لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار »^(٢) .

نعم ، فإن جهنم لأعداء الإمام علي (ع) .
وتقولون : فكيف مصير الموالين لعلي (ع) الذين ماتوا مذنبين ؟
وجوابه :

أولاً : أن الموالين لعلي (ع) يموتون وهم تائبون ونفس جهم لعلي (ع) يوجب لهم الخروج من هذه الدنيا وهم تائبون .

ثانياً : فحتى لو لم يتوبوا ، فقد موهبتهم بالمحامي فإنه سوف يتطهر في عالم البرزخ .
ولا بأس أن أذكر لكم قضية السيد إسماعيل الحميري .

إشراق وجه الحميري عند الوفاة^(٣) :

كان إسماعيل الحميري شاعراً لأهل البيت (ع) ولا يمتنع أبداً عن ذكر فضائل

(١) حلية الأبرار ، الجزء الأول ص ٢٨٥ .

(٢) مسند أحمد باب مناقب علي .

(٣) ذكر هذه القصة في الأغاني ٢٧٧/٧ وفي أمالي الشيخ ص/٤٣ وفي كشف الغمّة ص/١٢٤ .

الإمام علي (ع) مهما أمكنه ذلك ، وكان إلى ذلك من أصحاب الذنوب . وقد ذكر بعضهم بأنه كان يشرب الخمر سواء كان يشربها أحياناً أو كان ذلك من عاداته السيئة ، أما بقية أعماله الأخرى فحسب الظاهر كانت صحيحة ، وقد كان الحميري رجلاً وسيماً ، فلما كان على فراش الموت وقد حضر مرضه عدة من مخالففيه ، تغير وجهه فجأة إلى السواد ، وسرت ظلمات باطنه إلى ظاهره بحيث إن أعداءه أخذوا يشمتون به ، وإحباءه ييكون عليه دموع الحسرة .

ومرت لحظات وهو على هذا الحال ثم التفت إلى جهة النجف وقال اتركني يا علي عند هذه الشدة ؟

وفجأة ظهرت على وجهه نقطة بيضاء أمام أنظار الجميع وبدأت تتسنع إلى أن صار وجهه مشرقاً يتلألأ كالقمر في ليلة الرابع عشر !

فقال لهم اجلسوني . وقرأ بيتين من الشعر :

كذب الزاعمون أن علياً لن ينجي محبه من هَنَات

قد وربي دخلت جنة عدن وعفا لي الإله عن سيئاتي

أجل - فالإمام علي (ع) لا يترك مواليه ، فمحبه قد اسودَّ وجهه من الذنوب ، لكن محبة علي (ع) انقذته وبَيَّضَتْ وجهه ، وهذا ما قاله الرسول (ص) لو أن الناس اجتمعوا على حب علي (ع) لما خلق الله النار .

الحسنة المطلقة في حب علي (ع) :

وقد سمعتم برواية مشهورة بأن « حب علي (ع) حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغض علي (ع) سيئة لا تنفع معها حسنة »^(١) .

وقد ذكر المحقق القمي في جامع الشتات وجوهاً متعددة في معنى هذا الحديث الشريف فمن أراد الاطلاع عليها فعليه الرجوع إلى هذا الكتاب .

فحب علي (ع) نعمة لو كانت في أي قلب لما اضره ذنب بعد ذلك ، والعداء

(١) جامع الشتات .

البغض له بلاء ومصيبة لا تنفع معه أية حسنة يفعلها ذلك الشخص .

محبة علي (ع) توجب الطهارة من الذنوب ، فلو كانت ذنوبه كثيرة فانه سوف يحجب عنه المحبوب بمقدار معين في عالم البرزخ ، فالمسألة مرتبطة بمقدار الذنوب ، فحتى لو كانت بحيث أوصلته إلى جهنم يوم القيامة فان يد علي (ع) ستخلصه منها في النهاية .

يقول المحقق القمي بان الخلود في جهنم والبقاء فيها إلى الأبد ليس لمن يوالي علياً ، ولعل هذا هو معنى الحديث بأن المحب لعلي لا يخلده أي ذنب في النار ، فلا يكون ضرره بحيث يكتب له البقاء في النار وان طال عذابه فيها ثلاثمائة عام .

كلام هارون الرشيد مع علماء السنة :

ذكر صاحب كتاب المناقب الذي هو من كبار أبناء العامة في كتابه بأن هارون الرشيد جمع يوماً من الأيام ما يقارب السبعين شخصاً من علماء العامة كل واحد منهم كان له حق الفتوى . ثم التفت هارون إلى الشافعي وسأله : كم حفظت من الأحاديث في فضائل علي (ع) ؟

فقال : كثير جداً .

فقال هارون : كم هي ؟

فقال : أخاف من ذكر عددها .

سأله هارون : وممن تخاف ؟ فقال : منك .

فقال هارون : قل ولا تخف ، فقال أربعمائة حديث أو خمسمائة ثم سأل ذلك شخصاً آخر ، فقال : أكثر من ألف حديث ، فالتفت ، إلى أبي يوسف فقال : لا تحصى ، احفظ منها خمسة عشر ألف حديث مسند وخمسة عشر ألف حديث مرسل في فضائل علي (ع) .

فالتفت إلى الواقدي الذي قال : إني احفظ منها بمقدار ما عند أبي يوسف . فقال لهم هارون الرشيد : ان الذي عندكم فضائل مسموعة ولكني رأيت فضيلة له

بعيني .

فرغب الجميع في سماع ما يقول . فقال هارون :

الخطيب الدمشقي ، كلب في السجن :

كتب لي يوسف بن الحجاج والي دمشق ، بأن أحد الخطباء كان يعادي علياً (ع) ويشتمه دائماً في خطبه ، وكلما نصحته وهددته لم ينفع معه ذلك .

وقال هارون بأني كتبت إليه أن يبعثه إلى بغداد ، فلما جاؤوا به إلى هنا نصحته وقلت له لماذا تعادي علياً ؟ فقال :

- انه قتل آبائي وأجدادي .

فقلت له : لقد قتلهم بأمر من الله ورسوله (ص) .

فقال الخطيب : على كل حال فإنني أبغض علياً وأعاديه .

فأمرت أن يجلد وألقيت به في السجن ، فلما نمت في الليل رأيت في المنام وكان السماء قد انشقت ونزل منها رسول الله (ص) وبعده علي بن أبي طالب (ع) ثم الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ، ورأيت جبرائيل ينزل معهم ، وجاء الجميع إلى قصري ، وكان بيد جبرائيل كؤوس الماء المعين ، وأخذ رسول الله (ص) يدعو شيعة علي بأسمائهم واحداً واحداً فمن بين خمسة آلاف شخص كانوا متواجدين في القصور وأطرافه ذكر رسول الله (ص) أسماء أربعين شخصاً منهم ممن عُرفوا بأنهم من الموالين لعلي فسقاهم رسول الله من ذلك الماء .

وفي ذلك الوقت ، التفت علي (ع) إلى رسول الله (ص) وقال له : ألا تسأل هذا الخطيب الدمشقي ما الذي فعلته معه ؟

فجاؤوا بالخطيب فقال له الرسول (ص) الا تستحي وتخجل من عملك ؟ اللهم اجعله من الممسوخين .

وفجأة صار الخطيب على شكل كلب ! فاستيقظت مرعوباً فناديت مسرور الخادم وأمرته بأن يأتيني بالخطيب .

وقد أردت أن أنصح ذلك الخطيب وأخبره بما رأيته في الحلم ، ولكن الخادم رجع

وهو يقول لا أثر للخطيب في السجن ولا يوجد سوى كلب :

فقلت : هو ذاك اثني به .

فكانت جميع أعضاء الخطيب قد مسخت على شكل كلب إلا أذنيه فقد بقيتا على حالها عبرة للآخرين .

صاعقة على الخطيب الممسوخ :

فعندما جاؤوا به قلت : هل رأيت غضب الله عليك ؟ فأين أنت من علي ؟ ثم قال هارون لمن حوله من العلماء وأنا الآن قد جمعتم لترون بأعينكم أفضلية علي (ع) .

فأمر بأن يأتوا به ، فجاؤوا بذلك الخطيب الممسوخ يجرونه بسلسلة في رقبته وقد نكس رأسه .

فقال الشافعي : إن هذا الخطيب قد حل به غضب الله فمسخ ، ولا يمكنه البقاء أكثر من ثلاثة أيام ، فأخرجوه من هنا بسرعة قبل أن يصيبنا بلاء منه .

فأرجعوا ذلك الخطيب إلى سجنه ، ولم تمض مدة حتى سمعوا صوتاً مربعاً من السجن حيث أصابت السجن صاعقة فهدمته على رأسه وأحرقت جسده^(١) .

أجل . . . السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار ، فهو يد لطف الله في كرمه وإعانه ، كما أنه يد نعمة الله التي يضرب بها من يستحق العذاب والانتقام ، فهي نفس تلك اليد التي أهلكت مرة بن قيس وأرسلته إلى جهنم بإشارة من اصبعه ، ومن الأفضل أن نذكر هذه القصة لبيان معجزة علي (ع) وعظمة قبره الشريف ، وللتنوع في الحديث أيضاً .

هلاک مرة بن قيس الكافر :

ومجمل القصة التي ذكرها المرحوم الحاج نوري ، هو أن هذا الشخص كان من أعيان و اشراف العرب ورئيس قبيلة كبيرة ، بحيث أن رجاله المسلمين يبلغون مائة ألف سيف . ومن صفات هذا الملعون انه كان يبغض علياً بشدة وينصب له العدا .

(١) بحار الأنوار ، فضائل الإمام (ع) . حلية الأبرار ج ١

فأخبروه يوماً بأن الناس يأتون من الأماكن المختلفة لزيارة قبر علي (ع) ويتبركون بمرقد الشريف ويعظمونه .

فغضب لذلك بشدة وقال : كيف يمكنني أن أسمح ببقاء هذا القبر ، لا بد أن أذهب وأهدمه وأسوِّيه بالأرض .

فاتجه إلى النجف مع جيشه ، ولم يتجرأ أحد أن يقف في مواجهته وخاف أهالي النجف بشدة .

ودخل هذا الملعون إلى الحرم المطهر دون أن يخلع حذائه ، واقترب من شبك القبر ولما أراد أن يأمرهم بهدم القبر ، وإذا باصبع الإمام يخرق جدار/القبر وبإشارة منه يقطعه إلى نصفين حقيقيين ، دون أن يزيد أحدهما على الآخر ، ولحد الآن أثر ذلك الخرق موجود في جدار القبر الشريف .

وقد تغنى شعراء العرب والعجم بهذه المعجزة وقالوا فيها قصائد عديدة .
وقيل بأن جسد مرة بن قيس قد أصبح قطعة من الجمر ، فأخرجوه من الحرم والقوة خارج أسوار النجف ، وبقي هناك مدة تبول عليه الكلاب والحيوانات ، حتى جاء بعض أقربائه من النواصب وحملوا هاتين القطعتين لجسده ودفنوه .
أجل ، فكما أنه (ع) نعمة للابرار فكذلك هو نعمة على الفجار .

القسم الكاذب عند قبر العباس (ع) ،

ينقل أحد الأخيار الذين يوثق بهم كمال الثقة - والذي زار كربلاء في هذه السنة - عدة حوادث عجيبة ، ومن جملتها انه قال :

كنت يوماً جالساً عند الحرم المطهر لأبي العباس (ع) ، وكان الجو حاراً جداً ، لذلك لم يكن أحد في الحرم ، فرأيت رجلين ، أحدهما شاب والآخر شيخ كبير ، وقد دخلا إلى الحرم ، فأخذ الشيخ يقول للشاب : أقسم بهذا الرجل بأنك لم تأخذ مني شيئاً من المال .

فاقتربت منهما وسألت عن القضية فقال الشيخ : ان هذا الشاب قد اقترض مني مائة

تومان ولم يردّها إليّ ، وأنكر ذلك ؛ فيجب أن يحلف بالعباس على أنه لم يأخذ مني ذلك المال .

فقلت للشاب : إياك أن تحلف إذا كنت قد أخذت منه واقعاً ، لكن الشاب اعترض عليّ وقال : انني لم أستلم منه ومستعد لأن أقسم على ذلك . ثم قال : أقسم بحق قمر بني هاشم هذا بأنّي ما أخذت منه مالاً ، وفجأة سمع صوت مُنْزِع وكان شيئاً اصطدم بوجه ذلك الشاب وسقط إلى الأرض .

وهرب ذلك الشيخ بسرعة ، بينما اجتمع الخدم وسحبوه إلى الخارج ، نعم ، فانتقام أبي الفضل نموذج من انتقام الله وغضبه . وأختم كلامي بذكر حديث شريف عن فضائل الإمام علي (ع) .

علي (ع) بيده مفاتيح الجنة والنار ،

ذكر أخطب خوارزم والثعلبي بأن رسول الله (ص) قال :
- ينصب لي يوم القيامة منبر له مائة درجة ، وأكون أنا في أولها وفي الثانية علي (ع) ، ويقف دون ذلك اثنان يقول أولهما : يا أهالي المحشر أو رضوان خازن الجنة وعندي مفتاحها ، وقد أمرني الله تعالى أن أسلم مفتاح الجنة إلى محمد (ص) . ويقول الثاني : أنا مالك خازن النار وقد أمرت بتسليم مفتاحها إلى محمد (ص) .
فأستلم تلك المفاتيح وأقدمها إلى علي بن أبي طالب (ع) وهو معنى قوله تعالى ﴿ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾^(١) .
يعني ألقيا يا محمد ويا علي في جهنم ...

علي (ع) على الصراط ،

أجل فهو « قسيم الجنة والنار » حيث يقف أول الصراط ، فكل من يمر عليه وقد ظهر على وجهه أنه من محبيه فإنه يمر على الصراط بسلام ، وأما لو كان عدواً له سوف تؤمر النار بأن تتلقفه .

(١) سورة ق آية ٢٤ . وقد ذكر المظهر في ج ٣ من دلائل الصدق ص/ ٣٧٩ الروايات التي تدور حول أن علياً (ع) هو صاحب الحوض واللواء والصراط فراجع .

وقد ورد^(١) في تفسير الآية الشريفة ﴿وَقَفَّوهُمْ بِهِمْ مَسْؤُولُونَ﴾^(٢) بأنهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) .

سقي ماء الكوثر من قبل الله :

الله سبحانه وتعالى ليس بجسم ، وهو منزّه عن الأمور التي لا تليق بجلاله فعندما يراد سقي العباد بماء الكوثر ، كما في الآية ﴿وسقاهم ربهم﴾ فإن الإمام علي (ع) ذلك العبد الخالص لله عز وجل ، يقوم بالنيابة عنه بسقي العباد من ماء الكوثر^(٣) .

وقد جعل الله عز وجل هذا الأمر المهم بين الولاية العلوية . فإما من صمنم سبعين سنة في شهر رمضان وتركتم المحرمات وتوجهتم إلى طلب الخيرات فإن جزاء ذلك بيد علي (ع) :

وقال (ص) : لا يخرج أحد من هذه الدنيا من شيعة علي إلا وسقي من ماء الكوثر . رياً رويًا سائغاً لا ظمأ بعده أبداً .

الماء العذب الذي لا عطش بعده .

(١) دلائل التوقيف للمصنف ٩٦/٢ - ٩٨ .

(٢) الصافات ٢٤ .

(٣) ﴿وسقاهم﴾ : رويًا بطورا في سورة الدهر آية ٢١ . وقد ذكر روايات كثيرة دلت على أنه عليه السلام هو من سقى الحوض وودت في كتب أهل السنة فيها الصواعق المحرقة لابن حجر المقصد ٣ من المقاصد . والله بآية المودة . وفي كثر العمال ٣٩٣/٦ وما بعده وغيرهما كثير .

الفصل الرابع

الأئمة كلهم من قریش :

ومن جملة الطرق في اثبات الإمامة ، ما نقل عن رسول الله (ص) متواتراً - والتواتر لا يعني خبراً واحداً أو عشرة أخبار بل يعني المئات - بأنه (ص) قال : « لا يزال أمر الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قریش »^(١) وهذا لا يتم إلا على رأينا نحن الشيعة الامامية الإثنا عشرية .

وورد في الكثير من هذه الروايات التصريح باسمائهم أيضاً^(٢) .
وقال (ص) بالنسبة إلى الحسين (ع) :

« أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو الأئمة »^(٣) .
كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه وقال بأن رسول الله كان يشير إلى الحسين ويقول ذلك .

فهو أب لتسعة أئمة تاسعهم القائم (ع) ، نعم ، فالتاسع من ولد الحسين هو القائم بالحق والعدل .

(١) صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص أول كتاب الإمامة ، وصحيح أبي داود ، والبخاري في صحيحه في أول كتاب الأحكام . وراجع دلائل الصدق للمظفر ٣١٤/٢ وما بعدها .

(٢) و (٣) راجع اكمال الدين للشيخ الصدوق ، ١٤٩ وما بعدها .

أنوار الأئمة في ليلة المعراج :

وورد في أحاديث أخرى عن رسول الله (ص) قال : « لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش »^(١) .

وفي رواية أخرى انه (ص) قال : لما عرج بي إلى السماء اجتمعت الملائكة وقالت : كيف تركت أخاك فقلت لهم : وتعرفونه ؟ قالوا نعرفه وشيعته وهم نور حول عرش الله ، وإن في البيت المعمور لرقاً من نور فيه كتاب من نور فيه اسم محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة (ع) وشيعتهم إلى يوم القيامة لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص منهم رجل ، وإنه لميثاقنا وإنه ليقرء علينا كل يوم جمعة^(٢) .

وقد ورد في مضامين الكثير من الروايات المروية عن رسول الله (ص) بأن : إمامه الثاني عشر من أوصيائه متصل بالقيامة ، فالنبوة اختتمت بمحمد (ص) وهو خاتم الأنبياء ، والوصاية تختم بالمهدي (ع) وهو خاتم الأوصياء ، وأحد القاب الشريفة « خاتم الأوصياء » .

العتره لا تفترق عن القرآن :

ومن جملة الأخبار المتواترة بين السنة والشيعة هو حديث الثقلين الذي قاله رسول الله (ص) في أواخر عمره الشريف في جمع من المهاجرين والأنصار حيث قال :

« اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض » .
وقد ورد في الروايات بأنهم سألوه :

- من هم عترتك يا رسول الله (ص) فأشار إلى علي ووضع يده المباركة على رأس الحسن والحسين ثم قال :

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً (يعني القرآن والعتره) .

(١) صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص ، وصحيح أبي داود ، والبخاري في صحيحه .

(٢) حلية الأبرار ج ١

أجر الرسالة محبة أهل البيت (ع) :

وقد ذكروا في شأن نزول آية المودة ، بأن الأغنياء من المسلمين اجتمعوا وقالوا :
بأن لرسول الله (ص) حقاً عظيماً في رقابنا وقد كبر سنه وكثر الوافدون عليه وازدادت
نفقاته ، فلو جمعنا بعض المال لنشتري له بيتاً يستفيد منه فنزلت هذه الآية القرآنية :

﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ^(١) .

فلو أنه (ص) أعطي جميع ما في الدنيا فإنه لا يقابل واحداً بالألف من تعبته في سبيل
دعوته إلى الله ، فإذا أردتم أداء حقه فعليكم بمحبته ومحبة أهل بيته .

محبة أهل البيت لمصلحتكم :

ويقول في آية أخرى :

﴿ قل ما أسألكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله ﴾ ^(٢) .

فما قلته لكم وأوصيتكم به من محبة أهل بيتي فهو لأنفسكم ، فلو كنت تحب علياً
(ع) فإن نوره سيسعك في القبر ، وإلا فانت الذي تكون محروماً من ذلك .

فكم من المساكين الذين نزل أقدامهم على الصراط وينقذهم نور علي (ع)
ويحفظهم بجاذبية لطفه بسبب محبتهم لأهل البيت .

وقد ورد في الخبر المشهور من طرق السنة والشيعه ، والمذكور في المجلد التاسع
من البحار بأن رسول الله (ص) قال :

« يا علي حبك إيمان ويغضك كفر » .

فالإيمان موجود في كل قلب فيه حب علي (ع) ، ولا أثر للإيمان في كل قلب
يغض علياً . ولذلك ورد عن رسول الله (ص) « يا علي ، لا يبالي من مات وهو يغضك
مات يهودياً أو نصرانياً » ^(٣) .

(١) سورة الشورى آية ٣٢ .

(٢) سورة سبأ آية ٧٧ .

(٣) كتاب المناقب للخوارزمي .

أفضل الناس يأكل مع الرسول (ص) :

واذكر لكم خبراً متواتراً عند علماء السنة والشيعة .

قال أنس بن مالك خادم الرسول (ص) :

بينما كنت في خدمة رسول الله (ص) وقد حضر وقت الطعام ، وكان طيراً مشوياً ،

فأراد النبي (ص) أن يأكل فرفع يديه للدعاء وقال :

- الهي أبعث أحب العباد لديك ليأكل معي من هذا الطعام فيقول أنس بأنه لم تنقض

فترة حتى سمعت صوت الباب ، فذهبت ورأيت علي بن أبي طالب على الباب .

ويقول أنس : لم أكن أحب أن يكون كذلك ، يعني أن يكون علياً بعنوان أنه أحب

الخلائق عند الله هو الأكل مع رسول الله (ص) فسألته ماذا تريد ؟

فقال : أريد الدخول على رسول الله (ص) فقلت : انه الآن مشغول فأت فيما

بعد .

فذهب علي (ع) وللمرة الثانية يرفع النبي يديه للدعاء ويقول :

« إلهي أبعث أحب عبادك إليك ليأكل معي هذا الطعام » : فلم تمض مدة حتى

سمع صوت الباب ، وكما حدث في المرة الأولى فقد كان أنس هو المانع من دخول

الإمام .

وفي المرة الثالثة من دعاء النبي (ص) كانت صوت طرقات الباب أعلى بحيث أن

رسول الله (ص) سمعها أيضاً فلم يتجرأ أنس على أن يفعل ما فعله في المرات السابقة

ويمنع علياً من الدخول .

فسأله رسول الله (ص) : ما سبب إبطائك يا علي ؟

فقال (ع) هذه المرة الثالثة التي اتيت فيها يا رسول الله .

فسأل رسول الله (ص) أنس : لماذا منعت علياً من الدخول ؟

فقال أنس الحقيقة أنني كنت أحب أن تكون هذه الفضيلة لأحد أقربائي ويكون

أحدهم هو الأكل معك^(١) .

(١) بحار الأنوار ، ج ٣٨ . كما روى قصة الطائر المشوي الحاكم في المستدرک ٣/ ١٣٠ .

إن كتب العلامة المجلسي العربية والفارسية مليئة بالأخبار الواردة في فضائل أئمة الهدى (ع) ، وهناك كتاب كفاية الموحدين بالفارسية في الوصية لعلي وأحد عشر من أولاده ، وهو كتاب ممتاز جداً ، وكذلك غاية المرام بالعربية من طريق أهل السنة .

آية التطهير تكشف عن المختار الإلهي :

وقع البحث والنقاش كثيراً حول آية التطهير التي تقول :
« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »^(١) .
وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ، أن رسول الله (ص) كان قد غطى نفسه برداء فجاء الحسن والحسين وعلي والزهراء فاستأذنوا من الرسول (ص) ودخلوا معه تحت ذلك الرداء فنزل جبرئيل بهذه الآية على النبي (ص) .

وما ذكرناه من هذه الفضائل كان مثلاً ونموذجاً . والواقع أن فضائل علي وأولاده الطاهرين لا تحصى ولا تعد ، وقد وصلت إلينا بصورة متواترة . لذلك يمكننا أن نثبت من نفس أحاديث وكلمات رسول الله (ص) والفضائل المنقطعة النظير للإمام علي (ع) بأنه هو المختار الخاص للخلافة .

عصمة أئمتنا من المسلّمات :

قلنا في البحوث السابقة ، بأن الإمام يجب أن يكون معصوماً كالرسول (ص) ، وعصمة الأئمة الاثني عشر من المسلّمات عند الشيعة ، ولا يستطيع أحد أن يثبت لهم أي خطأ أو ذنب أو سهو واشتباه ، حتى أن المعروفين من أصحاب النبي (ص) كانوا يعبدون الأصنام لعدة سنوات ، لكن الإمام علي هو أول من أسلم وعمره لا يتجاوز العشر سنوات ، وفي بعض التواريخ انه كان في سن الثانية عشرة من عمره عندما آمن بالرسول (ص) .

بُعث رسول الله (ص) بالرسالة يوم الاثنين ، وبايعه علي (ع) يوم الثلاثاء . وكان أسبقهم إلى الإيمان الذي هو أساس الدين والعصمة ، وكان من جهة العمل كذلك ، واذكر مثلاً لعدله .

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

نموذج من عداة الإمام (ع) :

عن علي بن أبي رافع قال : كنت على بيت مال علي بن أبي طالب (ع) وكاتبه ، وكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلت إليّ بنت علي بن أبي طالب (ع) فقالت لي : بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين (ع) عقد لؤلؤ وهو في يدك ، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى . فقال لها : عارية مضمونة مردودة يا بنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاث أيام ، فدفعه إليها . وإن أمير المؤمنين (ع) رآه عليها فعرفه فقال لها : من أين صار هذا العقد إليك؟ فقالت استعثرته من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين (ع) لأتزين به في العيد ثم أردّه .

فبعث إليّ أمير المؤمنين (ع) فجئته فقال لي : أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع ؟ فقلت له : معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال كيف : اعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير اذني ورضاهم فقلت : يا أمير المؤمنين انها ابتك ، وانها سألتني أن أعيرها إياه تتزين به فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة فضمنته في مالي وعليّ ان ارده سليماً إلى موضعه . قال : فرده من يومك وإياك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي .

ثم أن ابنتي لو كانت قد أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة قال : فبلغ مقالته ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين : أنا ابتك وبضعة منك فَمَنْ أحق بلبسه مني ، فقال لها أمير المؤمنين (ع) : يا بنت علي بن أبي طالب لا تذهبن بنفسك عن الحق ، أكلُ نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا ؟ قال : فقبضته منها ورددته إلى موضعه^(١) .

عقيل والحديدة المحماة :

عقيل بن أبي طالب أخو الإمام (ع) ، وكان يريد من الإمام زيادة عطائه من بيت المال ، فدعا الإمام يوماً إلى بيته لضيفاته ، وهياً له طعاماً بسيطاً ، وأخذ يشرح للإمام حالته وفقره ، وقال : بأن هذه الأموال التي أخذها من بيت المال قليلة ولا تكفي لسد نفقاتي .

(١) حلية الأبرار ج ١ ، بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٣٨ .

فقال له الإمام (ع) يتضح من ذلك بأنك تهتم بنفسك كثيراً ، وفي نفس ذلك المجلس وضع الإمام (ع) حديدة في النار حتى احمرّت ، ثم قرّبها من عقيل فراجع عقيل مذعوراً ، وقال ما الذي تفعله يا أخي ؟

فقال : « أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبه ، وتجبرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه ؟ أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى »^(١) .

فكيف لا تريدني أن أخاف من جهنم ؟ فأنت تتألم وتئن من نار الدنيا ، فهل تقبل لأخيك أن يحترق في نار جهنم ، إذن فلا فرق بينك وبين الآخرين .

وفي آخر الأمر ، لم يصبر عقيل وتوجه إلى الشام وأخذ يعيش على أموال معاوية . نعم ، فعصمة الإمام علي (ع) ظاهرة من عدله ، فعلي هو الإنسان الذي لم يطلب ملكاً أو رئاسة ، والذي يتساوى عنده التبر والتراب . نعم فهل يستطيع أحد أن يحصي فضائل الإمام (ع) ؟

رعاية الأيتام حيحن الإمام علي (ع) :

ونظر علي (ع) إلى امرأة على كتفها قربة ماء ، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها ، وسألها عن حالها فقالت : بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل ، وترك علي صبيانا يتامى ، وليس عندي شيء فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس . فانصرف وبات ليلته قلقاً ، فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام فقال بعضهم : أعطني أحمله عنك ، فقال : من يحمل وزري عني يوم القيامة ؟ فأتى وقرع الباب فقالت من هذا ؟ قال : أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتحي فان معي شيئاً للصبيان ، فقالت رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب فدخل وقال : اني أحببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجني وتخبرني وبين أن تعلّني الصبيان لأخبر أنا ، فقالت : أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ، ولكن شأنك والصبيان فعّلهم حتى افرغ من الخبز . قال (ع) : فعمدت إلى الدقيق فجعنته ، وعمد علي (ع) إلى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره ، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له :

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٦٣ .

يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك ، فلما اختتم العجين قالت : يا عبد الله اسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح وهج النار وجهه جعل يقول : ذق يا علي هذا جزء من ضيِّع الأرامل واليتامى ، فرأته امرأة تعرفه فقالت : ويحك هذا أمير المؤمنين ، قال : فبادرت المرأة وهي تقول : وَآحْيَايْ منك يا أمير المؤمنين ، فقال : بل وَآحْيَايْ منك يا أُمَّة الله فيما قصّرت في أمرك^(١) .

يعطي الرمانتين للمريض :

لعلكم سمعتم بانه عندما كانت الزهراء (ع) في فراش المرض سألهام أمير المؤمنين (ع) هل تريدن شيئاً ، فسكتت ولم تجب .

فأصرَّ عليها الإمام ، فقالت إن أبي أوصاني ألا أطلب من زوجي شيئاً فلعله لا يستطيع ذلك فيخجل .

فأقسم عليها أمير المؤمنين (ع) فقالت الزهراء ، أمّا وقد أقسمت عليّ فلاني أريد رماناً .

فخرج علي (ع) يطلب لها الرمان ، واتفق انه لم يكن فصل الرمان ، لكن الإمام سعى كثيراً حتى تمكن من أن يحصل على رمانتين فقط .

وحين رجوعه إلى البيت رأى رجلاً مريضاً في زاوية ، فجاء إليه الإمام وسأل حاله وماذا يريد ؟

فقال المريض : أريد رماناً . فماذا يصنع الإمام (ع) وهذا المريض عبد الله أيضاً ؟ فقال في نفسه : أعطيه واحدة وتبقى الأخرى للزهراء (ع) .

فأعطى للمريض رمانة فأكلها وطلب الأخرى أيضاً ، فماذا يصنع علي (ع) . ولم يرد أن يرده فطلبه فقال في نفسه : أعطيه الأخرى أيضاً ، فَرُبُّ الزهراء كريم . ورجع إلى البيت بيد خالية ، ونظر من خلل الباب ليرى ما حال الزهراء أنائمة أم مستيقظة ؟

(١) بحار الأنوار .

رأى الزهراء جالسة وأمامها طبق فيه رمان ، فدخل الإمام (ع) وسألها عن ذلك فقالت الزهراء : هذا هو الرمان الذي بعثته ، فقد جاء به أحد الأشخاص عند الباب وقال لقد بعثه علي (ع) .

سيادة الفقراء والمريض والاسنان الهم :

وبينما كان الحسن والحسين عليهما السلام راجعين من دفن والدهما إذ وصلا إلى خربة فسمعا صوت انين ، وإذا بشيخ في تلك الخربة يبكي ، فسأله الحسن (ع) عن حاله وعن سبب بكائه فقال :

ان لي هنا مدة من الزمان ، وفي كل يوم يأتيني رجل بالطعام ويسأل عن حالي ويحدثني ، ولكنه لم يفصح عن اسمه ، وقد مضت ثلاثة أيام ولم يأت إلى هنا .

سأله الحسن (ع) عن أوصافه فقال : كان عندما يذكر الله ويسبحه فان الجدران والأحجار والتراب يسبحن معه .

فبكى الحسن (ع) وقال : لقد كان الذي تقول هو أبونا علي (ع) وقد فرغنا الآن من دفنه .



الفصل الخامس

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١) .

التصريح بامامة اثني عشر شخصاً :

قلنا بأن هناك ثلاثة طرق في اثبات امامة الأئمة الاثني عشر ، من علي بن أبي طالب إلى الحجة بن الحسن عليهم السلام .

فالأول هو النص والتصريح على ذلك في القرآن والسنة الواردة بشكل متواتر عن الرسول (ص) من طرق السنة والشيعة ، فقد ذكرنا عدة مرات ، بأنه نقل عن رسول الله (ص) متواتراً بأن الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قریش وذكر اسماءهم أيضاً .

لا بد للإمام من معجزة كما للرسول (ص) :

الطريق الثاني لإثبات الإمامة هو الإعجاز ، فالشخص الذي يدعي الإمامة ، يجب أن تكون له معجزة لإثبات ذلك الأمر ، كما كانت لرسول الله (ص) معجزة لإثبات مدّعاة .

ولا شك بأن علياً (ع) وأولاده ادعوا الإمامة وظهرت على أيديهم معجزات كثيرة ،

(١) المائدة/ ٥٥ .

بحيث أن علماء العامة كتبوا في ذلك كتباً مستقلة ، نظير محمد بن طلحة الشافعي ، وابن الجوزي ، وابن الصبّاح المالكي وغيرهم .

ضرورة أفضلية الإمام :

الطريق الثالث هو الأفضلية ، حيث يجب أن يكون الإمام أفضل من المأموم ، فلا يمكن أن يكون أقل ممن هو أدنى منه في المرتبة ، لذلك يجب أن يكون الأئمة أفضل الخلائق .

فبالخلاصة ، هذه ثلاثة طرق لإثبات الإمامة ، وحيث لا يسع المجال لشرح وتوضيح أكثر ، لذلك سأبين بمقدار ما يسعنا الوقت بعض النصوص الواردة من القرآن الكريم^(١) والسنة النبوية .

التحديق بالفتنم وسلم فريد :

فمن جملة تلك الآيات هي آية الولاية التي تقول :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ رَاكِعُونَ ﴾^(٢) .

وقد اتفق السنة والشيعة على أنها نازلة في حق علي (ع) . فعندما كان الإمام يصلي في المسجد ، إذ دخل فقير إلى المسجد وطلب من الناس الصدقة فلم يجبه أحد ، وكان الإمام في ذلك الوقت راکعاً ، فمد يده إلى الفقير مشيراً إلى أصبعه وخاتمه بأن يأخذه ، فأنزل الله في حقه هذه الآية الشريفة ، وذكر المفسرون من أهل السنة بأن هذه الآية من خصوصيات علي بن أبي طالب (ع)^(٣) .

الوصف بحل التصريح بالاسم :

وتعليق الحكم على الوصف بأبلغ في الاصطلاح من التصريح بالاسم ، وتوضيحه

(١) من أراد الاطلاع على هذه الآيات وهي مائة آية والنازلة في حق علي (ع) وأهل البيت (ع) فليراجع الجزء ٣ من كتاب دلائل الصدق للمظفر رحمه الله ص/ ٤٤ وما بعدها .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥ .

(٣) راجع في تفسير الآية من كتب أهل السنة الدرر المنثور والتفسير الكبير للرازي ٢٦/١٢ .

بشكل موجز هو أن الإشارة إلى الموضوع في الحديث ، إذا كان بشكل كامل أبلغ وأكثر تأثيراً من ذكر اسمه بصراحة ، فبدلاً من ذكر اسمه يذكر خصائصه وصفاته التي يعرف بها .

وفي هذه الآية الشريفة ، يذكر القرآن صفات علي (ع) ومميزاته واحدة بعد الأخرى ، حتى تنحصر في شخصه المبارك ، وهذا الأسلوب أحسن وأجود في التعبير من قوله مثلاً « وليكم الله ورسوله وعلي (ع) » .

التأكيد في إبلان الولاية لعللي (ع) ،

ومن جملة الآيات الواردة في شأن علي (ع) آية التبليغ :

﴿ يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بَلَّغْتَ رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (١) .

فقد صرح كثير من مفسري أهل السنة ، بأن هذه الآية نزلت في غدير خم ، وهي توضح مدى أهمية مسألة ولاية أمير المؤمنين (ع) بحيث وردت بشكل التهديد عند عدم الإبلان .

نزل العذاب عليه كما أراد :

وذكر كثير من المفسرين أيضاً من أهل السنة وخصوصاً الثعلبي ، بأن الآيات الأولى من سورة المآراج نزلت في غدير خم وهي :

﴿ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع ﴾ (٢) .

فبعد أن نصب رسول الله علياً بشكل رسمي في غدير خم على أنه ولي المسلمين ، جاء الحارث بن النعمان إلى رسول الله (ص) وقال :

- لقد قلت لنا بأن آمنوا فقبلنا ذلك ، قلت صلّوا فصلينا ، وقتلنا صرّموا فصمنا وجاهدوا فجاهدنا ، وحجّوا فحججنا ، أما هذا الذي فعلته من تسليم ابن عمك علينا هل كان هذا منك أو من الله ؟ فأجابه رسول الله (ص) .

(١) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٢) المآراج ج/ ٢ - ٣ .

١ - أعوذ بالله أن أكون فعلته عن أمري ، إنما هو أمر من الله .

فرفع هذا الخبيث رأسه إلى السماء ؟ وقال :

﴿ اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾^(١)

والويل من الحسد والحقد ، فلشدة حقه وعدائه للإمام علي (ع) ، لم يكن يطيق ذلك بحيث إنه كان يفضل الموت على رؤية الإمام علي (ع) خليفة .

واستجيب دعاؤه ونزل عليه حجر من السماء فوراً ، وخرقه من رأسه وخرج من أسفله والتحق بجهنم ، فنزلت هذه الآيات الشريفة :

﴿ سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع ... ﴾ .

الصراط المستقيم هو صراط علي (ع) :

ومن جملة الآيات النازلة في حق علي هي آيات الصراط المستقيم ، فقد صرح عدة من المفسرين السنة ، بأن المقصود من الصراط المستقيم في القرآن هو صراط علي (ع) .

فقد ذكر الفراء وهو من كبار القراء والمفسرين السنة ، بأن معنى الآية اهدنا الصراط المستقيم في سور الحمد ، هو صراط علي بن أبي طالب وذريته عليهم السلام .

وأيضاً الآية الشريفة من سورة الحجر :

﴿ قال هذا صراط عَلِيٍّ مستقيم ﴾ بعد أن أبى الشيطان من السجود لآدم وطرد من الحضرة المقدسة الإلهية فقال : ﴿ رب بما اغويتني لازينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٢) سورة الحجر الآيات ٣٩ - ٤١ .

وأجابه الله سبحانه وتعالى بأن : هذا صراط علي (ع) مستقيم .
 فقد وردت قراءة بهذا الشكل ، اي انه صراط علي (ع) . أما في القرائن المتداولة
 فإنها تقرأ مع لام وياء مفتوحة ، ويعني كتبت على نفسي بأن هذا صراط مستقيم .
 وبما أن الأئمة عليهم السلام أمروا بأن تكون القراءة بما هو متداول بين المسلمين ،
 لذلك فهذه القراءة أيضاً صحيحة ، وذكرنا ذلك للاطلاع .
 فالطريق الذي يكون الشيطان بعيداً عنه ولا يوجد فيه إغواء أو اضلال هو طريق
 علي بن أبي طالب (ع) .

علي (ع) هو الشاهد والاذن الواعية :

وهناك عدة آيات أخرى في هذا المجال منها الآية الشريفة : ﴿ وتعيها أذنٌ
 واعية ﴾ ، تعي القرآن وتعاليم السماء وهي اذن علي (ع) . والآية الشريفة الأخرى .
 ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلِي بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ ^(١) فالشاهد هو علي بن أبي
 (ع) .

علي (ع) وأولاده هم أولوا الأمر :

وقد ورد في الآية الشريفة :
 ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٢) . فأطيعوا والي الأمر وصاحب
 الحكم الذي له اذن في الأمر والنهي .

فمن هم أولو الأمر الذين تكون طاعتهم في مرتبة اطاعة الله ورسوله (ص) ؟
 والروايات في هذا الباب كثيرة ، اقتصر على رواية واحدة ذكرها الشيخ أبو الفتوح
 مدعياً تواترها .

فقد روى الحموي من علماء السنة ، انه لما نزلت هذه الآية الشريفة قام جابر

(١) سورة هود الآية ١٧

(٢) النساء/ ٥٩ .

وقال : يا رسول الله (ص) عرفنا الله وعرفنا الرسول ، فمن هم أولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم .

فقال رسول الله (ص) ، انهم خلفائي من بعدي وأولهم أخي ووصيي علي بن أبي طالب (ع) ، ثم الحسن والحسين وبعده علي بن الحسين إلى الحجة بن الحسن (ع) .
فذكر رسول الله (ص) اثني عشر شخصاً بأسمائهم وخصوصياتهم .

لا يمكن للسلطان الجائر أن يكون من أولي الأمر :

فعلى ذلك ظهر أن أولي الأمر هم الذين صرح رسول الله بأسمائهم وعرفهم ، ولا يمكن لكل من استلم الحكم بالقوة أن يكون ولي الأمر .

فلو أن سلطاناً أو حاكماً قال بجواز شرب الخمر ، فهل تجب اطاعته .

فكم من الحكام أو السلاطين قد حكموا بالباطل ، وظلموا ونهبوا الأموال وسفكوا الدماء المحرمة ، فهل يجب اطاعة هذه الأحكام المخالفة لأوامر الله ؟

وهل أوجب الله تعالى على الناس إجراء الأحكام الصادرة من هؤلاء الأشخاص ؟

فهذا تناقض ، فهل يطيع الإنسان أوامر الله ولا يرتكب أية مخالفة أو معصية ، أو يطيع هؤلاء الحكام الذين يحكمون بخلاف ما أنزل الله وخلاف أحكامه ؟

فإطاعة هؤلاء الظالمين خلاف العقل ، إذن فأولوا الأمر يجب أن يكون حكمهم مطابقاً لحكم الله ، وأولئك هم الأوصياء الإثنا عشر الذين عرفهم رسول الله (ص) .

وقد شرح هذه الآيات السيد المرتضى في كتاب الشافي ، وكذلك كتاب كفاية الموحدين ، وفي كتاب (حق المتقين) ، وذكر ذلك أيضاً في سائر كتب المرحوم المجلسي .

التعبير البالغ أحسن من التحريج :

وقد ورد التعبير عن أهل بيت محمد (ص) في القرآن الكريم بأبلغ العبارات وأعظمها ، وأشرف الأسماء والأوصاف حيث لا يخفى ذلك على أحد .

وقد عبّر عن علي (ع) في آية المباهلة بكلمة «أنفسنا» ، يعني أنه نفس الرسول محمد (ص) ، وليس أبلغ وأعظم من أن يكون علي (ع) هو روح النبي ونفسه وهو أبلغ وأعظم من التصريح بالاسم .

فلو أنه ذكر اسم الحسن والحسين صريحاً في القرآن الكريم ، فيمكن أن يُؤوّل كأن يستفيدوا من كلمة (حسن) المعنى الوصفي ، أو تقرأ (حُسْن) بضم الحاء ، كما قرأ (علي) في سورة الحجرات بفتح اللّام وتشديد الياء ، لذلك ورد التعبير عن الحسن والحسين بشكل أفضل من التصريح باسمهما ، ففي آية المباهلة «أبناءنا» حيث قال بأنهما الحسن والحسين أبناء رسول الله (ص) .

وكذلك التعظيم الذي ورد في حق الإمام علي في سورة «هل اتى» ، حيث وفى بالندى وأعطى مع الزهراء (ع) ولديه الحسن والحسين (ع) خبزهم ثلاث ليال متوالية إلى المسكين واليتيم والأسير وأفطروا بالماء القراح فأثنى الله سبحانه وتعالى في هذه السورة عليهم ثناءً عظيماً .

الفصل السادس

﴿ قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ... ﴾^(١) .

الولاية المتفق عليها عند الأمة :

إن محبة أهل البيت ، من أهم الواجبات الإلهية ومن ضروريات الدين الإسلامي ، ونص القرآن الكريم ، واتفاق جميع الفرق الإسلامية على ذلك باستثناء النواصب ... وقد وردت الأخبار المتواترة أيضاً في هذا الصدد خصوصاً ضمن تفسير آية المودة ، وقد ذكرها أبناء العامة .

ذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف ، وكذلك الفخر الرازي^(٢) في تفسيره الكبير ، وفي سائر الكتب ، مثل تفسير روح البيان ، وتفسير الثعلبي وغيره ، ذكروا بأنه سئل رسول الله (ص) عن ذوي القربى مَنْ هم ؟

فقال (ص) علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

ويقول الفخر الرازي : بأن ما هو متفق عليه بين الأصحاب أن رسول الله (ص) قد عَرَفَ هؤلاء بأنهم ذوو القربى يعني أولئك الذين جُعِلَتْ محبتهم أجراً للرسالة .

(١) الشورى/ ٢٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٦٦/ ٢٧ .

فهؤلاء هم اولياء الله ، ومعدن العلم ، ومحل نزول الملائكة ، ومهبط الوحي ، فقد اختارهم الله وأوجب محبتهم .

بغض علي (ع) نفاق :

ورد في المجلد التاسع من البحار في « باب أن حب علي إيمان وبغضه كفر » روايات في حدود الخمسين ورقة ، وبأسناد مختلفة من طرق العامة عن رسول الله (ص) حيث قال :

« يا علي حبك إيمان وبغضك كفر » .

و « يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر أو منافق » .

وهذا القسم من الروايات مروي اكثره من طرق ابناء العامة .

ويرى اكثر الفرق الإسلامية ، بأن ذكر آل محمد في الصلوات حال التشهد واجب ، خصوصاً ما عليه فتوى الشافعي من بطلان الصلاة إذا ترك الصلوات على آل محمد عمداً في حال التشهد .

الغرض هو أن آل محمد مع محمد (ص) ، ولا يوجد أي شيء يفصل بينهما ، حتى انه ورد النهي عن الصلوات عليهم مع فاصلة « على » بينهما بأن يقال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . بل يقال : اللهم صلى على محمد وآل محمد .

الرب الخالص لا يجتمع مع غيره :

نعم ، فالمقصود هو ان يمتليء القلب بحب محمد وآل محمد ، وقد ذكرنا سابقاً الآثار العظيمة لمحبة أهل البيت (ع) ، فيجب ان يحل حبه في القلب دون نقيصة ، ويبقى ثابتاً حتى يأخذه معه انشاء الله إلى القبر .

فلو كان القلب محباً للملك والأموال والنساء والمنصب والشهرة والمقام وباقي الأشياء الجزئية الأخرى ، فكيف يمكن أن يبقى هناك مكان لمحبة علي (ع) ؟

فهذا القلب قد تلف وفسد فكيف يكون محلاً للضيف العزيز ؟

كثرة الشركاء ، وقلة السهام :

فهناك مطلب مسلم وهو ان كثرة الشركاء توجب قلة السهام ، فمثلاً لو قسمت غرفة بمساحة عشرة امتار على نفرين ، فيكون سهم كل واحد منهما خمسة امتار ، ولكن لو قسمت على مائة شخص فإن سهم كل شخص يكون قليلاً جداً ، بحيث لا يكون قابلاً للذكر .

فالقلوب الخربة المقسمة والموزعة على جهات مختلفة ماذا يبقى فيها لمحبة آل محمد (ص) ؟

ففي بعض الأحيان تكون محبتهم باللسان فقط ، اما القلب ففيه محبة الأشياء الأخرى .

والإنسان الذي يكون حب علي (ع) على لسانه ، فإن له ثلث الإيمان ، والشخص الذي يكون حب علي في قلبه له ثلثان من الإيمان ، والذي يكون حب علي (ع) في قلبه وعلى لسانه فله تمام الإيمان ، وهذا هو مضمون الرواية .

ابن ملجم يصل الى علي (ع) قادماً من اليمن :

قصة ابن ملجم المرادي تبعث على العبرة واقعاً ، ويتبين بكل وضوح المحبة القلبية واللسانية من هذه القصة .

والقصة طويلة ومتشعبة ، وقد ذكرها العلامة المجلسي في المجلد التاسع من البحار ، وسنذكر فقط محل الشاهد في هذه القصة .

فبعد أن أصبحت الحكومة الظاهرية بيد علي (ع) ، كتب الامام رسالة إلى عامله على اليمن يأمره فيها بالعدل والأنصاف بين الرعية ، وطلب منه في ختام الرسالة ان يبعث له عشرة اشخاص من الذين يوثق بهم لغرض معين .

ولمّا وصلت الرسالة إلى عامل اليمن ، انتخب مائة شخص من الموثوقين ، ثم اختار منهم عشرة اشخاص وكان ابن ملجم المرادي واحداً من اولئك العشرة ، فهو بحسب الظاهر منتخب المنتخبين ، وايضاً كان المتكلم باسم الجماعة عند مثلهم بين يدي الامام (ع) حيث كان فريداً في الفصاحة والبلاغة والشجاعة .

حديث الامام مع ابن ملجم المرادي :

فمن جملة كلامه بمحضر الامام في لقائه الاول قال : إنه لفخر عظيم لنا في امرتك علينا ، ونحن في خدمتك وتحت امرك وسيوفنا مسلولة لإبادة اعدائك .

فدعاه الامام (ع) إلى جانبه وسأله عن اسمه ، فقال : عبد الرحمن ، وسأله عن اسم ابيه : فقال : ملجم ، وسأله عن قبيلته ، فقال : مراد ، ثم سأله ثلاث مرات « أنت المرادي » فقال : نعم ، فقال الامام (ع) « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ثم قال له الامام : هل كانت مرضعتك يهودية ؟ فقال : نعم كنت ارتضع من امرأة يهودية .

فقال الامام (ع) : ألسنت عندما كنت تبكي كانت تقول لك يا أسوأ من عاقر ناقة صالح . فقال : نعم ، فسكت الامام (ع) وأمر باستضافتهم وخدمتهم .

ومرض ابن ملجم فكان الإمام (ع) يقوم بتمريضه حتى تحسنت صحته ، وقال : سأبقى في خدمتك ولا أفارقك ، فقال الإمام (ع) : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فسأله ابن ملجم لماذا استرجعت يا مولاي ؟

فقال له الامام (ع) : انت قاتلي .

حب علي (ع) أو حب الشهوات :

فتعجب ابن ملجم كثيراً لأنه كان يتصور نفسه من الموالين لعلي ، ولكنه لم يكن يعلم انه كان يحب الشهوات . فعندما يكون الامتحان يتضح انه كان يحب الدين أو الدنيا ، فلا تنقضي الأيام إلا عن امتحان واختبار ، حتى يعلم بأي شيء تعلق قلبه .

فضرب ابن ملجم على رأسه وقال : مولاي اقتلني الآن حتى لا يقع ذلك الأمر ..

فقال (ع) انك لم تفعل شيئاً الآن فكيف اقوم بالقصاص قبل الجناية . فلما كانت حرب صفين كان في ركاب الامام (ع) ، وكذلك في حرب النهروان كان مع الامام علي (ع) ايضاً . وإلى هنا لم يبرز باطنه بعد .

وجاء ابن ملجم إلى امير المؤمنين بعد واقعة النهروان وقال : أسمح لي بالذهاب قبلك إلى الكوفة لأبشر أهلها بقدمكم منتصرين .

فقال الامام (ع) : ما هو هدفك من ذلك ؟ فقال : ابتغاء مرضاة الله حيث ادخل لسرور على قلوب الناس بهذه البشارة .

فسمح له الامام بذلك ، فأخذ بيده علماً ودخل الكوفة وهو ينادي البشارة البشارة بفتح الامام (ع) .

فلما وصل إلى مقربة من قصر « قطامة » ، وكانت امرأة جميلة وثرية جداً ولها شهرة كبيرة وكانت بانتظار اصطياده .

لم يكن ابن ملجم محباً لعلي (ع) وانما كان محباً لشهوته ، وهنا تتجلى هذه الحقيقة .

الامتحان الصعب والمصيري :

أما « قطامة » فقد كانت من أشد المبغضين للإمام علي (ع) ، وقد قتل أخوها وأبوها في هذه المعركة على يد جنود الامام (ع) ، فلما مر ابن ملجم تحت قصرها ، وسمعتة يذكر خبر الانتصار فقالت لجواريتها : - ارسلوا اليه ليأتي واسأله عن أخي ووالدي .

فجاء إلى القصر واستقبلوه وأكرموه ، وجاءت قطام ايضاً فما أن وقع بصره عليها حتى اعطاها كل قلبه وفقد ايمانه من النظرة الأولى .

فسأله قطامة عن ابيها وأخيها هل يعرفهما ؟ فقال :

نعم ، وقد قتلا . فبكت قطامة وتأثر لها ابن ملجم ، وندم على مقالته ، ثم قامت قطامة وأزّينت اكثر ، ورجعت اليه يتبادلان العشق ! نعم ، هنا يبدأ الامتحان العسير والمصيري لكي يعلم أي حب في قلبه ، علي (ع) أم الشهوة ؟

فليس كل من صار مسلماً امكن القول بانه صار سلمان ، ففي البداية يجب ان يصير سلمان حتى يصير مسلماً .

نعم ، يجب في البداية أن يكون القلب خالياً من حب الغير حتى يمكنه ان يحظى بمحبة أهل البيت (ع) .

ووصل الأمر بابن ملجم إلى أن يفقد أي اختيار ، واراد أن يَمُدَّ يَدَهُ إليها .

قتل الإمام (ع) مهر فاحشة ؟

فقالت قطامة : إذا كنت تريدني ، فإن مهري ثقل ، فقال : أياً كان فانا موافق .

فقالت قطامة : انه كثير فهو مقدار من المال والمسك والعنبر و . . فقال : وماذا

بعد ؟

فقالت : انه كثير ، ثم قامت وأزّينت من جديد ورجعت إليه حتى سلبته أية ارادة فسألها : وماذا بعد ؟ فعند ذلك قالت : قتل علي .

أجل فمهر امرأة فاحشة هو دم الامام (ع) واقعاً ، اف لهذه الدنيا ما أقبحها .

فانتبه عبد الرحمن وقال : إنه لأمر عسير فأمهليني لأفكر في ذلك .

وفي الصباح جاءه خبر من اليمن بانه مات أبوك وعمك وأنت الوارث لهما ، وقد حفظوا لك الأموال بانتظار قدومك .

ففرح لذلك ابن ملجم حيث سيأخذ ذلك المال ويقدمه إلى قطامة ، فجاء إلى الإمام

(ع) وقال : مات أبي وعمي في اليمن ، وأريد الذهاب إلى هناك لأستلم الميراث ،

فاكتب لي كتاباً إلى عامل اليمن حتى يعينني في جمعه ، فكتب له الإمام ما أراد .

الجن يرمون قاتل علي (ع) بالحجارة :

فأخذ عبد الرحمن الكتاب وتوجه إلى اليمن ، وفي أثناء الطريق ، وبينما كان يسير

في الصحراء والوقت أول الليل ، رأى ان ناراً التهب والدخان يتصاعد منها ، وأصوات

تصرخ بأنه قد جاء قاتل أسد الله .

فأخذ يرتجف خوفاً ، وفهم أن هذه الأصوات من الجن ، فقد كانت طائفة من الجن

من المؤمنين والمحبين لعلي (ع) ، أخذوا يرمونه بالحجارة بحيث لم يستطع البقاء

للاستراحة في ذلك المكان ، فهرب من هناك حتى استطاع بعد صعوبات عديدة الوصول إلى اليمن .

وفي اليمن ، سلّم الرسالة إلى عاملها فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينه وقضى حاجته بأسرع وقت ، فأخذ ابن ملجم الأموال وقصد الكوفة وهو يُمنّي نفسه بالعيش مع قطامة .

وفي أثناء الطريق اعترضه قطاع الطرق ، وسلبوه كل شيء إلا لباسه ودابته . فأوصل نفسه إلى إحدى القوافل فرافقها .

الرفاق الثلاثة والتخطيط العجيب :

فأحس بالأنس مع تلك القافلة ، وتمكن أن يتعرف على رجلين فيها كانا يتفقان معه في التفكير ، فاجتمعوا وصمموا على قتل ثلاثة أشخاص كانوا يعتقدون انهم هم السبب في اختلاف المسلمين ، فقد تعهد الرجلان على قتل معاوية وعمرو بن العاص ، وتعهد ابن ملجم بقتل الإمام علي (ع) .

ثم وصل إلى بيت قطامة وشرب معها أم المفاسد الخمرة ، وقضى ليلته بالغناء والطرب ، حتى فقد كيانه ونسي نفسه ، وأخذ يلتمس قطام ولكن تلك الخبيثة قالت : ما لم تنته من أمر علي فلن تنال مرادك .

فقال عبد الرحمن : أنا أذهب إليه الآن لأقتله ، فقد انفلت من عقاله ، واشتعلت فيه نيران الشهوة ، وتخيل ان قتل علي (ع) سيتم بكل سهولة .

الاستعداد لقتل علي (ع) :

فقالت قطامة : ان ذلك غير ممكن بهذه الصورة ، فأخذت سيفه ودفعت لصقله ألف درهم ولم تكف بذلك ، وإنما أعطت ألف درهم آخر ثمناً لسمه ، بحيث إذا لم تسبب الضربة قتل الإمام فإنه سوف يموت بتأثير السم .

ومن الأشخاص الذين شاركوا في قتل الإمام (ع) مع ابن ملجم ، الأشعث بن قيس وهو الذي قتلت ابنته (جمعة) الإمام الحسن (ع) بايحاء من معاوية ، وشارك ابنه

« محمد » في قتل الحسين (ع) مع ابن زياد .

على كل حال ، فقد طال بنا الحديث ، وفي الواقع فإن قصة عبد الرحمن بن ملجم
عبرة لمن يدعي الحب لـعلي (ع) ، فيجب أن نراجع أنفسنا خوفاً من أن يكون حبنا لأشياء
أخرى أكثر من محبة علي (ع) في قلوبنا ، آلهي أخلص محبتنا لـعلي (ع) وثبت
أقدامنا .

الفصل السابع

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾^(١) .

كونوا مع الصادقين :

من جملة الطرق في اثبات امامة الائمة (ع) من الآيات القرآنية والسنة النبوية هو الأمر باتباعهم .

وللمثال على ذلك ، نذكر آية واحدة من القرآن ، ورواية شريفة من السنة .
فالقرآن المجيد يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ .

وبديهي ، فإن معنى « كونوا مع الصادقين » ، لا يعني المعية الجسمانية ، ولا يعني انكم اتركوا بيوتكم ومعيشتكم وكونوا ليل نهار مع الصادقين وملازمين لهم ، فليس هذا هو المقصود من الآية قطعاً .

اذن فالمراد هو المعية المعنوية ، يعني انكم انظروا دائماً الى افعالكم وأقوالكم وكل حركاتكم وانظروا الى سيرة الصادقين وحاولوا أن تجعلوا اعمالكم مطابقة لأعمالهم .

وبعبارة أخرى ، فإن حقيقة المعية المعنوية هي التبعية . والأمر المهم هو معرفة

(١) التوبة/ ١١٩ .

الصادقين في هذه الآية ، وعلى أي الأشخاص تطلق هذه الكلمة ، وما المقصود من الصادقين ؟

الصادق المطلق وليس النسبي :

فالمقصود في هذه الآية هو الصادق المطلق وليس الصادق النسبي . وتوضيح ذلك ، هو أن الإنسان قد يكون صادقاً ولكن مع الناس فقط ، وليس مع الله ، أو يكون بالعكس من ذلك .

لكن الإنسان الذي يكون في جميع حالاته وفي ليله ونهاره من أهل الصدق ، سواء مع الله أو مع الناس ، في العلن أو السرف هو أمر في غاية الأهمية ، ولا يدرك ذلك إلا المعصوم الذي لا ينحرف عن الصراط أبداً ، بحيث يكون صادقاً مع الله والناس .

فالصادق المطلق ، هو الذي ليس له هوى نفسي أبداً ، ولا يكون ذلك إلا عند أهل بيت محمد (ص) .

اقرأوا التاريخ ، فهل تجدون مثيلاً للامام علي (ع) أو الحسن (ع) أو الحسين (ع) ؟

وكما قال الرسول (ص) ، ان صديق امتي علي ، وينقل السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ قال : مع علي بن أبي طالب (١) .

سفينة نوح :

وقد ورد أيضاً حديث من السنة النبوية حول أتباع أهل البيت (ع) ، وهو متفق عليه عند السنة والشيعنة بأن رسول الله (ص) قال :

«إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمِثْلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ» (٢) .

(١) دلائل الصدق للمظفر ١٤٠/٢ .

(٢) الأربعين أربعين حديثاً للنبهاني ص/ ٢١٦ .

وكذلك اتفق الفريقان على أن الرسول (ص) قال :

« أيها الناس ، اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً » .

وحتى أنه ورد في بعض الروايات في ذيل الحديث انه (ص) قرب بين ابهاميه وقال « كهاتين » يعني ان كتاب الله والعصرة بمقدار واحد ، وليس في مثل اصبع الابهام والسبابة ، حيث إن اصبع السبابة اطول من اصبع الابهام ، بل انهما متساويان في كل شيء .

فالقرآن لا يختلف بشيء عن أهل بيت محمد (ص) ، فالقرآن معنى وأهل البيت حقيقته والموضحين والشارحين له .

الصادقون هم الأئمة الاثنا عشر :

وسئل رسول الله في هذه الآية الشريفة عن الصادقين من هم ؟ فقال^(١) . .
- علي والحسن والحسين . . . حتى المهدي (ع) فهؤلاء الاثنا عشر هم الصادقون ، يعني اولئك الذين اوجب الله سبحانه وتعالى اتباعهم حيث قال ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ وعبر عن التبعية لهم بالكون معهم .

الاعتصام بحبل الله :

ومن جملة الآيات الواردة في اتباع أهل البيت (ع) .
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ﴾^(٢) .

فحبل الله يعني الوسيلة التي جعلها الله بينه وبين الناس ليمسكوا بها ويحصلوا على النجاة ، وهي علي (ع) واحد عشر من اولاده عليهم السلام ، ونقرأ في زيارته « السلام على حبل الله المتين » .

(١) في ينابيع المودة عن ابن عباس قال : الصادقون محمد وأهل بيته . كما ورد في نفس الكتاب عن الامامين الباقر والرضا (ع) أن الصادقين هم الأئمة من أهل البيت (ع) .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

المعجزة عند ادعاء الإمامة :

ومن الطرق لإثبات الإمامة الاتيان بمعجزة كما في النبوة . يعني كما انه يطلب من الشخص الذي يدعي النبوة الاتيان بمعجزة لتكون شاهداً على صحة ادعائه ، فكذلك يجب أن يكون لمن يدعي الإمامة معجزة .

ولا شك بأن الإمام أمير المؤمنين (ع) والأحد عشر من اولاده قد ادّعوا الإمامة بأجمعهم .

فكم صعد علي (ع) المنبر وشكى من غضب حقه المسلم حيث تركه الناس ! وكم عاتبهم في خطبته الشفشفية ! وعلى كل حال الامام علي (ع) كان يدعي منصب الإمامة ، وكذلك اولاده الى الحجة بن الحسن عليه السلام .

ثم قدّموا المعجزة بل المعاجز على ذلك ، كما هو مذكور ومضبوط في الكتب ، حتى ان كثيراً من علماء العامة مثل محمد بن طلحة الشافعي ، وابن الصبّاغ المالكي ، ألفوا وكتبوا كتباً في معاجز أهل البيت (ع) ، وأخيراً ما كتبه أيضاً الحاج الشيخ عباس القمي في كتاب « منتهى الآمال » بشكل مختصر ، عن شرح حياة ومعجزات المعصومين الأربعة عشر وأحوالهم .

رد الشمس في صقيين :

إن معجزات الإمام علي (ع) والائمة من اولاده ، لا يمكن عدّها أو احصاؤها ، ولكن يمكن الاشارة الى بعضها .

فكما ان رسول الله (ص) اشار باصبعه المبارك إلى القمر فشقه إلى نصفين ، فكذلك وصيه وأخوه علي (ع) عندما غربت الشمس في صقيين ، اشار إليها باصبعه المبارك وأرجعها .

وهذا الموضوع ، أي (رد الشمس) ، مهم إلى درجة أن المرحوم السيد مير حامد ألف كتاباً في اثبات ذلك ، وذكر الأشعار التي قيلت في ذلك من قبل الشعراء في كل قرن .

وأصل^(١) هذه القضية ، هو أنه جاء إلى الامام (ع) عدة من جنوده في حرب صفين وقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد غربت الشمس ولم تتمكن من أن نصلي صلاة العصر .

فأشار الامام (ع) باصبعه إلى الشمس وارجعها .

وقد نقل المرحوم الاميني في مجلدات الغدير^(٢) هذه المعجزة بالتفصيل وبأسناد مختلفة من طرق العامة .

رد الشمس لمادح علي (ع) :

وينقل العلامة الحلي ، بأن أحد العلماء الأفاضل كان مشغولاً بمدح علي (ع) في أحد المجالس ، ويعتقد البعض انه أحمد بن فهد الحلي ، وقد استمر بهم المجلس حتى غربت الشمس .

ففي ذلك الوقت خاطب هذا المحب والمخلص للإمام (ع) الشمس وقال :

أيتها الشمس التي رجعت لمولاي في صفين بأمره ، هل يصح أن تغربي بهذه السرعة ، فارجمي حتى اكمل مدحي وثنائي .

فما أن طلب ذلك حتى رجعت الشمس .

ونفس هذه الحكاية موجودة في المجلد التاسع من بحار الأنوار .

المعجزات التي لا تحصى :

ومن المؤكد أن معجزات آل محمد (ص) لا يمكن احصاؤها ، أما ما هو مذكور في الكتب فكثير ، ففي كتاب مدينة المعاجز ، يذكر خمسمائة وخمسين معجزة للإمام علي (ع) ، وثلاثمائة وخمسين للإمام الحسين (ع) ، فهذه المعجزات كانت في حال حياتهم وضبطت ووصلت إلى الآخرين ، أما بعد استشهادهم ، فإنه لا تمر سنة إلا ويشاهد لهم معجزة في الاطراف والمناطق المختلفة .

(١) راجع هذه القضية في دلائل الصدق للمظفر ٢٩٥/١ وما بعدها .

(٢) المجلد الثالث/ ٢٦ وما بعدها . والخامس ص ٢٣ وما بعدها .

قبر الإمام مركز الرحمة الإلهية :

قسم من تلك المعجزات تحدث عند قبورهم الشريفة ، التي هي مركز الرحمة الإلهية وأنوار الحق ، ومحل هبوط وصعود الملائكة .

فكم من أصحاب الحوائج ذهبوا إلى هناك وقضيت حاجاتهم ، وكم من المرضى المزمنين حصلوا على الشفاء ، وكم من العميان رجعوا بأعين سليمة ولم تصل اليينا اخبارهم ، وكم من الأدعية التي تستجاب عند قبر الحسين (ع) ، وكم من المحتاجين الذين يصلون إلى مرادهم ، وكم من الأيسين الذين حصلوا على طلبهم ولا نعلم بذلك .

كتابة ابن بطوطة عن قبر الإمام علي (ع) :

كان لابن بطوطة ، وهو من المؤرخين السنة أسفار بعيدة قبل ستمائة عام إلى كثير من المناطق ، وقد كتب في ذلك كتاباً ، وذكر فيه ما يصادفه من الأمور في المدن التي يمر بها وكتب يقول : انه عندما وصلت الى مدينة النجف الأشرف ذهبت إلى قبر الإمام علي (ع) ، فرأيت ثلاثة أشخاص كان احدهم اعمى والآخر مقعد والثالث مريض ، فقال أحدهم باني جئت من خراسان ، وقال الآخر بآني من اصفهان ، والثالث أيضاً كان من أهالي بابل .

فسألت : ما هو السبب في مجيئكم إلى هذا المكان ؟ فقالوا : اتينا لنحصل على الشفاء من الإمام علي (ع) في ليلة المبعث ٢٧ من شهر رجب ، لأن الإمام علي (ع) في تلك الليلة ، له ألطاف خاصة ، وقد وصلنا متأخرين في هذه السنة فلهذا بقينا هنا حتى تحل ليلة ٢٧ من رجب .

ويقول ابن بطوطة : بأن مجيء الأشخاص الكثيرين وتوسلهم بقبر أمير المؤمنين (ع) وحصولهم على الشفاء كان مشهوراً .

تربة الصين الهواء الحقيقي :

أما تربة الحسين فهي حقاً معجزة ، حيث نجد الذرة منها تؤثر هذا الأثر الكيماوي العجيب .

فلو لم تمسها أيدي المذنبين ، فأنها شفاء من كل داء فبمجرد العلاج بها يحصل

الشفاء فوراً ، وما لم تصل إليها يد الفاسقين ، فإنها تقلل من أثر المرض أو تزيله نهائياً .

وقد ورد في مضمون الرواية الشريفة عن الامام الصادق (ع) ، بأن أحد الأمور التي خصها الله للحسين (ع) بسبب استشهاده ، أنه جعل في تربته الشفاء .

وكذلك الحيوانات تنتفع من قبورهم أيضاً فكيف بالإنسان أو أولئك الشيعة الموالين ؟

وبالنسبة إلى قبر الامام علي (ع) ، فقد سمعتم عنه كثيراً أو قليلاً ، واذكر ذلك بصورة موجزة .

بحر النجف مكن لاخفاء قبر الامام علي (ع) :

دفن الامام علي (ع) بصورة سرّية ولم يطلعوا أحداً على مكان القبر ، لأن النواصب والخوارج سيصلون إليه ، وربما نبشوا القبر خصوصاً فيما بعد ، حيث كان الأمويون والعباسيون يحاولون ذلك ، والنجف الأشرف كان في السابق يشبه الأهوار حيث تغطية المياه ، ثم بعد ذلك جف وزهد عنه الماء فسمي بالنجف المأخوذ من (ني جف) والتي تعني القصب اليابس .

وكانت مقبرة الكوفة قريبة من النجف ، وكانت الجهة التي تحوي القبر الشريف عالية ومحفوظة .

وكان الحسن والحسين (ع) يأتيان بين فترة وأخرى لزيارة قبر والدهما ، وكذلك باقي ابنائه كالإمام السجاد والباقر والصادق عليهم السلام ، وتدرجاً تعرّف عليه بعض الخواص من أصحاب الائمة (ع) من قبيل محمد بن مسلم .

هارون الرشيد والصيد في النجف :

بقي الحال كذلك إلى زمان هارون الرشيد ، حيث جازو يوماً إلى الكوفة وقال : اريد الذهاب إلى الصيد ، فأخذوا كلاب الصيد والصقور المدربة معهم ، فإذا بغزال يتراءى لهم من بعيد ، فأرسلوا خلفه كلابهم وصقورهم لكي يصطادوا .

أما الغزال فقد هرب وأخذ يركض حتى وصل إلى تلة مرتفعة فوقف عليها فتركته الكلاب والصقور ورجعت .

فتعجب هارون الرشيد من ذلك ، حتى انقضت مدة من الزمان نزل بعدها الغزال من

على التلة وذهب ، فأمر هارون الرشيد مرة ثانية أن يطلقوا خلفه الكلاب والصقور فرجع الغزال مجدداً إلى تلك التلة ووقف هناك ولم تتجرأ الكلاب والصقور على الاقتراب منه فرجعت .

تعجب هارون الرشيد أكثر وأدرك أن في الأمر سرّاً ، فأمر أن يبحثوا في تلك الأطراف مَنْ يخبرهم عن ذلك .

وبعد البحث ، شاهدوا شيخاً كبير السن فسألوا منه عن حقيقة الأمر الكامنة في هذا الموضوع ، ولكنه في البداية كان يخاف ولم يذكر لهم شيئاً ، ولكنه قال أخيراً : بأنني جئت مع والدي إلى هذا المكان فقال لي : بأن الإمام الصادق (ع) قال بأن هذا المكان هو قبر الإمام علي (ع) .

فاتحتم هارون الرشيد القبر ، وأمر أن يبنى له بناء ، وكان أول شخص يبنى المرقد المبارك . وبعد ذلك وبمرور الزمان ، أقدم الآخرون على إعادة بناء القبر الشريف أيضاً خصوصاً في زمان الديالمة ، وعضو الدولة الديلمي ، حيث سعى كثيراً في بناء وتعمير ذلك القبر وقد تم تذهيبه في زمان نادر شاه .

ومن المناسب هنا أن نذكر معجزة لقبر الإمام علي (ع) وأختم كلامي .

عقاب المتعرض بسوء لزوار الإمام علي (ع) :

يذكر في المجلد التاسع من بحار الأنوار ، قصة مطولة سأذكرها لكم بشكل موجز .

قال زيد النساج : كان لي جار كبير السن وقلما كنت أراه ، فلما كان يوم الجمعة ، ذهب إلى الحمام ليغتسل غسل الجمعة ، ونزع ثيابه فرأيت في ظهره جرحاً بمقدار الشبر ، وقد أصابته العفونة ، فاقتربت منه أساله عن ذلك الجرح .

لم يقل شيئاً في البداية ، ولكن مع الاصرار الشديد ، اضطر لأن يحكي قصته لي قال :

كنت في شبابي مشغولاً باللعب واللهو والفسق والفجور مع عدد من الشباب ، وكانت جلساتنا كل ليلة عند أحد الأصدقاء ، فلما جاء دوري ولم يكن لدي شيء في

البيت ، أخذت سيفي وخرجت خارج الكوفة لأقطع الطريق طلباً لسلب المارة مقداراً من المال ، ولكن مضت مدة دون جدوى .

في ذلك الوقت كان الهواء غائماً ومظلماً ، وفجأة أضاء البرق فرأيت من خلال الضوء شبح امرأتين ، فأسرعت اليهما ولحقتهما وصرخت فيهما أن سلّما لي كل ما عندكما وإلا قتلتكما .

فلما رأت هاتان المرأتان ذلك ، سلّمتا لي ما كان عندهما من أموال ومجوهرات ، وأضاء البرق مرة ثانية فانتبهت إلى أن إحدهما امرأة شابة جميلة جداً والأخرى عجوز .

فاضطربت فيّ نار الشهوة فأردت أن اعتدي على تلك المرأة الشابة فتوسلت بي المرأة العجوز وقالت : ارجوك أن تترك هذه البنت فهي يتيمة وأنا خاليتها ، وقد خطبها ابن عمها ، وغداً ليلة زفافها ، وقد طلبت مني اليوم أن أوصلها إلى قبر أمير المؤمنين (ع) فقد لا تتمكن من زيارته بعد زواجها ، ولا يسمح لها زوجها بذلك ، فأرجوك بحق علي (ع) إلا ما تركتها .

ولكنني لم اعتنِ بكلامها ، ومددت يدي إلى تلك الفتاة وفجأة قالت في حالة من التضرع : يا علي اغثنني .

فسمعت من ورائي صوتاً وكان فارساً يأمرني بالنهوض وبكل غرور قلت له :

أنت نفسك لا يمكنك النجاة من يدي ومع ذلك تريد أن تشفع لهذه المرأة ؟

فما أن تجرأت بهذا الكلام حتى أشار بسيفه إلى ظهري (دون أن يضرب) فسقطت على الأرض مغشياً عليّ فسمعت المرأتين تقولان لذلك الفارس ، قد احسنت إذ انقذتنا من هذا الظالم ونرجوك أن توصلنا إلى قبر علي (ع) وترافقنا في الطريق .

فقال ذلك الفارس بلسان حنون : بأن زيارتكما قد قُبِلَتْ فأنا علي بن أبي طالب (ع) .

فلما سمعت ذلك تشجعت أيضاً وتوسلت بالإمام وقلت : مولاي انني تائب فاعف عني .

فقال الإمام : إذا كنت قاصداً التوبة فإن الله سيتوب عليك . فقلت إن هذا الجرح يؤلمني يا مولاي ، فرفع الإمام قبضة من التراب وألقاها على ظهري فتحسن الجرح ، وهذا الذي تراه هو من آثار ذلك الجرح .

الفصل الثامن

وصايا علي (ع) في آخر يوم من حياته :

وقد أوصى الإمام (ع) في آخر أيام حياته بوصايا متعددة ، سواءاً إلى أولاده أو إلى اصحابه . ونشير اليوم إلى بعض وصاياه إلى اصحابه فقط كما ورد في كتاب اصول الكافي .

فبعد أن التزم الإمام الفراش نتيجة ضربة ابن ملجم ، وبعد أن انتشر ذلك الخبر بين اهالي الكوفة واطرافها ، أخذ الناس يتوافدون إلى بيت الإمام زرافات ووحداً ، وقد كانوا في بداية الأمر يأملون شفاء الإمام ، ولكن بعد أن فحصه الطبيب اصبح واضحاً أن الامام على فراش الموت .

لذلك طلبوا من الإمام أن يوصيهم ويعظهم ، ومع ان الإمام كان على تلك الحالة من المرض والألم الشديد ، لم يمتنع عن موعظتهم ، وقد قال لهم كلاماً بديعاً جداً ، فمن جملة ما قال :

« كل امرء لاق في فراره ما يفر منه » .

فكل إنسان يسعى إلى الهرب من الموت ولكن لا فائدة من ذلك فعاقبة هذه الحياة هي الموت ، فتشاهدون كيف نركض خلف الطبيب والدواء بمجرد أن يصيبنا مرض ، ولكن ذئب الأجل سوف يخنقنا ويزهق ارواحنا في نهاية هذا الصراع والفرار .

وصية علي (ع) لا تشركوا :

« وأما وصيتي إليكم فالله لا تشركوا به شيئاً » .

فاعبدوا الله وحده ، فالحياة والموت من الله ، والرزق ايضاً من الله وكل شيء من الله ، ولا يمكن لغير الله أن يفعل شيئاً فلماذا تشركوا بالله ؟ فالخضوع والخشوع يجب أن يكون لله وحده ، فلا تعبدوا غير الله ، واتركوا هوى أنفسكم ولا تطيعوا أهواءكم . كونوا مثل علي (ع) .

تعلموا من الإمام (ع) الاخلاص في العمل :

لقد سمعتم مراراً بأن الامام علي (ع) عندما ضرب عمرو بن عبْدُوْدَ على رجله واسقطه إلى الأرض ، وجلس على صدره لكي يحتز رأسه ، فما كان من عمرو إلا أن بصق بوجه الإمام (ع) وأخذ يتمشى قليلاً ، ثم بعد ذلك رجع وفصل رأسه عن جسده .

وعندما سأله عن السبب في هذا العمل ، قال لقد اغضبني فخفت أن أقطع رأسه في ذلك الوقت وأنا على تلك الحال فيكون ذلك غضباً لنفسي . فأمسكت عنه حتى سكن غضبي فقتلته غضباً لله .

أَجَلْ ، فعلي (ع) رجل الاخلاص ، فهو يحذر من الشرك إلى هذا الحد ، ولا يدخل هواه في عبادته .

فلو أن شخصاً عمل شيئاً ليراه الناس ، أو يسمعوا به ويمتدحوه ، فهذا هو الشرك وهو الرياء والسمعة .

لا تضيّعوا سنة محمد (ص) :

« ومحمداً فلا تضيّعوا سنّته » .

الوصية الأخرى للإمام (ع) هي : أيها المسلمون لا تضيّعوا سنة وسيرة الرسول الحسنة ، فعليكم الاتيان بالواجبات والمستحبات التي عيّن لها لكم ، وترك المحرمات والمكروهات التي بينها لكم . فهذه الأحكام هي التي تنظم الحياة وتؤمن للإنسان السعادة والراحة في الدنيا والآخرة ، فلو اردتم السعادة في هذه الدنيا فكونوا متدينين ، فلو أن

الإنسان التزم بأحكام الله فإنه سيؤمن معيشتة ، وثبتت صحة هذا الأمر لدى أي شخص بالتجربة .

موعظة أمير المؤمنين النارية :

« أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغداً مفارقتكم » .

يعني أنني كنت مثلكم بالأمس ، وكنت آتي إلى المسجد وأصلي وأخطب فيكم ، واليوم أنا سبب لعبرتكم ، حيث إنني ممدد على الفراش ، فيا أصحاب الأبدان السالمة ، انظروا إلى رأس علي (ع) ، واعتبروا بيد علي (ع) حيث لا تستطيع الحركة بفعل السم ، هذه هي اليد التي قلع بها باب خيبر ، تلك التي كان يفتحها ويغلقها اربعون شخصاً بصعوبة ، فقد قلعها من مكانها وقذفها مسافة أربعين قدماً ، ثم جعلها جسراً عبرت عليه جيوش المسلمين إلى داخل الحصن . هذه هي اليد التي قتلت مرحب الخييري وعمرو بن عبدود .

هي لكم عبرة ، وغداً سأذهب من بينكم وتدفنون جنازتي في التراب ، وتلف هاتان اليدان والرجلان بالكفن .

اذن فلا تعتدوا على أحد :

أيتها الأيدي السالمة ، لا تأخذي مال أحد أو تظلمي أحداً .

الإمام نفسه يوماً على المنبر « والله لو اعطيت الأقاليم السبعة على أن اسلب نملة جلب شعيرة ما فعلت » .

وأنتم أيضاً يا محبي علي (ع) ، كونوا عوناً للناس لا عليهم ، اعملوا الخير قبل أن تزول أعضاؤكم وجوارحكم .

وقال (ع) بأني صاحبكم بالأمس ، والآن فإن روحي سوف تلحق بالعالم الأعلى ، ويبقى جسدي بلا روح ، فيجب أن يكون هذا الجسد الفاقد للروح موضع عبرة وموعظة لكم ، فموتي يجب أن يكون موعظة ، يعني أنكم ستكونون كذلك خلال الأيام القادمة ؛ فكيف كان هذا البدن ؟ وكيف هو الآن ؟ وماذا سيكون غداً ؟

ثم ودعهم وقال « استودعكم الله وداع من ينتظر اللقاء » يعني اننا سوف نلتقي قريباً ، فعند الخروج من القبر يكون « يوم التلاق » يوم اللقاء ، فأنتم سترون علياً وعلي أيضاً يراكم ، بل أن ذلك يكون في ساعة الموت ، وفي عالم البرزخ ايضاً حيث تتعلق الروح بالبدن المثالي .

غدا ستدركون حقيقة الإمام (ع) :

« وسترون أيامي غداً وتنكشف سريري لكم » .

وسنرى مقامه العظيم ، ففي الأيام المقبلة سترون حقيقة الإمام (ع) ، بعد أن كنتم هنا ترون ظاهره وترون الصورة والجسم ، أما في الآخرة ، فتشاهدون باطنه وحقيقته بعد أن يفارق الدنيا .

وقد فسر بعض الشارحين هذه الجملة ، بأنكم سترون الإمام علياً (ع) غداً ، يعني في ساعة الموت ، والشاهد على ذلك هو الروايات الواردة بأن علياً (ع) يحضر عند الوفاة ويراه كل شخص عند الموت ، سواء كان كافراً أو مؤمناً .

نور الشمس يضيئ منات الإمام :

فلو أن مئات بل آلاف المرايا وضعت امام الشمس ، فإن نور الشمس سوف يضيئها كلها في وقت واحد ، يرون الإمام علياً (ع) حاضراً عندهم جميعاً .

فنور الامام علي (ع) يشرق في كل مكان ، ويضيئ قلوب أهل الإيمان ، كما أنه يعمي عيون قلوب أهل الكفر والنفاق .

وقد حصل في حياته الشريفة عدة نماذج أيضاً ونشير إلى بعضها :

علي (ع) يهزم جيشاً لوحدة :

كان معاوية قد جهز جيشاً خاصاً في معركة صفين ، كان عدده اثني عشر ألف شخص كلهم مدججون بالسلاح متدرعين بالحديد حتى لا تؤثر فيهم السيوف والسهام .

فلما تقدم هذا الجيش ، خاف جنود الامام (ع) وضعفت معنوياتهم . وفي البداية تحدث الامام (ع) مع جنوده وحثهم على القتال ، ثم هجم على ذلك

الجيش بمفرده فسحقهم ودمرهم ، فبعض قتل وبعض جرح ، وهرب البقية ، فوصل بعض الهاربين الى خيمة معاوية ، فاعترض عليهم بشدة وسألهم : كيف حصل ذلك حتى هزمكم بهذه الصورة ؟ فقالوا : كنا من أية جهة ننظر نرى علي بن أبي طالب هاجماً علينا تارة بالسيف وأخرى بالرمح والسهم .

نعم ، فقد هجم عليهم بالبدن المثالي ومزقهم شر ممزق .

علي ضيف في أربعين مكاناً في ليلة واحدة :

ولعلكم سمعتم بالرواية الشريفة ، بأن أربعين شخصاً وردوا إلى المسجد بالتدريج ، وأخذ كل واحد منهم يقول : بأن علياً كان ضيفنا ليلة البارحة ، فقال رسول الله (ص) .

لقد كان علي ضيفي ليلة البارحة ، فنزل جبرائيل (ع) وقال :

- يا رسول الله لقد كان علي ضيفاً عند الله ليلة البارحة .

فهذه الظهورات المتعددة من البدن المثالي ، تحصل بالقوة العلوية والروح الكلية الإلهية ، فيكون موجوداً في آن واحد في أربعين مجلساً بالبدن المثالي ، وهو غير هذا البدن في عالم المَلَك ، وكذلك فالإمام يحضر عند كل محتضر بالبدن المثالي .

يحضر جنازته :

يذكر في المجلد التاسع من بحار الأنوار رواية بأن علياً (ع) أوصى بأن يترك مقدم جنازته ، ويحمل الحسن والحسين عليهما السلام مؤخرة الجنازة ، وكان جبرائيل وميكائيل يحملان المقدمة .

ويقول محمد بن الحنفية : بينما كان في اثناء الطريق ، وكلما مررنا على شجرة فإنها تقوم بتعظيم الجنازة ، وفجأة ظهر رجل مقنع بنقاب اسود فسلم سلاماً حسناً وقال : أنت الحسن أكبر أولاد علي (ع) ؟ فقال : نعم :

ثم التفت إلى الحسين (ع) وقال أنت الحسين ، أنت صاحب الجنازة وأبو الائمة ؟ فقال : بلى .

ثم قال لهم بعد ذلك هاتوا الجنازة وارجعوا .

فقالوا أن أبانا أوصانا ألا نسلّم الجنازة إلا إلى جبرائيل والخضر (ع) ، فأزاح اللثام عن وجهه فرأوا الامام علياً (ع) .

نعم فذلك الشخص الذي يحضر عند كل جنازة قد حضر جنازة نفسه أيضاً .

ملاقاة الامام (ع) والتعلق بالماديات :

إذا أراد حاكم دنيوي زيارتكم وكانت ثيابكم متسخة ووجوهكم غير نظيفة وأوضاعكم غير مرتبة فسوف تخجلون حتماً .

فكيف إذا أراد سلطان عالم الوجود علي بن أبي طالب (ع) أن يأتي لزيارتكم وقصده هو زيارة ذاتكم ؟ فلا ينبغي أن تكون مليئة بالتعلقات المادية فتخجلوا من الامام علي (ع) ، يجب أن تهتموا بلبقاء الإمام (ع) وأن تكون همّتكم عالية وتكونوا بصدد اصلاح انفسكم ، حتى لا تخجلوا عند الامام (ع) وتكونوا متهيئين قبل الموت لحضور الإمام علي (ع) كونوا بحيث لا يكون في قلوبكم أي تعلق بأي شيء سوى الارتباط بالله .

وجوب طاعة الأئمة واحدا بعد آخر :

واذكر لكم بعضاً من وصيته أيضاً لأولاده التي ترتبط ببحث الامامة وهو تعيين الامام بعده .

يقول محمد بن الحنفية : جمعنا ابونا في الليلة الأخيرة من عمره وقال لنا : عليكم بطاعة اخيكم الحسن فهو الامام عليكم .

ثم التفت إلى الحسن وقال : وأنت أيضاً أوصر إلى أخيك الحسين عند وفاتك .
ثم قال للحسين ، وأنت أيضاً اجعل هذا الطفل وصيك بعد وفاتك ، وكان الامام السّجّاد (ع) جالساً عند قدميه ، وكان سنه الشريف لا يتجاوز السنتين . وقيل إن عمره كان أربع سنوات .

آخر وصية الامام أمير المؤمنين (ع) :

وآخر ما قاله الامام (ع) هو انه تلى هذه الآية الشريفة :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(١) . .
فهل تتصور انك عندما تشتم احداً فإن ذلك ينتهي ولا يترك أي أثر؟ كلا فالظلمات
باقية في ذاتك ومثبتة في كتاب اعمالك ، وسوف ترى الصورة القبيحة في عالم الملكوت
يوم القيامة وتخجل من ذلك .

ثم قرأ آية أخرى : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾^(٢) .
فكل من اراد الوصول إلى الكمال والمقامات العالية ، فعليه أن يسير بسيرة علي
(ع) فُسِّرَ كما سار عليه أولئك .

الارواح الطاهرة تستقبل روح المؤمن :

ولَمَّا كان الامام (ع) على هذا الحال ممدداً على فراش الموت ، لاحظ أن أم
كلثوم كانت تبكي فناداها وقال لها أي بُنْيَّة لا خوف على أبيك ، فلو أنك كنت ترين أي
مكان سيذهب إليه أبوك لكنت تفرحين ، فهذا رسول الله (ص) قد أقبل ، وهذا عمي
حمزة سيد الشهداء ، وهذا أخي جعفر الطيار قد أقبلوا جميعاً .

ثم سَلَّمَ على ارواح الانبياء عليهم السلام وقال :

« السلام عليكم يا رسل ربي ورحمة الله وبركاته » ثم قال اخيراً :
« السلام عليك يا عزرائيل » فعلموا ان الإمام قد رحل وتخلص من هذه الدنيا ونجي
من مصيبتها .

(١) الزلزلة/٧ - ٨ .

(٢) الصافات/٦١ .

الفهرست

الفصل الأول

- ٣ تعريف الإمامة ، والفرق بينها وبين النبوة
- ٣ هل يجب على الرسول (ص) تعيين الخليفة ؟
- ٤ تعيين الخليفة في الأسفار القصيرة
- ٤ لا بد من مُبَيِّنٍ للأحكام الشرعية
- ٥ القضاء على المؤامرات الداخلية
- ٥ الإعتقاد بالإمام بعد الرسول (ص) واجب
- ٥ الإمام يجب أن يكون بتعيين الله أيضاً
- ٦ يجب أن يكون الإمام مشابهاً للرسول (ص) تماماً
- ٦ اعتراض امرأة على الخليفة الثاني
- ٧ الإطلاع الكامل على علوم القرآن
- ٨ جواب أبي بكر على مسألة الإرث
- ٨ التحكيم بين اليهود والنصارى والمسلمين
- ٩ كلام الغزالي
- ٩ الإمامة بالتعيين لا بالانتخاب
- ١٠ الإمامة ليست كرئاسة الجمهورية

١٠	رسالة أبي قحافة لابنه أبي بكر
١١	هل أن تعين الخليفة بيد الناس ؟
١١	هل عَيَّن الرسول وصياً ، أم لا ؟
١١	خلفاء الرسول (ص) إثنا عشر شخصاً
١٢	مأدبة لأربعين شخص من رؤساء قريش
١٢	أول مُعين لي هو الوصي من بعدي
١٣	ولاية علي (ع) هي ولاية الرسول (ص)
١٣	قصة الدواة والقلم المؤسفة
١٤	صحيح البخاري وكلام عمر
١٤	اعتذار ابن أبي الحديد
١٧	حفظ الإسلام من مسؤولية الخليفة
١٨	حديث عمر مع علي بن أبي طالب (ع)
١٨	يعرف عدد النمل أيضاً
١٨	فضل علي (ع) على جميع الأنبياء
١٩	أفضلية علي (ع) من آدم
١٩	دعاء نوح وابنه
٢٠	لم يخف علي (ع) في أداء المسؤولية
٢٠	فاطمة أم علي تدعى إلى داخل الكعبة
٢١	علي (ع) والد ومولى وأجير هذه الأمة

الفصل الثاني

٢٣	علي (ع) معصوم بإجماع الأمة
٢٤	أعلمية علي (ع) من الأمور المسلّمة واليقينية
٢٤	تقديم المفضول على الأفضل قبيح
٢٥	جهنم لأعداء الإمام علي (ع)
٢٥	إشراق وجه الحميري عند الوفاة

٢٦	الحسنة المطلقة في حب علي (ع)
٢٧	كلام هارون الرشيد مع علماء السنة
٢٨	الخطيب الدمشقي ، كلب في السجن
٢٩	صاعقة على الخطيب المسوخ
٢٩	هلاك مُرَّة بن قيس الكافر
٣٠	القَسَم الكاذب عند قبر العباس (ع)
٣١	علي (ع) بيده مفاتيح الجنة والنار
٣١	علي (ع) على الصراط
٣٢	سقي ماء الكوثر من قبل الله

الفصل الرابع

٣٣	الأئمة كلهم من قريش
٣٤	أنوار الأئمة في ليلة المعراج
٣٤	العتره لا تفترق عن القرآن
٣٥	أجر الرسالة محبة أهل البيت (ع)
٣٥	محبة أهل البيت لمصلحتكم
٣٦	أفضل الناس يأكل مع الرسول (ص)
٣٧	آية التطهير تكشف عن المختار الألهي
٣٧	عصمة أئمتنا من المسلّمات
٣٨	نموذج من عدالة الإمام (ع)
٣٨	عقيل والحديدية المحمّاة
٣٩	رعاية الأيتام ديدن الإمام علي (ع)
٤٠	يعطي الرمانتين للمريض
٤١	عيادة الفقراء والمرضى والإحسان إليهم

الفصل الخامس

٤٣	التصريح بإمامة اثني عشر شخصاً
----	-------------------------------

٤٣	لا بد للإمام من معجزة كما للرسول (ص)
٤٤	ضرورة أفضلية الإمام
٤٤	التصدق بالخاتم وسام فريد
٤٤	الوصف بدل التصريح بالإسم
٤٥	التأكيد في إبلاغ الولاية لعلي (ع)
٤٥	نزل العذاب عليه كما أراد
٤٦	الصراط المستقيم هو صراط علي (ع)
٤٧	علي (ع) هو الشاهد والأذن الواعية
٤٧	علي (ع) وأولاده هم أولوا الأمر
٤٨	لا يمكن للسلطان الجائر أن يكون من أولي الأمر
٤٨	التعبير البليغ أحسن من التصريح

الفصل السادس

٥١	الولاية المتفق عليها عند الأمة
٥٢	بغض علي (ع) نفاق
٥٢	الحب الخالص لا يجتمع مع غيره
٥٣	كثرة الشركاء وقلة السهام
٥٣	ابن ملجم يصل إلى علي (ع) قادماً من اليمن
٥٤	حديث الإمام مع ابن ملجم المرادي
٥٤	حب علي (ع) أو حب الشهوات
٥٥	الإمتحان الصعب المصيري
٥٦	قتل الإمام (ع) مهر لفاحشة !
٥٦	الجن يرمون قاتل علي (ع) بالحجارة
٥٧	الرفاق الثلاثة والتخطيط العجيب
٥٧	الإستعداد لقتل علي (ع)

الفصل السابع

٥٩	كونوا مع الصادقين
٦٠	الصادق المطلق وليس النسبي
٦٠	سفينة نوح
٦١	الصادقون هم الأئمة الإثنا عشر
٦١	الإعتصام بالجليل الإلهي
٦٢	المعجزة عند أدعاء الإمامة
٦٢	ردّ الشمس في صَفَيْن
٦٣	ردّ الشمس لمادح علي (ع)
٦٣	المعجزات التي لا تحصى
٦٤	قبور الأئمة مركز الرحمة الألهية
٦٤	كتابة ابن بطوطة عن قبر الإمام علي (ع)
٦٤	تربة الحسين الدواء الحقيقي
٦٥	بحر النجف مكان لإخفاء قبر الإمام علي (ع)
٦٥	هارون الرشيد والصيد في النجف
٦٦	عقاب المتعرّض بسوء لزوار الإمام علي (ع)

الفصل الثامن

٦٩	وصايا علي (ع) في آخر يوم من حياته
----	---

المعاني

الملحقات

تأليف
السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة
أحمد القبانجي

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين .
أخي أيها القارئ العزيز :

يسرنا أن نقدم لك هذا الكتاب القيم من نتاج الشهيد المبرور آية الله دستغيب ،
والذي تدور بحوثه حول موضوع من أهم موضوعات العقيدة الإسلامية . . المعاد ، وأهمية
هذا الموضوع تظهر في أنه ليس بحثاً تجريدياً فلسفياً بقدر ما هو بحث حيوي عملي محرك ، لما
للمعاد من دور فاعل في التزام المؤمن طريق الحق والعروج منه إلى رضوان الله تعالى الأكبر ،
وهذا يعني أنه يساهم في إغناء المسيرة الإسلامية المظفرة ويدفعها قدماً إلى الأمام في الطريق
الصحيح ، مثلما هي كتابات الشهيد دستغيب ، رضوان الله عليه .

لذا فإننا نأمل أن ينال رضى إخواننا المجاهدين وينفعهم ، وقبل ذلك فإننا نرجو أن
يكون جهداً مقبولاً عند الله تعالى . . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

■ الموت ■

المعاد من مادة العود ويعني الرجوع ، حيث أنه يتم ارجاع الروح مرة أخرى إلى البدن .

والمعاد من الأصول الاعتقادية المقدسة في الإسلام فيجب الاعتقاد بأن كل شخص سوف يبحث بعد موته إلى الحياة مرة أخرى لينال جزاء عقيدته وعمله .

وليس بالإمكان ادراك المعاد ومقدماته من الموت والقبر وعالم البرزخ ثم القيامة الكبرى ونهاية الجنة أو النار بهذه الحواس الظاهرية . مع أن أصل المعاد ثابت بدليل العقل كما سيأتي ، إلا أنه من المستحيل أن يستطيع الإنسان لوحده أن يفهم حوادث ما بعد الموت لأن إدراكات كل شخص في أي مقام كانت محدودة بحدود ذلك المقام فقط فمثلاً من المستحيل على الطفل الذي يعيش في عالم الرحم أن يفهم كيفية العالم الخارجي ومظاهره ومن المحال أن يدرك الفضاء غير المتناهي والكائنات التي فيه .

وهكذا الإنسان الذي يعيش في عالم الملك والذي هو أسير المادة والطبيعة ، كيف يمكنه أن يفهم عالم الملكوت الذي هو باطن عالم الملك ومتناه بعد الخلاص من هذا العالم .

وعلى أي حال ، فالأمور التي تختص بعوالم ما بعد الموت ، تعتبر من الأمور الغيبية بالنسبة إلى عالم الدنيا ، ولا طريق إلى معرفتها إلا بالتصديق بما أخبرنا به تعالى عنها . إذن فلو أن أحداً ادعى بأنه من المستبعد عقلاً أن يحدث بعد الموت الشيء الفلاني فإن

كلامه يكون غير منطقي وغير مقبول ، لأن خصوصيات ذلك العالم لا ربط لها بالعقل ، فلو أن العقلاء بأجمعهم اتفقوا وتعاونوا لما فهموا شيئاً مما يحدث في العالم الآخر والشيء الموجود هو ما أخبرنا به القرآن الكريم وما ورد عن محمد وآل محمد (ص) وصدقنا به أيضاً ، لأن أولئك العظماء معصومون وهم أهل بيت الوحي وأهل البيت ادرى بالذي فيه .

هل يتكلم الميت ؟

فاتضح مما تقدم ، بطلان تلك الشبهات التي يلقيها بعض الجهلاء حيث يقولون إن بدن الإنسان يصبح بحكم الجهاد بعد موته كالخشبة اليابسة فما معنى السؤال والجواب في القبر فلو ملأنا فم الميت بشيء ثم جئنا غداً ونبشنا قبره ونظرنا إليه لما وجدنا شيئاً قد خرج من فمه (وسوف يتضح جواب هذه الشبهة) .

فهذه الاشكالات ناشئة من الجهل بالآخرة ، وأمور الخلقة ، وعدم الإيمان بالغيب وهذا الاستغراب دليل على قلة العلم والفهم حيث يتصدر أن النطق مختص باللسان فقط وليس للروح نطق - وإن الحركة تتعلق بقدم الحيوان وليس للأرواح حركة ، في حين أنه بنفسه يتكلم في المنام في كل ليلة دون أن يتحرك له لسان أو شفة ودون أن يسمعه من يجلس بقربه ، وهكذا يتحرك ويسير دون أن يتحرك جسده من فراشه .

نقطة الأحلام

يقول الامام موسى بن جعفر^(١) : إن بعض الأنبياء دعا قومه إلى الله فقالوا : إن فعلنا ذلك فما لنا ؟ فقال : ان فعلتم فالجنة وإلا فالنار ثم وصفهما لهم فقالوا : متى نصير إلى ذلك ؟ فقال : إذا متم . فقالوا : قد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً . فأحدث الله فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك فقال : إن الله عز وجل أراد أن يحتج عليكم بهذا هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان .

(١) دار السلام - ص ١٤ .

عدم القبول من عدم الغالبية

كثرة المحتملات من لوازم العقل . « فإنما يعرف عقل الرجل بكثرة احتمالاته يعني أنه يحتمل الصحة في كل ما يسمعه من الأخبار مع إمكان وقوعه عقلاً ويتيقن من صحة الخبر إذا كان المخبر هو المعصوم (ع) . أما القليل العقل والجاهل فإنه يقول ما هذا الكلام » والرفض دليل على قلة العقل والاستعداد الذهني حيث لا يمكن إدراك ما وراء الطبيعة فهو كالحيوان ذي القدمين الذي تكون ادراكاته محدودة بحدود الأكل والنوم والجماع مع الجنس الآخر ، ومن المعلوم أنهم لو قالوا للحمار أو البقر انه سوف يأتي بعد الموت ملك أو أن هناك سؤالاً وجواباً في القبر فإنه لا يمكنه التصديق بذلك لأن ادراكه لا يتجاوز حدود بطنه وفرجه ، كما أن قبول هذه الأمور الغالية والتصديق بها علامة الكمال وسعة الأفق والادراك في الروح .

ولا يقتضي شرح مسألة المعاد بالتفصيل أن نذكر الأحداث التي تقع بعد الموت من البداية إلى النهاية بأجمعها والتي وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام .

المنزل الأول - الموت

حقيقة الموت هو انفصال الروح عن البدن . وقد ذكروا عدة تشبيهات لكيفية ارتباط الروح بالجسد فقال البعض : انهما كالسفينة والملاح فالموت هو الذي يخرج السفينة من سلطة الملاح . فانت تقول : قدمي ، ويدي ، وعيني فأنا غير اليد والرجل والعين والأذن . فعندما تقول ذهبت فهو وان كان يعني أن الذهاب هو أنت ، إلا أن أقدامك هي التي ذهبت وذهبت معها وأنت غير تلك الأقدام . وتقول رأيت وسمعت وقلت . فهذه الأمور كلها ترجع إلى شخص واحد ، وهذا الشخص هو الروح الشريفة التي تظهر من خلال هذه المظاهر ، فالروح هي التي ترى وتسمع ولكن من خلال منافذ العين والأذن . إذن فالناظر هو الروح وهذه العين هي اداة للنظر ، والروح هي السراج المضيء في ظلمات الجسد ، والتي تبعث بضوئها بواسطة العين والأذن وسائر الحواس الأخرى .

فالموت يعني انتقال هذا السراج من مكان لآخر - مثلاً لو افترضنا وجود قنديل مضيء في أحد الأكواخ يث بنوره من خلال منافذ وثقوب موجودة في جدران الكوخ فلو أخرجت

القنديل من ذلك الكوخ لحل فيه الظلام ، فالموت يعني اخراج هذا السراج من الجسد .

ويجب أن نعلم بأن علاقة الروح بالبدن لا تكون تابعة من الحلول يعني أن الروح تكون داخل البدن ، كلا ليس كذلك ، لأن الروح جوهر مجرد وليست بجسم فليس لها دخول وخروج ، لكنها مرتبطة فقط بالبدن بنحو من أنحاء الارتباط ، وتهتم بالبدن بصورة كاملة . والموت يعني قطع العلاقة مع البدن .

ويجب أن نعتقد بان الموت يكون بإذن الله تعالى ، فالذي جعل تلك الرابطة بين الروح والبدن في بطن الأم حتى اليوم الآخر هو نفسه الذي يقطع تلك العلاقة والرابطة ، فالله عز وجل هو المميت ولكن نجد أن بعض البسطاء والعوام يكرهون عزرائيل ويعادونه لكنهم لا يعلمون انه لا يفعل أمراً من عند نفسه بل هو مأمور من قبل رب العالمين .

كيفية قبض الروح

ورد في ضمن روايات المعراج الواردة في كيفية قبض الروح ما حاصله : إن هناك لوحاً موضوعاً بين يدي عزرائيل وقد كتب عليه أسماء جميع الناس ، فكل من جاء أجله يمحي اسمه عن ذلك اللوح ويقبض عزرائيل أرواحهم فوراً ، ولا عجب من ذلك ، فمثله كالريح التي تطفئ ألف شمعة في وقت واحد ، فالجميع يرجعون إلى الله عز وجل . ومع أن عزرائيل هو الذي يقبض الروح ، إلا إن المميت في الحقيقة هو الله عز وجل ويتضح من هذا البيان ما ورد في القرآن الكريم من نسبة قبض الروح إلى الله عز وجل تارة ونسبته إلى عزرائيل تارة أخرى ، وفي مكان آخر ينسبه إلى الملائكة من أعوان عزرائيل فهذه النسب الثلاثة صحيحة ، لأن عزرائيل وأعوانه انما يقبضون الأرواح بأمر من الله عز وجل ، كما في فتح السلطان للبلدان الأخرى بواسطة الجيش ، فعندما يقال إن الملك الفلاني قام بذلك العمل فهو صحيح ، فالفتاح في الحقيقة هو الملك الذي يأمر ذلك الجيش ويقوم بتدبير أموره وقد ذكرنا هذا المثال لتقريب المعنى إلى الذهن وإلا فالمطلب أعلى من ذلك ، وعلى كل حال ، فإن الله عز وجل هو الذي يقبض الروح ، ولكن ينبغي الالتفات إلى أن الله عز وجل قد جعل أمور الدنيا تجري بأسبابها ، ومن جملة تلك الأمور هو الموت فقد عين له أسباباً كالسقوط من السطح أو المرض والقتل وغيرها ومعلوم أن هذه هي

أسباب ظاهرية فقط ، وإلا فكم من المرضى بأشد أنواع المرض ومع ذلك فهم لا يموتون ، إذن فهذه الأمور لوحدها لا توجب الموت ، ويقبض الله عز وجل بروح عندما ينتهي أجل الإنسان ويتم عمره ، وإلا فكم من الأشخاص ماتوا وهم في كمال الصحة والعافية ؟

والشيء الآخر الراجع إلى ملك الموت هو أن له اشكالاً متعددة عندما يأتي لقبض روح المحتضر ، فقد ورد في الرواية أن ابراهيم (ع) طلب من عزرائيل أن يُريه شكله عندما يأتي لقبض روح الكافر ، فقال : لا طاقة لك بذلك . فقال (ع) أريد أن أرى ذلك ، فأراه عزرائيل نفسه على تلك الهيئة حيث شاهد ابراهيم رجلاً أسود اللون وقد نفش شعره ويلبس ثياباً سوداء ورائحته كريهة وتخرج النار والدخان من فمه وأنفه فأغمي على ابراهيم ، ولما رجع إلى حاله قال : لو لم يكن للكافر عذاب سوى رؤيتك لكفى . والعكس كذلك بالنسبة للإنسان المؤمن .

أما الشياطين فإنها تجلس عن يسار المحتضر والملائكة عن يمينه وعمل الشياطين هو الاغواء خصوصاً أثناء الموت ليمكنوا من سرقة إيمانه لو كان ، لأن أواخر العمل هي ميزان السعادة والشقاء فكما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون . فأنت تموت على ما تتمناه أثناء الموت فلو كانت أمينتك أن ترى جمال علي (ع) فإن جماله يكون أنيسك في ذلك الوقت ، أما لو كانت أمانيك هي الأهواء والشهوات فإنها سوف تبلغ الذروة في ذلك الوقت .

أما أهل الإيمان وقد وعد الله عز وجل أن يحفظهم في ذلك الوقت فليس للشيطان إليهم سبيل ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (١) وقد قيل لأبي زكريا الرازي عند موته قل « لا إله إلا الله » لكنه قال ، لا أقول ذلك ثم اغمي عليه ، ولما أفاق قال كان أحداً جاء إليّ وهو يقول : إذا أردت أن تكون من أهل السعادة فقل عيسى ابن الله . فقلت : لا أقول . وبعد الاصرار الشديد قال : قل لا إله إلا الله ،

(١) سورة إبراهيم / ٢٧ .

فقلت بما أن القائل أنت فلذلك لا أقول . فالتقى بحربة كانت معه ، فالآن أقول كلمة الحق ثم أن تشهد الشهادتين وفارق الدنيا .

فالإنسان الذي كان مؤمناً موحداً طيلة عمره كيف يمكن للشيطان أن يستولي عليه أثناء موته . نعم إذا كان قد قضى عمره في طاعة الشيطان فانه سوف يكون أنيسه في تلك الساعة أيضاً .

«سهولة وصعوبة تسليم الروح»

صرحت الروايات الواردة بصعوبة تسليم الروح وقد ورد تشبيهه في بعضها بسلخ الجلد عن البدن في حال الحياة ، وفي البعض الآخر بأن وضع حجر المطحنة أو مسمار باب القلعة في العين ودروانه فيها أسهل من سكرات الموت وفي بعض الروايات الأخرى ورد تشبيه صعوبته بالبدن الذي يقرض بالمقاريض أو ينشر بالمناشير . وقد يلاحظ على بعض المحتضرين انهم يقاسون الأماً شديدة لا تطاق ، وقد يكون الموت بالنسبة إلى بعض الأشخاص وكأنه يشم أعطر الورود .

وقد ورد في بعض الروايات بأن الموت يشبه تغيير اللباس المتسخ باللباس الجديد ، وفي الروايات الأخرى بانه يشبه رفع القيود والسلاسل عن البدن ، فيعني أن الموت هو التخلص من سجن المادة والطبيعة .

وبصورة عامة فإن كل واحد من هذين القسمين لخروج الروح ليس أمراً كلياً ، بل وحتى المؤمنين من الناس قد لا يكون موتهم بسهولة حيث أن هناك الكثير من المؤمنين الذين شملهم الله عز وجل بلطفه ومحا بعض ذنوبهم المتبقية بالآلام الموت ، فمع أنه يموت على الإيمان إلا أنه يجب أن يكون طاهراً ونظيفاً ، أما بالنسبة إلى الكفار فإن الموت يكون مقدمة للعذاب وباباً إلى النار .

وقد يكون موت بعض الكفار أو الفساق سهلاً فمع أنه من أهل النار إلا انه قد يكون عمل في أحد الأيام خيراً فلذلك يهون موته ليتم تصفية حسابه في هذه الدنيا فمثلاً قد يكون سهولة موته أنفق مالاً أو أعان مظلوماً في أحد الأيام حتى يأتي يوم القيامة وليس له

على الله شيء . كما أن المؤمن قد يجد صعوبة شديدة في تسليم الروح من أجل تطهيره من الذنب . ففي الحقيقة يكون الموت بالنسبة إلى الكافر أول البلاء ، سواء كان سهلاً أو صعباً وأما بالنسبة إلى المؤمن فيكون الموت نعمة وسعادة سهلاً كان أو صعباً .

فعلى هذا لا تكون هناك عمومية وشمول لسهولة الموت أو صعوبته بالنسبة إلى المؤمن أو الكافر إطلاقاً .

وهناك حديث شريف في المجلد الثالث من البحار هو أن رسول الله (ص) جاء يوماً إلى عيادة ابن عمه علي بن أبي طالب (ع) حيث كان يشكو من ألم شديد في عينه بحيث جعله يئن من فرط الألم مع أن أمير المؤمنين (ع) كان جبلاً في الصبر ، فأخبره رسول الله (ص) بخبر مخيف جعله ينسى آلام عينه فقال (ص) : يا علي : « ان ملك الموت إذا نزل ليقبض روح الكافر نزل ومعه سفود من نار فنزع روحه به فتصبح جهنم ، فاستوى علي (ع) جالساً فقال يا رسول الله أعد عليّ حديثك فقد انساني وجعي ما قلت . ثم قال : هل يصيب ذلك أحداً من أمتك ؟ قال : نعم ، حاكم جائر وأكل مال اليتيم ظلماً وشاهد زور^(١) .

وعلى كل حال فأننا سوف نلاقي نتيجة أعمالنا في شدة الموت أو سهولته . ولا سمح الله قد يخرج الإنسان من الدنيا وهو فاقد الإيمان بسبب سوء أفعاله .

وذكروا في كتب المواعظ عن حالات فضيل اياز التائب المشهور بأنه مرض أحد تلامذته بمرض الموت ، فجاء فضيل مع آخرين لعيادته وبدأ فضيل بقراءة سورة يس فصاح به هذا المريض أن يكف عن القراءة وقال لا أريد أن تقرأ القرآن مع انه قضى عمره في الذهاب إلى المسجد والمدرسة ومجالس العبادة وكان من القارئ للقرآن إلا انه يقول الآن لا تقرأ القرآن ولم يتشهد الشهادتين ومات في ذلك المجلس .

وقد تأثر فضيل من تلك الحادثة بشدة وجلس في أحد زوايا البيت ولم يخرج منه إلى

(١) البحار ، ج ٦ ، ص ١٧٠ والكافي ٣ / ٢٥٣ .

أن رأى الروح الخبيثة لذلك التلميذ في المنام وسأله عن سبب سوء عاقبته فقال بأن ثلاثة أمور كانت في نفسي وجعلتني أخرج من الدنيا عديم الإيمان الأول هي الحسد حيث لم أكن أتمكن من رؤية أحد أفضل مني . أجل فان « الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب »^(١) .

الثاني : أنه كان نماماً ، يعني أنه كان يفرق بين الزوج وزوجته ويؤجج بينهم العداوة فلو أن أحداً شتم آخر في غيابه فلا يجوز لك أن تنقل له الخبر بأن الشخص الفلاني قد شتمك ؟ ! بل العكس هو الصحيح بأن تقول له بأن الشخص الفلاني يمدحك في غيابك فالكذب في هذه المواضع جائز لأنه يؤدي إلى الإصلاح بينهما ، وهذا على عكس الشخص النمام الذي هو أقبح العيوب فهو إضافة إلى انه يوجب زيادة الخبث والنفاق فهو يوجب سلب راحة ذلك الشخص الذي نقل إليه الخبر ويتلوث قلبه ويسبب الفتنة التي هي أشد من القتل .

والثالث انه كان يشرب الخمر .

أجل . فهذه الذنوب الكبيرة الثلاثة كانت السبب في أن يخرج الشخص العالم والفاضل والمدرس وغيره من الدنيا وهو فاقد الإيمان .

حب الموت

والامر المهم الذي يجب أن يفهم هو حب لقاء الله عز وجل ، يعني أن المؤمن لا ينبغي له أن يجزع من الموت ويخاف منه وهذا لا يعني أنه عليه أن يتعنى الموت أو ينتحر لا سمح الله لأنه ما دام في هذا العالم فانه يمكنه التوبة من الذنوب وتطهير نفسه ويزيد من حسناته ولكن عليه أن يفهم بانه متى أراد الله عز وجل موته فان ذلك يكون نعمة له ، لأنه لو كان من المطيعين فانه سوف يصل إلى دار الثواب أسرع ويسعد بنيل جزاء حسناته وأعماله وان كان من أهل المعصية فان الموت يحد من تمادي ذنوبه فتقل بذلك عقوبته .

وعلى كل حال فانه يجب على العاقل أن يحب الموت في الوقت الذي يريد الله

(١) أصول الكافي : ٣٠٦ / ٢ .

تعالى ذلك لأنه الطريق الوحيد للوصول إلى السعادة الكاملة يعني الخلاص من دار الغرور والوصول إلى دار السرور والقدوم على بساط الحق تعالى والحضرة الالهية ولقاء الأحبة الحقيقيين يعني رسول الله (ص) وآله الطاهرين عليهم السلام وسائر الأرواح الشريفة للأخيار والصالحين .

وكذلك عليه أن يحب تأخير الموت وطول العمر بالمقدار الذي يريد الله تعالى ذلك لأنه يمكنه بذلك أن يستعد أكثر لتهيئة مقدمات هذا السفر المبارك والطويل .

التعلق بالدينا مذموم عقلاً وشرعاً :

أما كراهة الموت وحب البقاء في الدنيا للتلذذ بنعيمها وزخرفها كما هو حال أكثر الناس فهو خطأ ومرفوض عقلاً وشرعاً .

أما عقلاً فاولاً لاستحالة الحصول على السعادة المطلقة في هذا العالم فما لم يواجه مئات المشاكل لا يمكنه أن يحصل على لقمة الخبز فأى سعادة في هذا العالم لا تكون محاطة بالألم والشقاء ؟ فلو كانت السعادة في الشباب فانه مواجه في وصوله إلى مرحلة الشيخوخة والهرم الحتمي . ولو كان في الصحة والسلامة التي هي شرط أساسي للالتذاد بأي شيء في هذا العالم فانها مهددة في كل لحظة بأنواع الأمراض المختلفة . ولو كانت في الأموال وسيلة للوصول إلى الملذات فانه لا يتم الحصول عليها إلا بآلاف المشاكل والعقبات ويكون مصحوباً ومحاطاً بآلاف الأخطار ، ولو كانت في المقام والمنصب فانه قرين المصائب العديدة ، اضافة إلى انها جميعاً معرضة للزوال والغناء دائماً .

حب الدنيا من صفات الكفار ورأس كل خطيئة :

أما شرعاً فقد اعتبر القرآن الكريم حب الدنيا من صفات الكفار فقال ﴿ رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾^(١) وكذلك قال : ﴿ ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾^(٢) . وقال في حق اليهود : ﴿ يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة ﴾^(٣) والآيات القرآنية الواردة في

(١) سورة يونس / ٧ .

(٢) سورة التوبة / ٣٨ .

(٣) البقرة / ٩٦ .

هذا الباب كثيرة وكذلك الأخبار والروايات فانها لا تعد ولا تحصى ويكفي الحديث النبوي المشهور بان « رأس كل خطيئة حب الدنيا »^(١).

كراهة الموت والبكاء على الأقرباء :

وقد علم مما تقدم بأن حب البقاء في الدنيا وكراهة الموت من أجل التلذذ بها وان الموت سوف يحول بينه وبين ما يحب منها مرفوض عقلاً وشرعاً . أما لو كانت كراهته للموت وطلب تأخيرهِ من أجل التهيؤ لسفر الآخرة أكثر وبما أن سجلات أعماله سوف تطوى بالموت فلذلك يحب أن يتأخر موته لكي يستفيد أكثر فانه حسن جداً .

أما موت الأقرباء والأصدقاء ، فكراهة ذلك والجزع لموتهم إذا كان بسبب الماديات فانه خطأ وقبيح فمثلاً يكون بكاؤه عليه من أجل مذاقه لملذات هذا العالم أو أنه وجد نفسه محروماً من الملذات والمنافع التي كان يحصل عليها بسببه ، أما لو كان بسبب فراقه وغيبابه كما لو انفصل أحد المسافرين عن قافلته وأصحابه ليصل أسرع إلى موطنه الطبيعي فان الآخرين سوف يتألمون لذلك حتماً فلو كان تأثره من هذا القبيل فهو حسن جداً بل مستحب شرعاً للمؤمن المصاب بفراق أحد الأجزاء أن يبكي لفراقه خصوصاً إذا كان وجود ذلك المؤمن معيناً له على الاستعداد لسفر الآخرة .

الجزع نتيجة الغفلة عن الآخرة

وبما أن أكثر الناس وخصوصاً النساء مصابون بحب الدنيا فلذلك نجدهم يتألمون كثيراً عندما يموت أحد أقربائهم ويصابون بالانهيار ويتجاوز جزعهم ونفاذ صبرهم الحدود كمن يريد البقاء في الدنيا دائماً وكان الشخص الذي يموت قد أصبح معدوماً فلو كان يعلم بأن هذا الميت انما هو مسافر وقد وصل إلى وطنه وسوف يلحقه هو أيضاً عما قريب فانه سوف لا يجزع بتلك الصورة .

الإمام الصادق (ع) يرى في أحد الأيام رجلاً قد مات ابنه وقد جزع لذلك جزعاً شديداً ونفذ صبره فقال له الإمام (ع) :

(١) أصول الكافي : ٣١٥ / ٢ .

« جزعت للمصيبة الصغرى وغفلت عن المصيبة الكبرى . لو كنت لما صار إليه
ولذلك مستعداً لما اشتد عليك جزعك فمصائبك بترك الاستعداد أعظم من مصائبك
بولدك » .

وعلى العموم فإن حالة المؤمن بالنسبة إلى الموت يجب أن تكون كحالة من كان في
خدمة السلطان مدة من الزمان وأخبروه بأنه سوف يطلب السلطان احضارك في وقت غير
معين لتحصل على جزاء خدماتك منه ولينعم عليك بجوائزه ، فطبيعي أن يفرح هذا
الشخص لهذه البشارة ولكنه يجب أن يتأخر احضاره ليمكنه أن يؤدي خدمات أفضل ويعمل
أكثر لاكتساب رضا السلطان وعطفه ومحبته ، فكذلك المؤمن يكون مسروراً من واقع
الموت ، الذي هو الوصول إلى دار الثواب ، ولكنه يجب تأخيرهِ أيضاً ليعبد الله عز وجل
أكثر ، وفي نفس الوقت يكون راضياً وسعيداً في أي لحظة تعلقت المشيئة الالهية بموته
وقد حسن ظنه برب العالمين وشوقاً إلى لقاء احبائه محمد (ص) وأهل بيته عليهم
السلام .

حضور أهل البيت ع في حال الاحتضار :

ذكر في الكثير من الروايات بأن محمداً (ص) وعلياً (ع) وفي روايات أخرى
الخمس الطيبين مع فاطمة والحسن والحسين (ع) وفي الروايات المعصومين الأربعة
عشر (ع) يحضرون عند المؤمن ساعة احتضاره وطبعاً فإن حضورهم يكون بالاشكال
النورانية والأجسام المثالية . (والتي سوف نذكرها في ما بعد) .

كان أحد أصحاب الإمام الرضا (ع) قد حضرته الوفاة فحضر عنده الامام
الرضا (ع) وبينما كان مغمض العينين وفي سكرات الموت قال بعد حديث له مع الإمام :
« السلام عليك يا بن رسول الله هذا شخصك مائل لي مع أشخاص محمد ومن بعده من الأئمة عليهم
السلام ، وقضى الرجل (١) » . وعلى كل حال فإن من الأشياء المسلمة هو أن كل إنسان سوف يلاقى
أهل البيت ساعة الوفاة ويتفجع بذلك على قدر معرفته ومحبته لهم .

(١) بحار الأنوار : ج ٦ ، ص ١٩٥ وراجع الكافي ٣ / ١٢٧ - ١٣٥ .

وقد جاء في الحديث المشهور عن الإمام أمير المؤمنين (ع) في قوله إلى الحارث الهمداني : « ولا يموت عبد يحبني إلا رأيته حيث يحب ولا يموت عبد يبغضني إلا رأيته حيث يكره »^(١) .

أجل ، فان ذلك سوف يكون نعمة بالنسبة للمؤمنين وتكون لذة مشاهدة جماله الجذاب أعظم من كل لذة . وبالنسبة إلى الكافر والمنافق فانه يكون مظهراً للغضب الالهي .

الأخبار بعد الموت

بعد أن يتم قبض الروح فان الروح سوف تخرج فوق الجسد ثم يصعد بروح المؤمن إلى السماء ويلقى بروح الكافر إلى أسفل السافلين وعندما تحمل جنازته ينادي المؤمن أسرعوا في ايصالي إلى منزلي أما لو كان كافراً فانه يقول لا تعجلوا بي في ارسالي إلى القبر .

أما عند التغسيل فان كان مؤمناً فسوف يجيب على سؤال الملك الذي يسأله : هل تحب الرجوع إلى دار الدنيا ؟ فيقول : كلا لا أريد الرجوع إلى التعب والشدة .

وتكون روح الميت حاضرة عند تشييع الجفازة وأثناء الغسل حيث ترى الغاسل وتشاهد المشيعين وتسمع أحاديثهم لذلك ورد الأمر بتقليل القيل والقال والكلام عند أطراف الجفازة ، وتقليل الذهاب والمجيء . والاشتغال بذكر الله وتلاوة القرآن .

وبعد أن يتم دفنه تحصل للروح علامة أخرى بالجسد كما يستفيد بعض المحدثين ذلك من الأخبار والروايات . فعندما يسمع كلام المشيعين ويفهم بأنهم تركوه وحيداً وغريباً فسوف يتألم لذلك .

(١) بحار الأنوار : ج ٦ ص ١٩١ وورد في نفس المعنى بالفاظ متقاربة عن عَباة الأسدي عن علي (ع) فراجع الكليني ٣ / ١٣٢ .

وأول بشارة تعطى إلى المؤمن في قبره هو أن الله تعالى قد غفر لك ولجميع من شيع جنازتك^(١) .

وأيضاً على المؤمنين أن يلتفتوا إلى مراعات المراسم الدينية والمستحبات الشرعية أثناء الاحتضار والمسل والتكفين والدفن خصوصاً ما يستحب لولي الميت من الرجوع إلى الميت بعد ذهاب المشيعين وتلقيه وهو التلقين الأخير حيث أنه يتم تلقيه قبل ذلك مرتين واحدة عند احتضاره والثانية عند دفنه .

السؤال والجواب في القبر

ومن جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها وهي من ضروريات مذهب التشيع « سؤال منكر ونكير في القبر حق » فالقدر المتيقن هو أن يعتقد الشخص اجمالاً بحصول السؤال والجواب في القبر . ولكن بأي شكل يكون ذلك ؟

هل يكون المعاد بالجسم المادي أو يكون بالجسم المثالي ؟

وهل يكون السؤال والجواب مثلاً في هذا القبر الترابي أو انه يتم السؤال من الروح ويتأثر الجسد بذلك بواسطة الرابطة التي تربطه مع الروح ؟ أو انه يكون بصورة أخرى فيما لو أمكن تصورهما ؟ ولكن هذه الأمور لا تهمنا لأن معرفة التفاصيل في مثل هذه الأمور غير ضرورية ، وأيضاً لا طريق إلى ذلك سوى الأخبار والروايات ولم يرد التصريح بذلك فيها ، نعم ذكر العلامة المجلسي في المجلد الثالث من البحار وفي كتاب حق اليقين بأنه يظهر من الأحاديث المعتبرة بأن السؤال وضغط القبر يكون على البدن الأصلي وترجع الروح إلى بعض أجزائه (يعني إلى الصدر أو الوسط كما في بعض الروايات) بحيث يمكنه أن يفهم الكلام والسؤال والجواب .

والشيء الذي يجب أن نعلمه هو عن أي شيء يكون السؤال ؟^(٢) ففي القبر يسألون

(١) عن أبي عبدالله (ع) قال : « أول ما يتحف به المؤمن يغفر لمن تبع جنازته » ، الكافي : ٣ / ١٧٣ وبهذا المعنى في المتن وردت رواية عن الباقر (ع) فراجع نفس المصدر ص / ١٧٢ .

(٢) راجع حول سؤال القبر الكافي ٣ / ٢٣٥ وما بعدها .

الميت عن عقيدته وأعماله حيث يقولون له من هو ربك ؟ ومن هو نبيك وأي الأديان دينك ؟ وهذه الأسئلة توجه إلى المؤمن والكافر على السواء إلا إذا كان طفلاً لم يبلغ الحلم أو المجانين والسفهاء ، فلو كان ذا عقيدة حقة فانه سوف يذكر لهم عقائده ويشهد بوحدانية الخالق جل وعلا ورسالة خاتم الأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام وإلا فان لسانه سوف يصاب باللكنة فالبعض قد يقول للملكين من شدة الخوف انتما ربي ، وقد يقول أن الناس يقولون محمد رسول الله (ص) والقرآن كتاب الله وهذا يعني أنه لم يتمكن من اداء الجواب .

والخلاصة فلو تمكن من الجواب على تلك الأسئلة بصورة صحيحة فانه سوف تفتح له باباً إلى الأعلى ويوسع له في قبره مد البصر - يعني أنه سوف يكون في عالم البرزخ في راحة ورفاهية إلى قيام القيامة ويقال له : نم نومة العروس^(١) . أما لو لم يتمكن من الجواب فانه سوف يُفتح له بابٌ إلى جهنم البرزخية ويشتعل قبره ناراً بنفخة من نفخاتها .

ما هي فائدة السؤال والجواب في القبر ؟

لما كان الله تعالى يعلم المؤمن من الكافر والصالح من الطالح . إذن لماذا السؤال والجواب في القبر ؟

السؤال والجواب في القبر هو بداية النعمة بالنسبة للإنسان المؤمن . فكم يكون مسروراً وسعيداً عندما يرى الملكين بتلك الصورة الجميلة ويشم منها رائحة أزهار الجنة وعطورها فلذلك كان اسمها بالنسبة للمؤمن المبشر والبشير .

والشيء الآخر هو أن المؤمن يفرح من نفس السؤال والجواب وقد شاهدتم أولاد المدارس كيف يكونون مسرورين بالسؤال منهم فيما لو كانوا قد اتقنوا دروسهم وحفظوها ويفخرون بالجواب عنها . فكذلك يفرح المؤمن عندما يسألونه عن ربه لكي يجيبهم بكمال اليقين والاطمئنان ويخبرهم عن وحدانيته ويشهد على نبوة رسوله وحببيه .

وفي الوقت الذي يكون فيه السؤال والجواب نعمة للمؤمن ويبعث على سروره وفرحه

(١) ن . م ص ٢٣٨ .

ويكون بداية راحته فانه يكون بالنسبة للكافر بداية عذابه وشقائه فمجيء الملكين يخيف الكافر جداً^(١) وقد جاء في الروايات أن صوت قدومهم كالرعد وتخرج النيران من عيونهم ويغطيهم الشعر مع وجوه موحشة حيث يقابلون الكافر على تلك الصورة فلذلك كانا اسمهما بالنسبة للكافر منكراً ونكيراً .

والشخص الذي لم يكن مع ربه طيلة عمره ولم يعرف خالقه فسوف يكون مصيره معلوماً عندما يسألونه عن ربه ، فقد كان ربه طيلة حياته هو المال والشهرة وحب الرئاسة ولم يكن يهتم لخالقه يوماً من الأيام فلذلك يضطرب ولا يستطيع الجواب . وقد يتمكن البعض من الجواب عن ذلك إلا انه يتوقف في الجواب عن الرسول والبعض الآخر لا يتمكنون من الجواب عن بقية العقائد الحقة ، وقد يستطيع البعض من الجواب عن المسائل العقائدية إلا انه لا ينجح في جواب الأعمال .

السؤال عن الأعمال

ورد في المجلد الثالث من البحار عن الإمام الصادق (ع) انه قال : اقعد رجل من الأخيار في قبره فقبل له : انا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله . فقال : لا أطيعها ، فلم يزالوا به حين انتهوا إلى جلدة واحدة فقالوا : ليس منها بد ، قال : فيم تجلدوني فيها ، قالوا :

- نجلدك لأنك صليت يوماً بغير وضوء ومررت على ضعيف فلم تنصره . قال فجلدوه جلدة من عذاب الله عز وجل فامتلاً قبره ناراً^(٢) .

والمقصود ألا تقولوا بأن أعمالنا صحيحة ، فعلى فرض أن معتقداتك صحيحة وانك سوف تخرج من الدنيا وأنت على الحق ، ولكن ماذا تقول بالنسبة لأعمالك ؟ فهل يمكنك أن تدعي بأنك كامل بالنسبة للأعمال أيضاً ؟ فحتى المعصوم يثن ويبيكي من ذلك (ابكي لسؤال منكر ونكير اياي في قبري) فماذا نصنع أنا وأنت ؟

(١) الكافي : ٣ / ١٣٦ .

(٢) حق اليقين ج ٢ ، ص ٨٣ .

العمل أنيس القبر

من الأمور المسلمة هو أن أعمال الإنسان هي أنيسه في قبره كما جاء في القرآن الكريم والروايات التي تصرح بذلك فمنها ما ذكره الصدوق عليه الرحمة في كتابه الخصال والأماشي ومعاني الأخبار عن قيس بن عاصم عندما جاء إلى رسول الله (ص) في جمع من قبيلة بني تميم وقال: وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي (ص) فدخلت وعنده الصلصال بن الدلهمس فقلت يا نبي الله عظنا موعظة فلينا قوم نَعْبُرُ في البرية فقال رسول الله (ص): إن مع العزَّ ذلاً وأن مع الحياة موتاً، وأن مع الدنيا آخرة. وإن لكل شيء حسيباً. وعلى كل شيء رقيباً، وأن لكل حسنة ثواباً ولكل سيئة عقاباً، ولكل أجل كتاباً، انه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لثيماً أسلمك، ثم لا يحشد إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك، فقال: يا نبي الله أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على مقابلينا من العرب وندخره، فأمر النبي (ص) من يأتيه بحسان بن ثابت. قال: فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتب لي القول قبل مجيء حسان فقلت: يا رسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقلت:

تخير خليطاً من فعالك انما	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من ان تعده	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فان كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته	ومن قبله إلا الذي كان يعمل
إلا انما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل ^(١)

انذار الله عز وجل

والآيات القرآنية التي تتحدث عن قرين الإنسان بعد موته والذي يكون نتيجة أعماله كثيرة ونكتفي بذكر آية واحدة فقط حيث يقول:

(١) الخصال: ص ١١٤.

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أحدًا بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ (١) .

حيث إن من لطفه ورأفته بالعباد هو انذاراته المتكررة لهم بواسطة الأنبياء عليهم السلام .

وكذلك ذكر السيد القاضي سعيد القمي في كتاب الأربعين حيث ينقل عن الشيخ البهائي انه قال : كان لي أحد الأصدقاء في مقبرة اصفهان حيث كان مشغولاً في العبادة بين تلك المقابر وكان الشيخ يذهب لزيارته بين فترة وأخرى . وفي أحد الأيام سأله الشيخ ماذا رأيت من عجائب هذه القبور ؟ فقال :

بالأمس جاؤوا بجنازة إلى هذه المقبرة ودفنوها في هذه الزاوية وغادروا المقبرة بعد ذلك وعندما جاء وقت المغرب هبت رائحة كريهة جداً وازعجتني كثيراً حيث لم أشم مثل تلك الرائحة طيلة عمري وفجأة رأيت هيكلاً مخيفاً يشبه الكلب وقد كانت الرائحة الكريهة تنبعث منه فأخذ يقترب حتى وصل إلى القبر واختفى عنده ، فمرت دقائق حتى هبت رائحة عطرة لم أشم مثلها طيلة عمري ثم ظهرت صورة جميلة جداً وجاءت حتى اختفت عند ذلك القبر (وهذه عجائب عالم الملكوت حيث تظهر على هذه الصور) ومضت فترة من الزمان ورأيت تلك الصورة الجميلة وقد خرجت من القبر وهي مصابة بالجراح وملوثة بالدماء ، فقلت : الهي فقهنني في الأمور التي شاهدتها فاعلمني بأن هذه الصورة الجميلة هي أعماله الحسنة وأما ذلك الهيكل المخيف فهو أعماله القبيحة وبما أن أفعاله السيئة كانت أكثر من الحسنة فسوف تكون هي القرين له في قبره حتى يطهر من الذنوب وتصل التوبة إلى الصورة الجميلة .

ضغطة القبر

يقول العلامة المجلسي في حق اليقين بأن ضغطة القبر والشواب والعقاب فيه من القضايا الإجماعية في الجملة عند جميع المسلمين ، ويظهر من الأحاديث المعتمدة أن ضغطة القبر إنما تكون على البدن الأصلي ، وأيضاً ليست من الأمور العامة بحيث يتعرض

(١) سورة آل عمران / الآية ٣٠ .

جميع الناس إلى ضغط القبر وانما يكون ذلك تابِعاً للاستحقاق والمعاصي وكذلك شدته وضعفه .

وروي عن رسول الله (ص) أنه قال : « ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع »^(١) .

وروى الكليني بسند معتبر عن أبي بصير حيث قال : « قلت لأبي عبد الله (ع) أيفلت من ضغطة القبر أحد ، فقال : نعوذ بالله منها ، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر ، ان رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس : « اني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضغطة القبر قال فقال : اللهم هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله له »^(٢) أجل ، فقليلاً ما يصادف أن لا يواجه الإنسان ضغط القبر لأن ضغط القبر يكون بسبب الذنوب حتى سوء الخلق والمعاملة مع الزوجة والأولاد في البيت فانه أيضاً قد يكون السبب في ضغط القبر . ولأجل اثبات ذلك ومعرفة أهمية ضغطة القبر وانه قلما ينجو أحد من ذلك نذكر الحديث المشهور المتعلق بسعد بن معاذ الأنصاري .

لقد كان سعد رئيس الأنصار ومن المقربين جداً عند رسول الله (ص) ومحترماً عن المسلمين فعندما كان يقدم من سفر كان رسول الله (ص) يأمر المسلمين بالخروج لاستقباله وكان النبي (ص) يقوم له قياماً كاملاً عند قدومه وأوكل إليه أمر التحكيم في حرب اليهود وقد شيع جنازته سبعون ألف ملك وشيعه رسول الله (ص) حافياً وحمل جنازته من الأطراف الأربعة وقال (ص) ان الملائكة حاضرة في تشييع جنازة سعد وكانت يدي في يد جبرائيل « اذهب معه اينما ذهب » والخلاصة فان مثل هذا الشخص المحترم عند رسول الله (ص) مع هذا التشييع والتكريم وبعد ذلك وضعه رسول الله (ص) في قبره بيده الشريفة فقالت أمه : هنيئاً لك يا سعد . فقال (ص) : يا أم سعد لا تجزمي على ربك فان سعداً قد اصابته ضمة . فلما سأله عن سبب ذلك قال (ص) : نعم انه كان

(١) بحار الأنوار : ج ٦ .

(٢) الكافي : ٣ / ١٣٦ .

خلقه مع أهله سوء^(١) . وجاء في رواية لا أخرى انه سئل الإمام عن سبب ضغط القبر بالنسبة لسعد فيجيهم الإمام (ع) : انه بسبب سوء خلقه مع أهله^(٢) .

ضغط القبر في أى مكان ممكن

وقد روى الكليني عن يونس عن الإمام الرضا (ع) قال سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر (حيث انهم كانوا يعلقون من يصلبونه ولا ينزلونه بعد موته كما بقي زيد الشهيد عليه السلام ثلاث سنوات مصلوباً) .

فقال (ع) : نعم أن الله عز وجل يأمر الهواء ان يضغطه وفي رواية أخرى سئل أبو عبدالله (ع) عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال : ان رب الأرض هورب الهواء فيوحي الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر^(٣) .

وكذلك ماء البحر بالنسبة للغريق

فيتضح مما تقدم بأن من الأمور التي توجب ضغط القبر هو تضييع نعم الله تعالى والكفر بها . وكذلك سوء الخلق مع الأهل بسبب ضغط القبر أيضاً . والشيء الآخر الذي ورد في الروايات بأن من الأمور الموجبة لضغط القبر هو عدم تجنب نجاسة البول وكذلك عدم الاجتناب من التهمة والغيبة وقد يؤثر ضغط الروح على البدن أيضاً .

والعكس أيضاً صحيح فأصحاب الأخلاق الطيبة والسلوك الحسن يكونون في سعة ورفاهية وطبعاً هناك مراتب متعددة لذلك فالبعض قد يوسع له بمقدار سبعة أذرع والبعض الآخر بمقدار سبعين ذراعاً وآخرون مدى البصر يعني أن روحهم في رفاهية وسعادة .

(١) بحار الأنوار : ج ٦ .

(٢) الكافي : ٣ / ١٣٦ . وقد رواه المؤلف بالمعنى .

(٣) الكافي : ٣ / ٢٤١ .

الفصل الثاني

■ البرزخ ■

البرزخ في اللغة بمعنى الحائل والساتر والذي يكون بين شيئين ولا يسمح لهما بالالتقاء فمثلاً البحر الحلو والبحر المالح في حركة مستمرة لكن الله قد جعل بينهما مانعاً يحول دون استيلاء أحدهما على الآخر فهذا هو الذي يسمى بالبرزخ .

أما معناه الاصطلاحي فهو العالم الذي خلقه الله عز وجل بين الدنيا والآخرة ليقف كل واحدٍ منهما على حاله فهو عالم بين الأمور الدنيوية والآخروية .

وتنعدم في البرزخ أوجاع الرأس والأسنان والأوجاع الأخرى فهي من ملازمات هذا العالم المادي وهناك عالم المجردات لكن بمستوى عالم الآخرة من الوضوح والانكشاف - يعني لا يكون ظلاماً وعذاباً محضاً بالنسبة للكافر ولا نوراً محضاً بالنسبة للمؤمن .

ويسألون الإمام (ع) عن البرزخ متى يكون ؟ فيقول (ع) : « القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة »^(١) والقرآن الكريم يقول ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾^(٢) .

العالم المثالي ■ البدن المثالي

ويعبر عن البرزخ بالعالم المثالي لأنه يشبه هذا العالم من حيث الشكل والصورة أما من حيث المادة والخصوصيات الأخرى فإنه يفترق عنه فبعد الموت ندخل في عالم تكون

(١) الكافي : ٣ / ٢٤٢ .

(٢) سورة المؤمنون / ١٠٠ .

الدنيا بالنسبة إليه كنسبة بطن الأم إلى هذا العالم الدنيوي . .

وجسدك أيضاً يكون جسداً مثالياً في عالم البرزخ يعني أنه نفس هذا الجسد من حيث الشكل لكنه لا يكون مادياً بل يكون لطيفاً والطف من الهواء بحيث لا يمنعه أي مانع ، فأينما يكون يمكنه أن يرى كل شيء فلا يقف الحائط مثلاً حائلاً أمام الرؤية ، والإمام الصادق (ع) يقول : لو رأيته (البدن المثالي) لقلت هو هو^(١) فلو أنك رأيت أباك في المنام فأنك تراه بنفس ذلك الجسد الدنيوي لكن الجسم المادي له في القبر ، فهو الصورة والبدن المثالي له .

والبدن البرزخي له عين تشبه هذه العين أيضاً لكن ليس لها شحم ولا يصيبها الألم وبإمكانها أن ترى إلى قيام القيامة وتشاهد بصورة جيدة . وليست مثل هذه العين التي تكون ضعيفة في بعض الأحيان وتحتاج إلى النظارات .

وقد شبه العلماء والمتكلمون البدن المثالي بالصورة التي تظهر في المرآة إلا أنه يحتوي على خاصيتين إحداهما هو أنه قائم بذاته بحيث يكون مستقلاً في تحققه في الخارج وليس في المرآة . والأخرى هو الإدراك والشعور . فالبدن المثالي قائم بنفسه وذو شعور وإدراك .

ومثال ذلك ما نشاهده في المنام حيث نستطيع أن نطوي المسافات البعيدة في لحظة واحدة ونكون في مكة أو مشهد مثلاً ، وتوجد في ذلك العالم أنواع المأكولات والمشروبات والمناظر الجميلة والخلابة والنغمات البديعة بحيث لا يطيقها أحد من أهل الدنيا وتعيش الأرواح متنعمة في ذلك البدن المثالي من كل تلك النعم .

وطبيعي أن المأكولات والمشروبات وسائر النعم الأخرى في ذلك العالم لطيفة أيضاً وليس لها ارتباط بالمادة ، فلذلك نجد الشيء الواحد قد يتغير إلى أنواع مختلفة حسب إرادة المؤمن كما يستفاد ذلك من الروايات فمثلاً لو كان ذلك الشيء مشمشاً لكنك أردت شيئاً آخر كالخوخ مثلاً فانه سوف يتغير إلى الخوخ كما أردت .

(١) بحار الانوار / ٦ .

وقد جاء في الحديث أنه صلى بنا النبي (ص) الصبح ثم التفت إلينا فقال : معاشر أصحابي رأيت البارحة عمي ضمرة بن عبد المطلب وأخي جعفر بن أبي طالب وبين أيديهما طبق من نبق فأكلا ساعة ثم تحول النبق عنباً فأكلا ساعة ثم تحول العنب رطباً فأكلا ساعة . . . الحديث ، والغرض تبدل الأشياء من شيء إلى آخر لأنها لطيفة وغير مادية^(١) .

شدة التأثير والتأثر

ومن خصائص عالم البرزخ بالنسبة إلى هذا العالم الفاني هو شدة التأثير ، وقد جاء التعبير عن ذلك في الفلسفة بعبارات علمية لا يمكن طرحها على العموم ولكن تشير إلى هذا الموضوع إشارة خاطفة وهي (أن المدرك - بالفتح - كلما كان لطيفاً كلما كان إدراكه بالنسبة للمدرك - بالكسر - أقوى وأفضل) .

فهذه الفواكه والحلويات واللذة التي نحصل عليها من الأكل والشرب هي قطرة من فواكه وحلويات وملذات عالم البرزخ ، فالأصل موجود هناك بحيث لو كشف الغطاء عن قسم من وجه حورية من الحور العين لعميت عيون أهل الدنيا ، فلو أن نور الحور يشرف على هذا العالم لطغى على نور الشمس . نعم فالجمال المطلق هناك ويقول الله عز وجل في القرآن الكريم .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٢) فهي امتحان لتمييز الصغير من الكبير والعاقل من الجاهل حتى يتضح من الذي يغتر وينخدع ومن الذي يتبع الجمال الواقعي والراحة والسعادة الحقيقية ولا تغره هذه المظاهر .

وعلى كل حال ففرضي هو بيان شدة التأثير في عالم البرزخ والذي لا يمكن قياسه بهذه الدنيا وقد يظهر نموذج من ذلك لبعض أهل الدنيا ليكون سبباً للعبرة لدى الآخرين

(١) كشف الغمة ، دار السلام الجزء ١ . . وتمة الحديث أن النبي (ص) قال بعد ذلك : فدنوت منهما وقلت : بأبي أنتما أي الأعمال وجدتما أفضل ؟ قالوا : فدينك بالأباء والأمهات وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك . وسقي الماء وحب علي بن أبي طالب (ع) .

(٢) سورة الكهف / ٧ .

ومنه ما ذكره المرحوم الزاقي في كتاب الخزائن نقلاً عن بعض الموثوقين من أصحابه الذي قال :

كنت أذهب مع والدي ومجموعة من الأصدقاء لتبادل الزيارات أيام عيد النوروز في أصفهان ، فذهبنا يوم الثلاثاء لزيارة أحد الأصدقاء حيث كان بيته إلى جوار المقبرة فسألنا عنه فقليل إنه غير موجود في البيت وكنا قد جئنا من مسافة بعيدة فذهبنا إلى تلك المقبرة للزيارة والاستراحة وجلسنا هناك . فالتفت أحد الأصدقاء إلى أحد القبور وقال مماًزحاً :

- يا صاحب القبر ان هذه الأيام عيد فهل تضيفنا عندك ؟ وفجأة سمعنا صوتاً من داخل القبر يقول بانكم مدعوون لضيافتي يوم الثلاثاء القادم بأجمعكم في هذا المكان .

فخفنا جميعاً وتصورنا اننا سوف لن نبقي أحياء بعد يوم الثلاثاء القادم فقمنا باصلاح أعمالنا وكتابة وصيتنا وغيرها ولكن لا شيء يدل على قرب الموت فلما كان يوم الثلاثاء ومضى منه مقدار اجتمعنا جميعاً وقلنا لنذهب إلى ذلك القبر فلعل المقصود لم يكن هو الموت . فلما وصلنا إلى ذلك القبر قال أحدنا :

- يا صاحب القبر عليك الوفاء بوعدك . فسمعنا صوتاً يقول :

- تفضلوا (وهنا عليكم الالتفات إلى أن الله عز وجل قد يرفع الحجاب والساتر عن العين البرزخية ليكون ذلك عبرة) فتغير ما كان أمام أبصارنا وتفتحت عيننا الملكوتية فرآينا بستاناً في أجمل ما يكون من البهاء والصفاء قد ظهر أمامنا وتجري فيه أنهار الماء الصافي والأشجار التي تحتوي على أنواع الفاكهة من جميع فصول السنة وعليها الطيور والبلابل المتنوعة واللطيفة الألحان فوصلنا إلى بناية قد بنيت في الوسط وهي في غاية الابهة والفخامة وقد فتحت جوانبها إلى جهة البستان ، فدخلنا إلى ذلك القصر فوجدنا شخصاً في غاية الجمال والصفاء جالساً وحوله مجموعة من الخدم والحشم الماهرين فلما شاهدنا قام من مكانه واعتذر ، وكان هناك أنواع الحلويات والفواكه التي لم نشاهدها في الدنيا ولم نتصورها في يوم من الأيام .

ومقصودي هو هذه العبارة حيث يقول : اننا عندما أكلنا من ذلك كانت لذته بحيث

اننا لم نذق من قبل مثل هذه اللذة أبداً وكلما أكلنا لم نكن نشبع بمعنى' اننا لا نزال نشتهي الأكل ، فجاؤوا بأنواع أخرى من الفواكه والحلويات والأطعمة المتنوعة بطعم مختلف وبعد ساعة قمنا لنرى ماذا سيحدث بعد ذلك فقام معنا وشيعنا إلى خارج البستان ، فسأله أبي : من أنت بحيث أعطاك الله تعالى كل هذا النعيم بحيث تستطيع أن تدعو جميع الناس في العالم إلى ضيافتك . وأيان يكون هذا المكان ؟ فقال :

- أنا أحد الساكنين في بلادكم ، فأنا ذلك القصاب في المحلة الفلانية . فقالوا : ما هو سبب هذه الدرجات والمقامات العالية ؟ فقال : ان لذلك سببين ، احدهما اني لم أكن في كسبي وشغلي من المطففين ، والآخر هو اني لم أترك الصلاة في أول الوقت طيلة عمري كنت أضع اللحم في الميزان فاسمع صوت المؤذن يقول الله أكبر فأترك الوزن واذهب إلى المسجد ، وقد أعطوني هذا المكان بعد موتي وفي الأسبوع الماضي وعندما قلت لي ذلك الكلام لم أكن مأذوناً في ضيافة أحد ، إلا اني حصلت على الإذن في هذا الأسبوع ، وبعد ذلك سألت كل واحد منا عن مدة عمره وكان يجيبنا على ذلك ومنها انه قال لشخص كان يشتغل في أحد المكاتب بأنك سوف تعيش أكثر من تسعين سنة وما زال حياً حتى الآن ، وقال لي : إن عمرك كذا وقد بقي منه عشر إلى خمسة عشر سنة ، ثم ودعنا وشايعنا فلما أردنا الرجوع رأينا أنفسنا فجأة في مكاننا السابق ونحن جالسون على ذلك القبر .

استمرار اللذة

ومن خصائص العالم الآخر هو الدوام والثبات . فهناك لا يبقى أي شيء فلو كان جمالاً فانه سريع الزوال ، ولو كان طعاماً فهو لذيد ما دام في الفم فلذته آنية لا أكثر ، وهكذا نكاحه بهذا الشكل أيضاً ، وأيضاً فإن نفس هذه الأطعمة والفواكه لا بقاء لها فإنها تفسد إذا بقيت فترة من الزمان . فالواقع ان هذه الدنيا لا دوام فيها .

أما عالم البرزخ فهو لا يقبل الفناء لأنه غير محتاج إلى العناصر والتركيبات المادية فهو دائم البقاء ، والشاهد على ما أقول هو ما حدث للعلامة الشيخ مهدي الزاقي صاحب كتاب مستند الشيعة ، والذي كان من المراجع الكبار والعلماء العظام الشأن في زمانهم .

وبما أن ذكر الحقائق في ضمن القصة أقرب للفهم عند عامة الناس فلذلك تقال الحوادث الواقعية والحكايات الحقيقية في ضمن بحث العقائد وأصول الدين .

الشيخ محمود العراقي ينقل في آخر كتاب دار السلام عن المرحوم الزاقي بأنه قال :

حدث قحط عجيب في النجف الأشرف عندما كنت هناك ، وفي أحد الأيام خرجت من البيت في الوقت الذي كان أطفالي يتضورون جوعاً ، فذهبت إلى وادي السلام لأخفف همي بواسطة زيارة الأموات فجاءوا بجنائزهم وقالوا لي : تعال أنت أيضاً معنا فقد جئنا لنلحق هذا الميت بأرواح هذا المكان ثم ادخلوه إلى بستان كبير ووضعوه في أحد القصور الضخمة الموجودة في ذلك البستان ويحتوي ذلك القصر على جميع مستلزمات الحياة على أكمل وجه ، فلما رأيت ذلك دخلت إلى القصر وراءهم فرأيت شاباً في هيئة الملوك وهو جالس على أريكة من ذهب فلما رأيته ناداني باسمي وسلم عليّ ودعاني إليه واجلسني إلى جانبه على الأريكة ، وأكرمني كثيراً ثم قال : ألم تعرفني ؟ انا هو صاحب الجنائز التي رأيته واسمي فلان ومن المدينة الفلانية وهؤلاء الذين رأيتهم كانوا من الملائكة وقد نقلوني من مدينتي إلى هذا البستان الذي هو من بساتين الجنة البرزخية .

فلما سمعت هذا الكلام من ذلك الشاب زالت عني الهموم واحببت أن أتجول وأفترج على ذلك البستان فلما خرجت رأيت عدة قصور أخرى ، فلما نظرت في داخل تلك القصور رأيت أبي وأمي وبعض أقربائي فاستقبلوني وأكرموني وكان طعامهم لذيذاً جداً ، وعندما كنت في أقصى حالات الهدوء والسرور واللذة تذكرت زوجتي وأطفالي وكيف أنهم جياع فتألمت لذلك في الحال فقال والدي :

- ماذا بك يا مهدي . فقلت :

- ان زوجتي وأطفالي جياع . فقال والدي :

- هذا هو مخزن الأرز . فملأت عباءتي من الأرز فقالوا لي أحمله وخذه . فلما حملت عباءتي رأيت نفسي فجأة في وادي السلام جالساً في نفس ذلك المكان الأول ولكن عباءتي مليئة بالأرز فأخذته إلى البيت فسألني زوجتي من أين أتيت به ، فقلت : لا تسألي عن ذلك ؟ بقينا مدة طويلة ونحن نأكل من ذلك الأرز ولم ينفذ ، وأخيراً ألحت عليه زوجته

كثيراً فظهر لها المرحوم الزاقي ما جرى له ، فلما ذهبت زوجته لتأخذ من ذلك الأرز لم تعثر له ، على أثر ، وقد ذكر في كتاب دار السلام نظير هذه القصة فعلى من أراد الاطلاع الرجوع إليه .

ومقصودي هو دوام العالم الآخر سواء من حيث نفس النعمة أو من حيث لذتها . ومن الجهة الأخرى فإن مصيبتها تكمن في ذلك أيضاً وأعوذ بالله إذا ابتلي شخص بالعذاب البرزخي فإن صيحة واحدة من صيحات المعذبين في البرزخ إذا وصلت إلى أسماعنا تصبح مصائب الدنيا في نظرنا لا شيء .

وجاء في رواية الباقر (ع) أن رسول الله (ص) قال : « اني كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها - وليس من نبي إلا وقد رعى الغنم - وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمكنة في المكينة ما حولها شيء يهيجها حتى تذعر فطير ، فأقول : ما هذا وأعجب حتى حدثني جبرئيل (ع) أن الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويدعر لها إلا الثقلين فقلت : ذلك لضربة الكافر ، فنعوذ بالله من عذاب القبر » (١) .

وفي كتاب دار السلام ينقل النوري عن كتاب ثواب الأعمال للصدوق (ره) بأنه بعد مأساة كربلاء كان شاب جميل الوجه وشخصية نادرة وكان أحد المشاركين في جيش الكوفة وقاتلاً لأحد أصحاب الحسين (ع) فيقول الراوي رأيت وجهه الجميل قد أصبح كالقير الأسود وصار كالقصبه لشدة ضعفه ونحافته فسألت عن أحواله من جيرانه ، فقالوا : انه منذ أن رجع من سفره وعندما ينام في الليل يأخذ بالانين والصراخ بحيث يوقظنا جميعاً من النوم ، فذهبت إليه وسألته عن أحواله فقال عندما يكون الليل ، يأتي ذلك الشاب الهاشمي المقتول ويجرني إلى النار فاصرخ بشدة حتى استيقظ من النوم ، وهذا الصراخ والانين وسواد الوجه ما هو إلا ذرة من العذاب الذي بعده وقد ظهر في هذا العالم .

وهناك موارد كثيرة في ظهور العذاب البرزخي في هذا العالم الدنيوي والتي يطول الكلام عنها ، واكتفي منها فقط بذكر مورد واحد من الموارد التي ذكرت في كتاب دار

(١) الكافي : ٣ / ٢٣٣ .

السلام للنوري^(١) عن العالم الزاهد السيد هاشم البحراني الذي قال :

كان في النجف الأشرف شخص عطار وكان يعط الناس كل يوم بعد صلاة الظهر في دكانه ، ولم يكن دكانه في يوم من الأيام خالياً من الناس ، وكان أحد أبناء الملوك الهنود مقيماً في النجف الأشرف وأراد السفر فجاء إلى العطار ووضع عنده صندوقاً مليئاً بالجواهر والأحجار الكريمة أمانة وسافر . وبعد رجوعه من السفر جاء يطلب هذه الأمانة ولكن العطار أنكر ، فتحير الهندي ماذا يصنع ولجأ إلى المرقد الشريف لأمير المؤمنين (ع) وقال : يا علي لقد تركت الوطن والراحة لأقيم عند قبرك قد وضعت جميع ما أملك عند فلان العطار . وهو ينكر الآن ذلك وليس لي مال غيره ولا شاهد لي لإثبات ذلك ، ولا أحد ينقذني من هذه المشكلة غيرك ، وفي الليل رأى الإمام (ع) في المنام وقال له : عندما تفتح أبواب المدينة أخرج منها أول شخص تراه أطلب أمانتك منه فسوف يوصلك إليها . فلما استيقظ وخرج من المدينة فأول شخص رآه كان شيخاً كبيراً ورجلاً عابداً وزاهداً وهو يحمل الحطب على ظهره ويريد أن يبيعه لنفقة عياله فحجل أن يطلب منه شيئاً ورجع إلى المرقد الشريف ، وفي الليلة الثانية رأى المنام الذي رآه في الليلة الماضية ، وفي الغد رأى نفس ذلك الشخص ولم يقل له شيئاً ، وفي الليلة الثالثة رأى مثل ما رأى في الليالي السابقة حيث قال له الإمام (ع) مثل قوله السابق ، فلما كان اليوم الثالث ورأى نفس ذلك الشخص الشريف حكى له ما حدث له وطلب منه الأمانة ، فأخذ ذلك الشيخ يفكر ساعة من الزمان ثم قال : تعال غداً بعد الظهر إلى دكان العطار لأعطيك أمانتك . فلما كان الغد ولما كان الناس مجتمعين في دكان العطار قال ذلك الشيخ العابد اسمح لي أن أعط الناس في هذا اليوم ثم قال أيها الناس أنا فلان بن فلان واني أخاف جداً من حقوق الناس ولا يوجد في قلبي أي حب لمال الدنيا بتوفيق الله تعالى وأنا من أهل القناعة والعزلة وبالرغم من ذلك فقد حدث لي حادث مؤسف وأريد اليوم أن أحدثكم عنه وأنذركم من شدة العذاب الالهي وحر جهنم وأخبركم ببعض أخبار يوم الجزاء ، فاعلموا اني احتجت يوماً للقرض فأخذت عشرة قروش من شخص يهودي وعاهدته على أن أرجعها إليه بعد عشرين يوم يعني أودي إليه نصف قرش يومياً فلما مضت عشرة أيام كنت قد أعطيته نصف دينه

(١) المجلد الأول / ٢٤٧ .

وبعد ذلك لم أره فسألت عنه فقالوا ذهب إلى بغداد ، وبعد عدة ليالٍ رأيت في المنام وكأن القيامة قد قامت فاحضروني مع الناس إلى موقف الحساب وقد تخلصت بفضل الله تعالى من ذلك الموقف وصرت من أهل الجنة وأردت الذهاب إلى الجنة فلما وصلت إلى الصراط سمعت صوت جهنم وبعد ذلك رأيت ذلك الرجل اليهودي الدائن وقد خرج من جهنم وكأنه شعلة من النار وسد الطريق علي وقال أعطني ديني خمسة قروش حتى أسمح لك بالذهاب ، فبكيت وقلت كنت أفتش عنك ولكني لم أرك لأعطيك دينك ، فقال لا أسمح لك بالمرور ما لم تؤد لي ديني . فقلت : لا أملك شيئاً هنا ، فقال أذن اسمح لي أن أضع اصبعي على بदनك فقبلت ذلك فلما وضع اصبعه على صدري صرخت من شدة الألم والحرق ، وانتبهت من النوم وقد بقي جرح اصبعه على صدري وهو محروح لحد الآن وكلما عالجتة بالأدوية لم يجد معه نفعاً ، ثم فتح صدره وأظهر ذلك للناس فلما شاهده الناس ارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب ، وخاف العطار أيضاً من العذاب الالهي خوفاً شديداً وأخذ ذلك الهندي إلى بيته وارجع إليه الأمانة واعتذر منه .

هل يمكن انكار المطالب السابقة ؟

وبشكل عام فان حكم العقل هو أن كل ما يسمعه الإنسان إذا لم يلزم منه المحال فلا ينبغي أن ينكره بل العقل يقول بأن الممكن هو ما فيه امكانية الوقوع واللاقوع بنسبة واحدة .

فمثلاً لو ادعى عالم الفلك بأن هناك عدة أقمار للمريخ تدور حوله كما يدور القمر حول الأرض فهل ينبغي عندما نسمع الخبر أن ننكره ونكذبه . كلا حيث يمكن أن يكون صحيحاً والشيخ الرئيس ابن سينا يقول « كل شيء قرع سمعك فذره في بقعة الامكان ما لم يذكك قائم البرهان » فمثلاً تسمع بأن طفلاً قد ولد برأسين وبما أن هذا الخبر لا يستلزم محالاً عقلياً فقل انه ممكن .

مراتب الخبر

المرتبة الأولى : كل خبر لم يقم دليل عقلي على استحالة وقوع مضمونه فلا ينبغي تكذيبه وإنكاره .

المرتبة الثانية : هي انه إضافة إلى ذلك تقوم الأدلة والشواهد على صدق مضمون ذلك الخبر فالعقل يحكم بوجوب قبوله .

المرتبة الثالثة : إذا كان للخبر من قبل الله تعالى سند ودليل وهو المعجزة ففي هذه الصورة لا يقول العقل بعدم إنكاره فقط بل يجب القبول والاطمئنان بطريق أولي من الدرجة الثانية .

لا يوجد دليل عقلي على عدم المعاد

هل هناك دليل عقلي على استحالة وقوع الأخبار بعد الموت ؟ هل يمكن لأحد أن يدعي ويأتي بدليل عقلي بأنه لا سؤال ولا جواب بعد الموت ؟ ولا يوجد هناك ضغطة القبر ، ولا قيامة ولا برزخ ؟ عليكم أنتم العقلاء أن تحكموا هل أن إخبار المنجم الفلاني بالأمر الفلاني مثلاً وجود أربعة آلاف نجمة بين المشتري والمريخ يختلف عن إخبار الرسول (ص) بوجود تسعة وتسعين أفعى للكافر في قبره من حيث نفس الخبر ؟ لعل أحداً يقول أن المنجم يخبر بذلك عن حس ، نعم محمد (ص) أيضاً يقول يخبر عن حس فقد رأى جميع ذلك في ليلة المعراج وقد أحاطت روحه المقدسة بجميع العوالم والآن هو كذلك أيضاً إضافة إلى أن الحس قد يخطئ إلا أن عين قلب محمد (ص) لا يمكنها أن تخطئ وللحس انحراف وزياده ونقيصه أما حس محمد (ص) ليس فيه هذه الأمور أيضاً .

إذن فما يقوله محمد (ص) أعلى بعدة مراتب مما يقوله علماء الفلك فلو لم تقبل كلام الأول فهو من قلة عقلك وصغره لأنه لا دليل عقلي ابداً على استحالاته والصادق المطلق هو محمد (ص) .

كان أهل مكة قبل الإسلام يسمونه الصادق الأمين فلم يعثر أحد على كذبة تصدر منه أو خيانة ، إضافة إلى أن سند الرسالة والمعجزة الباقية له يعني القرآن الكريم متوفر لدى الجميع فلو أن مثل هذا الشخص الفريد أخبر عن وجود السؤال والجواب في القبر أو ضغطة القبر أو التعري يوم القيامة ، وغيرها فهل يمكن تكذيبه ؟

رواية من أخبار المستقبل

لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (ع) أقبل علي بن أبي طالب (ع) باكياً فقال له النبي (ص) وآله : ما يبكيك لا أبكى الله عينك . قال : توفيت والدتي يا رسول الله .

قال له النبي (ص) : بل ووالدتي يا علي (لأنها كانت تحب رسول الله (ص) حباً جماً وقد كانت تعتني برسول الله (ص) كأمة مدة من الزمان) ثم قال لعلي (ع) : هذا قميصي فكفنها فيه وهذا ردائي فكفنها فيه ، ثم انه لحدّها في قبرها بيده الكريمة بعد أن نام في قبرها ولقنها الشهادتين فلما أهيل عليها التراب وأراد الناس الانصراف جعل رسول الله (ص) يقول لها : ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل .

فقالوا : يا رسول الله فعلت فعلاً ما رأينا مثله قط . فقال (ص) :
- أما نومي في لحدّها فاني ذكرت في حال حياتها ضغطة القبر فقال واضعفاء فمنت في لحدّها لأجل ذلك حتى كفيتها ذلك ، وأما تكفيني لها بقميصي فاني ذكرت لها في حياتها القيامة وحشر الناس عراة فقالت : وأسوأته ، فكفنتها به لتقوم يوم القيامة مستورة .
وأما قولي لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل فانها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت : الله ربي وقالوا من نبيك؟ قالت : محمد نبيي ، فقالا من وليك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول ولدي (ويتضح أن ذلك كان قبل غدير خم وإعلان خلافة الإمام علي (ع) صريحاً) فقلت لها قولني ابنك علي بن أبي طالب فأقر الله بذلك عنينا^(١) .

وهنا يتفسح المجال كثيراً للحديث والموعظة فمثل هذه المرأة الجليلة فاطمة بنت أسد مع تلك المنزلة الرفيعة والمقام العظيم ، المرأة التي كانت ضيفة رب العالمين داخل الكعبة أشرف بقاع الأرض ، المرأة التي كان رحمها محلاً لتربية البدن الطاهر لأمر المؤمنين (ع) ، وثاني امرأة آمنت برسول الله (ص) مع عبادتها ، ثم بعد كل ذلك تخاف من الشدائد بعد الموت بهذا الشكل ويعاملها رسول الله (ص) بهذه الصورة ، والآن علينا أن نفكر بحالنا .

(١) بحار الأنوار : ج ٦ ، ص ٢٤١ .

ولنرجع إلى الموضوع الأصلي : فالمخبر الصادق وهو محمد (ص) يقول بوجود السؤال والجواب وضغطة القبر والتعري يوم القيامة وغيرها .

تأثير الروح في الجسد المادي :

بالرغم من أن الروح في عالم البرزخ تكون متنةمة أو معذبة إلا انه من الممكن بسبب قوة الروح أن يتأثر بذلك البدن المادي أيضاً بحيث يكون بشدة تأثير حياة الروح ان نفس هذا البدن يبقى طرياً وجديداً في القبر وتمر آلاف السنين دون أن يتلاشى ، والشواهد على هذا الموضوع كثيرة ، مثل جسد ابن بابويه عليه الرحمة حيث انه وقبل مائة وخمسين عاماً تقريباً وفي زمان الملك فتح علي شاه وبينما كانوا يقومون بتجديد البناء فيدخلون إلى السرداب ويشاهدون جثمان ذلك الإنسان الجليل طرياً وجديداً ولم يَلْ الكفن أبداً والأعجب من هذا هو أظافر ابن بابويه والتي بقي لون الحناء عليها بالرغم من سرور تسعمائة عام ونيف .

وكما ذكر في كتاب روضات الجنات بانه في حوالى سنة ١٢٣٨ هـ وبسبب هطول الأمطار فقد حدث بعض التخريب في مقبرة الشيخ الصدوق ، فأرادوا إصلاحه وتعميره ، فدخلوا إلى سرداب القبر الشريف وشاهدوا جسده الشريف وسط القبر صحيحاً وسالماً وكان جسيماً وسيماً وعلى أظافره أثر الخضاب واشتهر هذا الخبر في طهران ووصل إلى اسماع المرحوم فتح علي شاه فجاء الملك بنفسه مع عدة من العلماء وأركان الحكومة من أجل التحقيق فأروا نفس الواقعة بأعينهم كما سمعوها ، فأمر الملك بسد الثغرة وتجديد البناء وتزيينه بالمرايا .

جسد الحر طرياً

وهكذا قصة الحربين يزيد الرياحي كما ذكرها المحدث الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية انه في الزمان الذي جاء فيه الملك إسماعيل الصفوي إلى كربلاء وسمع بأن البعض يطعنون في شخصية الحر ولا يعتبرونه انساناً جيداً فأمر أن يحزوا قبره فأروا جسده على حاله كالיום الذي استشهد فيه ولم يتغير أبداً وقد عصب رأسه بمنديل. وبما أن المذكور في التواريخ أن سيد الشهداء في اليوم العاشر من المحرم قد عصب جرح رأس

الحر بمنديله فأمر الملك أن يفكوا ذلك المنديل ليضعه في كفنه فلما فتحوه سال الدم من محل الجرح فشدوه مرة أخرى بذلك المنديل فتوقف تدفق الدم ، وبعد ذلك فتحوه وشدوه بمنديل آخر فاستمر تدفق الدم ، فاضطروا إلى إن يعصبوه بنفس ذلك المنديل ، وعلموا فضل مكانته ، وبني عليه الملك بناءً ووضع فيه خادماً .

وكذلك قبر الكليني الشريف صاحب كتاب الكافي في بغداد عند رأس الجسر عندما فكر أحد حكام بغداد الجائرين بهدم قبر الإمام موسى بن جعفر (ع) كي لا يذهب أحد لزيارة الكاظمين فتحير وزيره الذي كان شيعياً في الباطن ماذا يصنع ؟ فهو لا يستطيع أن يعترض لأنهم إذا علموا أنه شيعي فسوف تتعرض حياته للخطر ، فلما ساروا ووصلوا إلى الجسر قال الوزير هنا قبر أحد علماء هذا المذهب ومن نواب موسى بن جعفر وهؤلاء يقولون بأن جسد هذا الشخص لا يزال طرياً لم يفسد ، فلورأيتم أن هذا الكلام صحيح فلا ينبغي أن نلمس قبر موسى بن جعفر بسوء ، فقبل الحاكم وأمر فوراً بأن ينشوا قبر الكليني فرأوا جسده طرياً وجديداً والأعجب من ذلك وجود جسد طفل رضيع إلى جانبه وهو طري أيضاً ، ولم يعلم أن هذا الطفل هو ابن ذلك العالم الجليل أو ابن شخص آخر ، وأياً كان ، فانظروا ما تصنع الحياة فلو أن أحداً اتصل بمعدن الحياة فسوف يكون كذلك .

وطبعاً فان آل محمد (ص) هم معدن كل خير ، ومن آثار هذه الحياة تلك المعجزات التي تشاهد عند قبورهم الطاهرة وقبور أبنائهم وعلماء الحق لأن أجسادهم حية أيضاً .

وعلى العكس من ذلك إذا كان الشخص من أهل العذاب والنار فقد يسري بعض الأحيان عذاب الروح إلى هذا الجسد أيضاً كما حصل ذلك عندما تغلب بنو العباس على بني أمية وأبادوهم وهدموا قبورهم أيضاً ولما جاؤوا إلى قبر يزيد ونشوه لم يجدوا سوى أثر من الرماد بمقدار الجسد النحس لذلك الملعون .

وينقل المرحوم الشيخ محمود العراقي في كتاب دار السلام عن قول بعض الموثوقين بانه ذهبنا إلى مقبرة الحسن أحد أولاد ابن الإمام (ع) في طهران قبل الغروب بفترة

وجلس أحد الأصدقاء على أحد القبور وفجأة صرخ بنا احملوني ورأينا أن صخرة القبر قد صارت كالجمر فكم كانت تلك الروح معدبة في هذا القبر فحرارة النار قد وصلت إلى صخرة القبر أيضاً . ويقول إني قد عرفت صاحب القبر إلا أنني لا أذكر اسمه كي لا يفتضح .

ويذكرون عن شخص آخر قد دفن في قم بأن شعلة النار قد اندلعت من القبر وأحرقت جميع فراش وسجاد المقبرة .

النار الحارة

يقول الشيخ الشوشتري في مواعظه : إن الله تعالى يقول في القرآن الكريم ﴿ تَصَلُّى نَاراً حَامِيَةً ﴾^(١) ويعني النار الحارة فهل هناك نار باردة أيضاً ؟ نعم فلو أخذنا الأمور بالنسبة لكانت نار الدنيا بالنسبة لنار البرزخ والقيامة باردة ، وفي نفس هذه الدنيا يذكر بأن هناك نوعين من النار فعندما ننسبها إلى بعضها نعلم ما هي النار الحقيقية ، فيقول لَنَقْسُ نار الفحم والحطب مع نار الصاعقة ، فالصاعقة نار لطيفة تحدث نتيجة اصطدام الغيوم ببعضها وهو لطيف إلى درجة انه يحرق كل جسم يصطدم به ويخرقه لا انه يصطدم به ويرجع أو يتوقف ، ومن جهة الإحراق فلا يوجد أي شيء يطفئه فلو أنه اصطدم بشجرة فانه يحولها إلى رماد بأكملها ولو اصطدم بالبحر فانه يحرق حتى القعر وحتى انه يشوي الأسماك التي تعيش في قعر البحر .

فالصاعقة نار وكذلك الفحم الموجود في المجرمة فإنه نار أيضاً إلا أن حفنة من التراب أو الماء تطفئها واحرقها محدود كذلك .

فاعلموا الآن بأن نار العالم الآخر غير قابلة للقياس مع نار هذه الدنيا وحتى مع الصاعقة أيضاً . فلو أن روح أحد أو بدنه المثالي كان معذباً في البرزخ فيمكن (وليس أمراً كلياً) أن يتأثر بذلك هذا الجسد المادي أيضاً . وهكذا شوهد العكس أيضاً كما هو موجود لدى بعض قبور أولياء الله حيث يشم من قبورهم رائحة المسك والعطور الطيبة دون أي استعمال للروائح أو وجود أزهار عند ذلك القبر .

(١) سورة الغاشية / ٤ .

الأشخاص الذين لا خوف عليهم

وردت بشارة في أخبار أهل البيت (ع) بأن الله تعالى قد كتب لبعض الناس أماناً من أهوال القبر وضغطته والعذاب البرزخي ومنهم الأشخاص الذين تم تلقينهم والظاهر أن المراد هو التلقين الثالث والذي يكون بعد الدفن .

يقول يحيى بن عبدالله سمعت الإمام الصادق (ع) يقول : « ما على أهل الميت منكم أن يدرأوا عن ميتهم لقاء منكر ونكير ، قال : قلت : كيف نصنع ؟ قال : إذا أفرد الميت فليتخلف (فليستخلف) عنده أولي الناس به ، فيضع فمه عند رأسه ثم ينادي بأعلى صوته : يا فلان بن فلان أو يا فلانة بنت فلان : هل أنت على العهد الذي فارقنا عليه من شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله سيد النبيين وأن علياً أمير المؤمنين وسيد الوصيين وان ما جاء به محمد حق والبعث حق (وإن الساعة آتية لا ريب فيها) وأن الله يبعث من في القبور . قال فيقول منكر لنكير : انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجته » (١)

والتلقين الأول يكون أثناء الموت ، والتلقين الثاني عند دفنه في القبر ، ولا ينبغي لأحد أن يقول ماذا يفهم الميت ؟ فقد ذكرنا سابقاً بأن الروح حاضرة وتسمع أحسن منا ، والآخر انه لا تقولوا انه لم يكن يعرف العربية ، فكل شخص يذهب من هذا العالم فسوف تكون جميع اللغات عنده على حد سواء ، فالمحدودية تابعة للعلم المادي والبعض الآخر الذين يكونون في أمان من عذاب القبر هم الذين يغادرون هذه الدنيا فيما بين ظهر الخميس وظهر الجمعة لأنهم يردون ساحة رب العالمين أثناء نزول الرحمة فتشملهم الرحمة وهذه أيضاً من الطاف الخالق عز وجل فهو يشمل العبد بعنايته ورحمته بهذه الأمور .

والجريدتان أيضاً من الأمور التي ورد الوعد بأن تكون مانعة من عذاب القبر ولو كانت من سعف النخل لكانت أفضل طبعاً وكذلك ينبغي أن تكونا رطبتين ، وقد ذكرت عدة

(١) وسائل الشيعة ، كتاب الطهارة ، وفي بحار الأنوار ج ٦ ، ص ٢٧٧ مثله عن رسول الله (ص) .

روايات في كتاب الطهارة من وسائل الشيعة الباب (٧) ، ومنها ما روي عن الإمام الباقر (ع) انه قال :

« يتجافى عنه العذاب أو الحساب ما دام العود رطباً إنما العذاب والحساب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم ، وإنما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما ان شاء الله »^(١) .

والآخر هو شهادة أربعين نفراً أو أكثر بحسن الميت وطلب المغفرة له فقد روي في كتاب الأنوار النعمانية عن الإمام الصادق (ع) انه قال : « إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا : اللهم انا لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به منا ، قال الله تبارك وتعالى قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون » .

وكذلك روي عن الإمام (ع) انه قال : « كان في بني إسرائيل عابد فاعجب به داود (ع) فأوحى الله لا يعجبك شيء من أمره فإنه مرء ، قال : فمات الرجل فقال داود (ع) : ادفنوا صاحبكم ولم يحضره ، فلما غسل قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلا خيراً ، فلما صلوا عليه قام خمسون آخرون فشهدوا بذلك فلما دفنوه قام خمسون آخرون فشهدوا بذلك أيضاً فأوحى الله إلى داود ، ما منعك أن تشهد فلاناً ؟ فقال : يا رب للذي اطلقني عليه من أمره ، فأوحى الله إليه : إن كان ذلك كذلك ولكنه قد شهد قوم من الأحرار والرهبان ما يعلمون إلا خيراً فأجزت شهادتهم وغفرت له مع علمي عليه (فيه) » .

وهذا أيضاً من فضل الله تعالى حيث ينقذ عبده من العذاب دون أن يكون مستحقاً لهذا الكرم .

ولهذا السبب كان الأخير خصوصاً السابقين منهم يهبطون أكفانهم ويطلبون من الموالين لأمر المؤمنين (ع) أن يكتبوا شهادتهم عليه لهم ، ويذكر المحدث الجزائري باب أستاذه العلامة المجلسي كان يطلب من المؤمنين أن يكتبوا شهادتهم بإيمانه على كفنه

(١) الكافي : ٣ / ١٥٢ .

بالتربة الحسينية وهكذا كانوا يكتبون انه لا ريب في إيمانه يكتبون اسمهم الكامل ويوقعون تحته أيضاً .

ومن جملة الأمور المؤثرة بشكل عجيب هو وضع تربة أبي عبدالله الحسين (ع) في القبر والكفن وكذلك مسح الجبهة والكفين بها .

ومن جملة الأمور النافعة للإنسان في عالم البرزخ والقيامة هي أعمال الخير التي يتم فعلها في هذه الدنيا نيابة عنه ، أو ثواب الأعمال الحسنة الذي يهدى إليه والذي يكون اداء الدين وقضاء الصلاة والصوم التي فاتت منه والحج الواجب وأمثالها في الدرجة الأولى ، ثم بعد ذلك التصديق في سبيل الله لذلك الميت والدعاء وطلب المغفرة له وقد وردت في هذا الموضوع روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) وعلى كل من يريد الاطلاع الرجوع إلى كتاب الطهارة أبواب الاحتضار الباب (٢٨) من وسائل الشيعة وكذلك في باب الحج من الكتاب المذكور ، والخلاصة أن ما جاء في الروايات هو أن كل عمل خير من صلاة وصوم وحج وصدقة يقام به للميت فان الله تعالى سوف يوصل أجره وثوابه إلى ذلك الميت ويعطي أضعاف ذلك إلى الشخص الذي يقوم بهذه الأعمال .

قال رسول الله (ص) : اهدوا لموتاكم ، فقالوا : يا رسول الله وما هدية الأموات ؟ قال (ص) : الصدقة والدعاء .

« نعم حتى انه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق فيقال له : خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك » .

وقد يكون لبعض مراتب الانفاق ثواب عظيم يعود إلى الميت كما روي عن الإمام الصادق (ع) في كتاب الوسائل انه قال : إذا تصدق الرجل بنية الميت أمر الله جبرئيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك في يد كل ملك طبق فيحملون إلى قبره ويقولون : السلام عليك يا وليّ الله ، هذه هدية فلان بن فلان إليك فيتألف قبره . وأعطاه الله ألف مدينة في الجنة ، وزوجه ألف حوراء . وألبسه ألف حلة ، وقضى له ألف حاجة » .

وروي في كتاب جامع الأخبار عن رسول الله (ص) انه قال : « إن أرواح المؤمنين

تأتي بكل جمعة إلى سماء الدنيا بحذاء دورهم ويبوتهم ينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكين ، يا أهلي وولدي ويا أبي وأمي وأقربائي اعطفوا علينا يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا والويل والحساب علينا والمنفعة لغيرنا . . . اعطفوا علينا بدرهم وبرغيف وبكسوة يكسوكم الله من لباس الجنة » .

أين البرزخ ؟

ويمكن أن يطرأ هذا السؤال في أذهان البعض بأنه أين يقع عالم البرزخ مع كل هذا، المساحة ؟ وطبعاً فإن عقولنا لا يمكنها أن تدرك ذلك غاية الأمر أن الموجود لدينا هو التشبيهات الواردة في الروايات من قبيل أن جميع عالم الدنيا من السماوات والأرضين بالنسبة إلى عالم البرزخ كالحلقة في الفلاة فما دام الشخص في الدنيا فهو كالودودة في التفاحة أو الطفل في بطن الأم وعندما يموت فسوف يتحرر وفي الواقع انه لا يذهب إلى مكان آخر بل هو في عالم الوجود لكنه لن يكون محدوداً بعد ذلك وليس له زمان ومكان ، فهذه القيود مختصة بهذا العالم ، وتابعة لعالم المادة والطبيعة .

فلو قيل للطفل في بطن الأم بأن هناك عالماً آخر وراء هذا العالم الذي يكون بطن الأم بالنسبة له لا شيء ، فانه لا يستطيع إدراك ذلك وفهمه وهكذا الأمر بالنسبة لنا نحن الذين نعيش في عالم المحسوسات فان شرح العوالم الأخرى غير قابلة للفهم كما يقول القرآن الكريم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرّة أعين ﴾ . نعم الشيء الموجود هو أن المخبر الصادق قد أخبرنا عنها فلذلك نصدق بها أيضاً .

الأرواح تتأذى ببعضها

يقول حَبَّةُ بن جُوَيْن العُرنِي : « خرجت مع أمير المؤمنين (ع) إلى ظهر الكوفة فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقامت بقيامه حتى أعيت ثم جلست حتى مللت ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جلست حتى مللت ثم قامت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين إنني قد أشفتك عليك من طول القيام فراحة ساعة^(١) ، ثم طرحت الرداء

(١) أي أرح راحة ، مصدر يحذف فعله .

ليجلس عليه فقال لي : يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته فقلت : يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك ؟ قال : نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون فقلت : أجسام أم أرواح ؟ فقال : أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن « (١) .

وادي السلام مكان الأرواح

وجاء في الأحاديث الأخرى ان كل مؤمن يموت في شرق الأرض أو غربها فإن روحه بعد أن تأخذ قالبها المثالي تظهر في وادي السلام إلى جوار أمير المؤمنين ، وبعبارة أخرى أن النجف الأشرف نموذج للملكوت الأعلى .

وهكذا تكون صحراء برهوت (٢) للكافر وهي واد مهيب في اليمن حيث لا نبات فيها ولا طائر يطير فوقها ، فهناك محل ظهور الملكوت الأسفل .

وما سمعتم به من أهمية جوار الإمام علي (ع) فانه يرجع إلى مجاورته روحياً مهما كان الجسد بعيداً ، فالقرب من الإمام علي (ع) يكون بالعلم والعمل وعندما يرتكب الشخص معصية واحدة فانه يتعد عن علي (ع) بنفس المقدار .

ولو كانت الروح مع علي (ع) والجسد يدفن في النجف أيضاً فسيكون أفضل وهي سعادة عظيمة . أما لا سمح الله لو ذهب الجسد إلى النجف وبقيت روحه معذبة في وادي برهوت . . . إذن يجب السعي لتقوية الاتصال الروحي وطبعاً فان دفن الجسد في النجف لا يكون عديم الفائدة بل له أكبر الأثر لأن ذلك يكون شكلاً من اشكال التوسل بأذيان كرم الإمام أمير المؤمنين (ع) .

وروي في كتاب مدينة المعاجز ، أن أمير المؤمنين (ع) بينما هو ذات يوم مشرف على النجف وإذا برجل قد أقبل من البرية راكباً على ناقة وقدامه جنازة ، فحين رأى علياً (ع) قصده حتى وصل إليه وسلم عليه ، فرد علي (ع) وقال له : من أين ؟

(١) أصول الكافي : ٣ / ٢٤٣

(٢) راجع ذلك في الكافي : ٣ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

قال : من اليمن .

قال (ع) : وما هذه الجنازة التي معك ؟

قال : جنازة أبي أتيت لأدفنها في هذه الأرض .

فقال علي (ع) : لِمَ لا دفنته في أرضكم ؟

قال : أوصى إليّ بذلك ، انه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربعة ومضر .

فقال (ع) : أتعرف ذلك الرجل ؟

فقال : لا .

قال علي (ع) : أنا والله ذلك الرجل ، أنا والله ذلك الرجل ، قم فادفن أباك . فقام

فدفن أباه^(١) .

وقد ذكر المرحوم المحدث القمي في مفاتيح الجنان مثلاً جيداً ومناسباً يرجع إلى أن كل من يلتجئ إلى قبر أمير المؤمنين (ع) المبارك فانه ينتفع بذلك حتماً وقال بأن من أمثال العرب أنهم يقولون أحمل من مجير الجراد . يعني أن حماية فلان لمن يلتجئ إليه أكثر من حماية مجير الجراد وقصة ذلك انه كان رجلاً من قبيلة طي يسكن البادية واسمه مدلج بن سويد ، وبينما كان جالساً في خيمته في أحد الأيام إذ رأى جماعة من قبيلة طي يتقدمون وبأيديهم أكياس وجراب فسألهم ما الخبر ؟ فقالوا : إن جراداً كثيراً قد نزل إلى جانب خيمتك وجئنا لتأخذه . فلما سمع مدلج ذلك نهض من مكانه وركب فرسه وأمسك برمحه وقال : أقسم بالله اني سأقتل كل من يعترض هذا الجراد ، فهل يكون هذا الجراد في جوارى وفي حمايتي وتأتون أنتم لتأخذونه ، والله لا كان ذلك أبداً . واستمر يدافع عن الجراد حتى ارتفعت الشمس فطار الجراد وذهب وعند ذلك قال : لقد ذهب الجراد من جوارى فأنتم وما تصنعون .

وعلى كل حال إن من البديهي إذا أراد شخص أن يوصل نفسه إلى جوار أمير المؤمنين (ع) ويحتمي به فسوف ينتفع بحماية ذلك الإمام قطعاً .

(١) ارشاد القلوب للديلمي ص ٤٤٠ .

ملاقة الروح مع القبر أكثر

ويقول المحدث الجزائري في أواخر كتاب الأنوار النعمانية بأنك إذا قلت بما أن الأرواح في القوالب المثالية وموجودة في وادي السلام إذن لماذا ورد الأمر بالذهاب إلى قبورهم ، وكيف تعلم الأرواح بمن يزورها عندما لا تكون في ذلك المكان .

فنقول في الجواب إنه قد روي عن الإمام الصادق (ع) ان الأرواح وإن كانت في وادي السلام إلا أن لديها إحاطة علمية بمحل قبورها حيث يعلمون بمن يزور قبورهم ، وقد شبه الإمام (ع) الأرواح بالشمس فكما أن الشمس ليست في الأرض وإنما في السماء إلا أن شعاعها يحيط بالأرض فكذلك الإحاطة العلمية للأرواح .

وأقول كما أن ظهور شعاع الشمس في أماكن مثل المرآة والبلور أكثر من الأماكن الأخرى قطعاً ، فكذلك يكون توجه وإحاطة الروح بالقبر أكثر من الأماكن الأخرى لأن ذلك الجسد الذي كانت تعمل فيه سنوات عديدة وتمكنت من الوصول إلى الكمالات والسعادات ببركته يكون مورد نظرها وتعلقها ، ومن هذا البيان يتضح جواب من يقول إن الإمام (ع) حاضري جميع الأماكن فما الداعي للذهاب إلى زيارة قبره الشريف ، فلافرق بين ذلك المكان والأمكنة الأخرى . إلا أنه لا شك في أن محل القبور الشريفة للأئمة (ع) وكبار رجال الدين تكون محط أنظار تلك الأرواح الشريفة دائماً ومحل نزول البركات والرحمات الالهية وتردد الملائكة ، فلو أن أحداً أراد الاستفادة الكاملة من أولئك العظام فيجب أن لا يترك هذه الأماكن المباركة وعليه أن يوصل نفسه إليها مهما أمكنه ذلك .

شبهة أخرى وجوابها

وهناك شبهة ضعيفة يلقيها البعض حيث يقولون : بما أن الروح تتعلق بعد الموت ببدن لطيف باسم البدن المثالي والذي يشبه هذا البدن بالتفصيل السابق وترى الثواب والعقاب بذلك البدن . فيقولون ان الإنسان قد عبد الله تعالى بهذا البدن المادي والترابي فلماذا يصل الثواب إلى بدن آخر ، وأنه قد عصي بهذا الجسد المتلاشي في القبر فلماذا يحاسب ذلك البدن ويعذب ؟ ولهذا السؤال عدة أجوبة :

١ - منها ما ذكره المجلسي عليه الرحمة بأن البدن المثالي ليس شيئاً خارجياً يأتون به بعد الموت إلى القبر ويقولون مثلاً أيتها الروح تفضلي وادخلي في هذا البدن - وإنما البدن المثالي هو بدن لطيف بحيث يكون مع الشخص في هذا الوقت أيضاً - فلكل روح جسدان أحدهما لطيف والآخر كثيف ، وقد عبد بكل منهما وعصى بكل منهما أيضاً ، ولأجل أن يتضح ذلك أكثر نقول : إن البدن المثالي يفترق عن البدن المادي أثناء النوم فلا يستبعد أن ما يراه الإنسان في عالم الرؤيا يكون بالبدن المثالي ، المشي والتكلم يكون بالبدن المثالي فيمكنه في لحظة واحدة أن يذهب إلى كربلاء ويذهب إلى مشهد ، ويسافر إلى الشرق والغرب فهو غير مقيد بشيء . فعلى هذا يكون البدن المثالي مع الشخص دائماً إلا أنه ينفصل عن البدن الجسماني أثناء الموت بصورة كاملة ، وكلام المجلسي هذا علمي جداً وله شواهد عديدة .

٢ - والجواب الثاني أن روح الإنسان بعد الموت على شكل يشبه شكل جسدها الدنيوي . لا أنها تتعلق بجسد خارجي ، وإنما يكون شكل الروح على هيئة البدن المادي فسواء سميته بدنأ مثالياً أو قالباً برزخياً أو روحاً ، لكن بما أنه لطيف فلا يمكن للعين المادية أن تراه ، والخلاصة أن الروح هي التي ارتكبت المعصية في الدنيا وهي التي سوف تعذب بعد ذلك سواء أعلقت بالبدن المثالي أو كانت مستقلة وفي يوم القيامة تأتي بهذا البدن المادي كما سيأتي في محله .

نواب وعذاب البرزخ في القرآن :

١ - ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (١) .

من جملة الآيات القرآنية التي لها دلالة على عذاب البرزخ هي هذه الآية الشريفة التي تتعلق بأصحاب فرعون ، وآل فرعون وهم الذين أغرقوا في النيل وماتوا ، يعرضون على النار منذ ذلك الوقت صباحاً ومساءً وإلى يوم القيامة ثم يقعون في العذاب الأشد . والإمام الصادق (ع) يقول : « ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن النار يوم القيامة لا تكون غدواً

(١) سورة غافر / ٤٦ .

وعشيًّا»^(١). وقال رسول الله (ص) : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيَّ إن كان من أهل الجنة من الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة »^(٢) .

٢ - ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴾ سورة هود/ ١٠٦ - ١٠٨ .

فيقول الإمام (ع) : إن هذه الآية متعلقة بالبرزخ والمقصود هو العذاب والثواب البرزخي وإلا فإنه لا سماء في يوم القيامة (إذا السماء انشقت) وتبدل الأرض أيضاً وهي غير هذه الأرض .

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ .

٣ - ﴿ قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ يس/ ٢٦ - ٢٧ .

وتتعلق هذه الآية الشريفة بحبيب النجار المؤمن بين الفراعنة فبعد أن دعا قومه إلى اتباع الأنبياء هَدَدُوهُ (بالبيان المذكور في تفسير سورة يس) وأخيراً صلبوه وقتلوه فلما مات وصل إلى الثواب الالهي وقال : يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين .

فهنا يقول الله عز وجل « قيل ادخل الجنة » ويقول الإمام (ع) : إنها الجنة البرزخية وقد عبر عنها في رواية أخرى بالجنة الدنيوية يعني الأقل مرتبة (من جنة القيامة) .

وعلى كل حال ، فإن ظاهر الآية الشريفة هو أن المؤمن من آل فرعون بمجرد أن استشهد دخل الجنة البرزخية وبما أن قومه لا يزالون في الدنيا قال : يا ليت قومي يعلمون بما أعطاني الله تعالى من الثواب والنعيم لكي يتوبوا ويتجهوا إلى الله تعالى .

(١) و(٢) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٨٤ .

٤ - ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ طه/ ١٢٤ .

وقد ذكر أكثر المفسرين أن (معيشة ضنكاً) اشارة إلى العذاب في القبر والبرزخ وقد روي هذا المعنى أيضاً عن الإمام السجاد (ع) .

٥ - ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ المؤمنون/ ٩٩ - ١٠٠ ..

وتدل هذه الآية بوضوح على أن الإنسان له حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا وقبل حياة الآخرة والقيامة وهي الحد الفاصل بينهما وهي الحياة التي يطلق عليها عالم القبر وعالم البرزخ .

والخلاصة ان التدبر في مجموع الآيات المذكورة وآيات أخرى يعلم منه أن الروح الإنسانية حقيقة مغايرة للبدن ، فهناك نوع من الاتحاد بين البدن والروح والتي تدير البدن بواسطة الارادة والشعور وان شخصية الإنسان بالروح لا بالبدن الذي يتلاشى بالموت ، ويفنى بفناء الأجزاء فحقيقة الإنسان وشخصيته هي الروح التي تبقى بعد الموت وتعيش في سعادة وحياة أبدية أو في شقاوة أبدية كذلك ، والسعادة والشقاوة مرتبطتان بملكاته النفسية وأعماله في هذا العالم وليستا مرتبطتين بالخصوصيات الجسمية والاجتماعية . وقد أقام حكماء الإسلام البراهين العقلية في اثبات أن الروح هي غير البدن ولا تفنى بالموت وتختلف أحكامها وخصوصياتها مع خصوصيات البدن وأحكامه ، ولسنا محتاجين إلى ذكرها بعد قول الله تعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام ، وهذا الموضوع بالنسبة لنا أوضح من الشمس .

٦ - ومن جملة الآيات القرآنية المتعلقة بالجنة البرزخية هو ما جاء في آخر سورة الفجر حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ يعني في محمد وآل محمد (ص) .

وهناك آيات أخرى تتحدث عن الجنة البرزخية والجحيم البرزخي صراحة أو كناية ، ولكن يكفي هذا المقدار .

الثواب والعقاب البرزخي في الأخبار

الأخبار الواردة في موضوع الثواب والعقاب في عالم البرزخ كثيرة ونكتفي في هذا المقام بذكر بعض منها فقد ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه انه قال : (١)

« إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له أهله وماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول : خذ مني كفنك ثم يلتفت إلى ولده فيقول : والله إنني كنت لك لمحجاً واني كنت عليك لمحامياً فماذا لي عندكم ؟ فيقولون : نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها ثم يلتفت إلى عمله فيقول : والله إنني كنت فيك لزاهد وانك كنت عليّ لثقيلاً فماذا عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك فان كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأزينهم ريشاً فيقول : أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم قد قدمت خير مقدم فيقول من أنت فيقول انا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة ، وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله فإذا دخل قبره أتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران أشعارهما ويبحثان الأرض بانيابهما وأصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له : من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول : الله ربي ومحمد نبيّ والإسلام ديني فيقولان : ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله الله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ﴾ . الآية ، فيفسحان له في قبره مدّ بصره ويفتحان له باباً إلى الجنة ويقولان نم قرير العين نوم الشاب الناعم وهو قوله ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ وإذا كان لربه عدواً فانه يأتيه أقبح خلق الله ريشاً وأنتنه ريحاً فيقول له : ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه فإذا ادخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم قالاه : من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري ، فيقولان له : ما دريت ولا هديت فيضربانه بمردبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له : نم بشر حال فيكون من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلّط الله عليه حيات الأرض وعقاربها

(١) الكافي : ٣ / ٢٣١ - ٢٣٣ .

وهوامها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليرتمى قيام الساعة مما هو فيه من الشر .

وأيضاً ما ذكر عن الإمام الصادق (ع) حيث يقول الإمام (ع) في آخر الحديث « فإذا قبضه الله عز وجل سِيرَ تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا »^(١) .

وفي حديث آخر في جواب من سأله عن تلاقي أرواح المؤمنين انه (ع) قال :

« نعم ، يتسألون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان .

وفي حديث آخر انه (ع) قال :

« ان الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تعارف وتساءل فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول دعوها فانها قد افلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان فان قالت لهم تركته حياً ارجوه وان قالت لهم قد هلك قالوا : قد هوى هوى »^(٢) (فهو إشارة إلى انه قد ذهب إلى جهنم حيث لم يأت إلى هنا) .

ويروي في المجلد الثالث من البحار نقلاً عن كتاب الكافي وغيره عدة روايات وخلاصتها هي أن الأرواح في عالم البرزخ تأتي لتتفقد الأهل والأقرباء وتساءل عن حالهم والبعض منها يأتي كل يوم والبعض الآخر يأتي في كل يومين مرة ، والبعض في كل ثلاثة أيام مرة والبعض في كل يوم جمعة والبعض في كل شهر مرة واحدة والبعض مرة واحدة في كل سنة وهذا الاختلاف يكون بالنسبة لاختلاف حالهم ومقامهم وحريتهم^(٣) .

وقد ورد في رواية عن الصادق (ع) انه قال : ان المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره ، وان الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب ، قال : ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله^(٤) .

(١) ن . م ، ص / ٢٤٥ .

(٢) البحار : ج ٦ ، ص ٢٥٠ والكافي : ٣ / ٢٤٤ .

(٣) البحار : ج ٦ ، ص ٢٥٧ والكافي : ٣ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٤) البحار : ج ٦ ، ص ٢٥٦ والكافي : ٣ / ٢٣٠ .

حوض الكوثر في البرزخ

وروي في كتب متعددة عن عبدالله بن سنان حيث سأل الإمام أبي جعفر الصادق (ع) عن حوض الكوثر ، فقال :

«حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أحب أن تراه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب رجله فنظرت (بعد أن زال الحجاب الملكوتي عن بصره) إلى نهر يجري لا تدرك حافته إلا الموضع الذي أنا فيه قائم فانه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفاً فنظرت إلى نهر يجري - جانبه هذا ماء أبيض من الثلج ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت فما رأيت شيئاً أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء فقلت : جعلت فداك من أين يخرج هذا ومن أين مجراه ؟ فقال : هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنة عين من ماء وعين من لبن وعين من خمر تجري في هذا النهر ، ورأيت حافته عليهما شجر فيهن حور معلقات برؤوسهن شعر ما رأيت شيئاً أحسن منهن وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا فدنا من إحداهن فأومأ بيده لتسقيه فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت ثم ناولته فشرب ثم ناولها وأومئ إليها فمالت لتغرف فمال الشجر معها ثم ناولته فناولني فشربت فما رأيت شراباً كان ألين منه ولا ألد منه وكانت رائحته رائحة المسك فنظرت في الكاس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب فقلت : جعلت فداك ما رأيت كالיום قط ولا كنت أرى ان الأمر هكذا فقال لي : هذا أقل ما أعده الله لشيئتنا إن المؤمن إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر فرغت في رياضه وشربت من شرابه وإن عدونا إذا توفي صارت روحه إلى وادي برهوت فأخلدت في عذابه وأطعمت من زقومه وأسقيت من حميمه فاستعينوا بالله من ذلك الوادي^(١) .

ومن جملة الأشخاص الذين شاهدوا جنة البرزخ في هذا العالم هم أصحاب سيد الشهداء (ع) حيث أراهم الإمام الحسين (ع) ذلك في ليلة العاشر من المحرم وقد روي عن الإمام الباقر (ع) عن رسول الله (ص) أنه قال : « والذي نفسي بيده لا تفارق روح

(١) البحار : ج ٦ . ص ٢٨٧ .

جسد صاحبها حتى تأكل من ثمار الجنة أو من شجر الزقوم . . . الحديث» (١) .

برهوت محل جهنم البرزخية

وكما سبق وذكرنا من أن وادي السلام هو محل ظهور وتجمع الأرواح السعيدة فكذلك برهوت وهي صحراء جافة لا ماء فيها ولا علف هي محل جهنم البرزخية ومحل عذاب الأرواح الخبيثة ، وأذكر حديثاً حول هذا الموضوع ليتضح المطلوب أكثر :

جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً ، فقال : وما رأيت ؟ قال : كان لي مريض ونعت له من ماء بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت (حيث يمكن معالجة بعض الأمراض الجلدية بالمياه المعدنية) . فتهيأت ومعى قربة وقدر لأخذ من مائها وأصب في القرية ، إذ شيء قد هبط من جو السماء كهيئة السلسلة وهو يقول يا هذا اسقني الساعة أموت ، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدر لأسقيه فإذا رجل في عنقه سلسلة فلما ذهبت أنأوله القدر اجتذب حتى علق بالشمس ، ثم أقبلت على الماء أغرف إذ أقبل الثانية وهو يقول العطش العطش يا هذا اسقني الساعة أموت فرفعت إليه القدر لأسقيه فاجتذب حتى علق بعين الشمس ، حتى فعل ذلك الثالثة وشدت قربتي ولم أسقه فقال رسول الله (ص) : ذاك قابيل بن آدم قتل أخاه . وهو قوله عز وجل : ﴿ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (٢) .

وذكر السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي ، في كتابه نور الأبصار عن أبي القاسم بن محمد انه قال : كنت في المسجد الحرام فرأيت اناساً مجتمعين في مقام ابراهيم (ع) فسألت عن السبب فقبل راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يروي خبراً عجيباً ، فتقدمت ورأيت شيخاً كبيراً عظيم الجنة لباسه من الصوف وهو جالس يتحدث ويقول :

- كنت إلى جانب البحر في صومعتي وفي أحد الأيام تأقت نفسي إلى الساحل ،

(١) ن . م ص ١٩٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٦ ، ص ٢٩١ .

فرايت طائراً عظيماً جاء ونزل على صخرة وتقياً من بدن رجل ربعاً وذهب ، ثم جاء مرة ثانية وتقياً ربعاً آخر حتى فعل ذلك أربع مرات وهو يتقياً أعضاء ذلك الرجل ثم قام ذلك الرجل وأصبح رجلاً سوياً ، فتعجبت من ذلك كثيراً ، فما لبث أن جاء ذلك الطائر وبلغ من ذلك الرجل ربعاً وذهب حتى فعل ذلك أربع مرات وفي المرة الرابعة لم يبق من ذلك الرجل شيء ، فتحيرت من أمر ذلك الرجل وتأسفت على اني لم أسأله عن اسمه وحاله ، فلما كان اليوم الثاني رأيت ذلك الطائر مرة أخرى وتقياً ربعاً من ذلك الرجل على صخرة حتى فعل ذلك عدة مرات وتقياً جميع أعضاء ذلك الرجل فقام رجلاً سوياً ، فركضت من صومعتي إليه وأقسمت عليه بالله ان يخبرني عن اسمه ، فلم يجب ، فقلت : أقسمت عليك بحق من خلقك إلا ما أخبرتني عن اسمك ، فقال : انا ابن ملجم ، فقلت : وكيف صرت بهذا الحال مع هذا الطائر ، فقال : لقد قتلت عليّ بن أبي طالب وقد أوكّل الله عذابي إلى هذا الطائر فهو يعذبني كل يوم بهذه الصورة . فخرجت من صومعتي وسألت عن عليّ بن أبي طالب ، فقليل انه ابن عم محمد (ص) ووصيه ، فأسلمت عند ذلك وأتيت لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسوله الكريم (ص) .

الفصل الثالث

« القيامة »

القيامة بحكم العقل :

لو لم تكن لدينا أدلة نقلية ، ولو فرضنا عدم مجيء الأنبياء والرسول الذين يدعون الناس إلى الإيمان بيوم الجزاء والمحاسبة على الأفعال والاعتقادات ، فإن العقل هو أكبر شاهد ودليل على أن هذا العالم وهذه الكائنات لم تخلق بدون هدف وغاية . . وكل عاقل عندما ينظر إلى ما حوله في الليل والنهار ويرى كل هذه الكائنات اللامتناهية ، ويأكل وينام ويتخلى وينال الشهوات . . فهل يمكن أن يكون كل ذلك هو الهدف إذن فالإنسان خلق مصنعاً للنجاسة وهذا لغو وعبث . فلو كان الهدف هو الأكل وإشباع الشهوات فالحيوانات موجودة بما فيه الكفاية ولا حاجة للإنسان في هذه الحالة ؟ !

أولئك الذين لا يعترفون بالمعاد لا ينكرون أن يكون الله عز وجل حكيماً (استغفر الله) لأن معنى ذلك أن كل هذه المخلوقات قد خلقت عبثاً ، وهذا خطأ واضح فكل شيء نلاحظه في كل مكان نراه مصحوباً بالآلاف الحكم والفوائد التي قد يدرك الإنسان قسماً بسيطاً منها ، فلا يخلو أي مخلوق مهما كان ضعيفاً من الفائدة والحكمة حتى الأجزاء الزائدة من البدن كالشعر والأظافر ، فمن جملة الحكم والمصالح الكامنة في الأظافر أنها تكون للأصابع بمنزلة الوقاية ، وعندما يريد الإنسان أن يرفع شيئاً فإن ذلك يكون ببركة هذا الاظفر حيث يتحمل الضغط الوارد على الأصابع ، وإلا لصعب ذلك كما نلاحظه عندما يقصّ الاظفر من الأساس فكيف لو لم يكن هناك أظفر أصلاً .

والشيء الآخر هو أن الإنسان يستفيد من الأظافر لحك أجزاء بدنه إضافة إلى أن البدن يدفع الأشياء الزائدة والمواد المضرة بواسطة الأظافر ، ولذلك ورد الأمر بقص الأظافر مرة واحدة في الأسبوع على الأقل (خصوصاً في يوم الجمعة) .

شعرة واحدة في البدن لا تخلو من المصلحة ، الإمام الصادق (ع) يقول للمفضل : « إن الله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمده عليها من أعلم أن آلام البدن وادواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات فتخرج الآلام والادواء بخروجهما ، وإذا هالما تحيراً وقل خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً » (١) .

عندما ينظر الإنسان إلى جميع أجزاء عالم الوجود يراها مليئة بالفوائد والمنافع .

وقد اشتهر أن جالينوس الحكيم اعترض على خلقه حشرة (الجعل) وادعى عدم وجود الفائدة منها فلماذا خلقها الله عز وجل ؟ إلى أن ابتلي بمرض في عينه ومع أنه كان من أفضل الأطباء وعالج نفسه بالأدوية المختلفة ولكنها لم تنفع في شفائه . وعالجه أطباء آخرون بدون جدوى ، إلى أن أتته في أحد الأيام عجوز وقالت بأن لدي دواءً نافعاً لوجع العين ، فلما استعمله عوفي من مرضه ، فسأل عن عناصر ذلك الدواء فعلم أن بعضه مأخوذ من بدن ذلك (الجعل) .

لا توجد ذرة من ذرات عالم الوجود من دون فائدة . فهل يكون نفس عالم الوجود بدون فائدة ؟ ! إذا كان جزء صغير من أجزاء البدن وهو الأظفر قد خلق لحكمة وغاية فهل يمكن أن يكون الإنسان قد خلق من دون هدف وغاية ؟ ! هيهات . . .

لقد اتفق العلماء الجدد في هذا العصر على أنهم لم يدركوا جميع الحكم والمصالح في جهاز الخليفة ويعلم الله كم من العجائب ستكشف فيما بعد كما كان الغربيون يعتقدون قبل أربعين سنة أن الزائدة الدودية خالية من الفائدة في بدن الإنسان ، حتى أنه كان من المتعارف أن يتوجه الأشخاص الأصحاء إلى المستشفى لإزالة هذه الزائدة بعملية جراحية

(١) توحيد المفضل : ص ٧١ - ٧٢ .

إلى أن أعلن يوماً أنه لا ينبغي على الأصحاء فعل ذلك لأنهم أدركوا أن هذه الزائدة بحكم ناقوص الخطر بالنسبة للأمعاء (ويمكن أن تكون هناك مصالح أخرى لم يدركوها بعد) .

لا يوجد سن واحد في بدن الإنسان بدون مصلحة ، فما تفعله الأسنان الطاحنة لا تقدر عليه الأسنان القاطعة ، فلا يوجد عظم واحد من ٢٤٨ عظماً في البدن بدون فائدة أي انه لو لم يكن لأصبح البدن ناقصاً وهكذا بالنسبة إلى الأوعية والشرابين وغير ذلك ، فهل يمكن أن يكون البدن بأجمعه خالياً من المصلحة ؟ !

هل نتيجة ذلك هي الفناء ؟ !

بعد أن علمنا أن خالق العالم حكيم ، وان كل شيء في المخلوقات لا يخلو من المصلحة ، وجب أن نفكر ونتدبر في الغرض من إيجاد أصل العالم ، فالهدف من إيجاد كل هذه الجمادات والحيوانات والنباتات هو ما تحمله من الفوائد والمنافع للإنسان ، فهل أن الغرض من إيجاد الإنسان هو هذه الحياة الدنيوية والمادية بحيث أن مصيره بعد الموت يكون إلى الفناء إذن ستكون حياة الإنسان في هذا العالم عبثاً ولغواً حتى لو افترضنا انها كانت حياة سعيدة وخالية من الآلام والمصائب من أول العمر إلى آخره لأنها مهما تكن حسنة فلا اعتبار بها لأنها فانية فكيف ونحن نرى الحياة المادية للإنسان مليئة بالغصص والمصائب والفجائع المختلفة .

والحقيقة أن الإنسان لو كان ينعدم بالموت وكانت حياته منحصرة بهذه الحياة المادية المخلوطة بأنواع المصائب والبلايا الجسمية والروحية والأمراض والفتن وتلف وغصب الأموال وموت الأولاد وسائر الفجائع الأخرى لكان أصل الخلقة والإيجاد لغواً وعبثاً ومنافياً لحكمة وكرم الله عز وجل وسائر صفاته الكمالية ، وفي هذه الصورة تكون خلقة الإنسان في هذا العالم مثل أن يدعو أحد الكرماء شخصاً لضيافته ويكون بيته مليئاً بالعقارب والحشرات المؤذية والحيوانات المفترسة من الأسد والنمر وغيرها ، فعندما يدخل الضيف يقدمون له الطعام ولكن لا يتناول لقمة واحدة إلا ويلدغه عقرب ويلسعه زنبور وكذلك يقف عند رأسه قاتلوه وهم يحملون السيوف فقبل أن يتناول شيئاً من ذلك الطعام يضربون عنقه .

إذن فلا بد أن يكون للإنسان حياة أخرى وعالم أفضل حيث تكمن فيه جميع

السعادات أي أن يصل إلى السعادة التي لا يخالطها أي حزن أو غم ويحصل على اللذة التي لا يعترها الفناء والزوال .

فهذا علمنا بالبرهان العقلي القطعي بأن الله عز وجل خلق الإنسان للحياة الأبدية والسعادة الدائمة ، وقد جعله الله تعالى في هذه الدنيا بشكل مؤقت لكي يسعى لتحصيل حياته الباقية ويزود لتلك الحياة الأخرى ويرتفع بجناحي العلم والعمل من هذا العالم إلى العالم الأبدى وفي الحقيقة لو أن الإنسان راجع عقله ووجدانه وفطرته لعلم انه من الممكن الشك والتردد في أي شيء إلا في مسألة المبدأ والمعاد أي الاعتقاد بخالق العالم والاعتقاد بالحياة الأخرى بعد الموت ، حيث لا يمكن أن يدخل هاتين المسألتين الشك والتردد ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها ﴾^(١) والشيء الذي نراه هو أن أكثر الناس قد أضاعوا فطرتهم بارتكاب المعاصي واتباع الشهوات والاشتغال بالماديات حتى امتلأوا بالشبهات والشكوك ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾^(٢) .

إذن فالعقل يحكم بأن هناك غرض وهدف من خلقه كل هذه الكائنات والعوالم سوف تظهر في اليوم المعلوم ولا بد أن يكون هناك عالم آخر بعد هذا العالم الدنيوي .

العدل الإلهي يقتضي وجود يوم الجزاء :

قلنا في بحث التوحيد وفي ضمن بيان صفات الباري عز وجل أن الله سبحانه وتعالى عادل ، وقد تفضل على مخلوقات بكل ما يحتاجون إليه تكويناً بدون أن يسأله ذلك .

ومن موارد العدل الإلهي هو مجازات الأفراد الصالحين الذين قضوا عمرهم في العبادة والأعمال الصالحة والخيرات ولم يلاقوا جزاءهم في هذه الدنيا كما ينبغي لهم ذلك ، وكذلك بالنسبة إلى الظالمين وأهل الشر الذين فعلوا المنكرات والمفاسد وظلموا أنفسهم والعباد حيث لم نجد انهم قد نالوا جزاءهم في هذه الدنيا بل نحن نجد في الغالب أن أهل الفساد أفضل حالاً في الدنيا من أهل الخير والصلاح . وكذلك نرى ظلم الناس

(١) سورة الحج / ٧ .

(٢) سورة القيامة / ٥ .

بعضهم لبعض من هتك الأعراض واراقة الدماء وغصب الأموال ، وبما أن الله تعالى عادل إذن فلا بد انه سيجمع الناس ليوم لا ريب فيه وينال كل فرد جزاءه العادل ﴿ ليحزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ﴾ وينال الظالم ما وعد من العذاب وينتقم المقتول من قاتله ويحصل المظلوم على الثواب والأجر وكذلك ينال العباد الصالحون ثوابهم والأشرار عقابهم ليظهر عدله في ذلك اليوم .

الصادقون يخبرون من القيامة :

وقد أخبر عن حدوث يوم القيامة الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين هم أصدق الناس وكلامهم حجة وبرهان (كما ذكر ذلك في بحث النبوة) واجمع المؤمنون والمتدينون من كل مذهب ودين على ذلك ، وفي الحقيقة ان أساس الديانات تعود إلى أصلين وهما المبدأ والمعاد ، وقد ذكر الاعتقاد بالله والإيمان بيوم القيامة في أكثر آيات القرآن الكريم ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ ويشارك في ذلك جميع المذاهب والديانات .

وبما أن المخبرين الصادقين الذي يصل عددهم إلى عشرات الألوف قد أخبروا بمجيء يوم القيامة ، إذن فالعقل يحكم بالتواتر انه يجب قبول ذلك والاعتقاد به . . .

أدل دليل على الإمكان « الوقوع » :

وكما سبق وذكرنا أن مسألة المعاد ليست محالاً عقلياً ، فعندما يتدبر العقل يجد أن القيامة أمر ممكن ، إضافة إلى أخبار المخبرين الصادقين وهم ألوف الأنبياء وأوصيائهم حيث يكون ذلك كافياً في قبول العقل السليم .

وقد ذكر بعض الجهال شبهة وهي أن « إعادة المعدوم محال » أي لا يمكن إعادة الشيء إذا أصبح عدماً ، ولم يذكروا أي دليل لهذا المدعى بل يقولون : إن دليلنا هو وضوح المطلب وضرورته !! وحتى لو جاؤوا بدليل فقد أجبنا عن ذلك :

أولاً : كما قال المحقق نصير الدين الطوسي عليه الرحمة من أن المعاد ليس إعادة للمعدوم ، بل هو جمع المتفرقات ويوضح ذلك بأن البدن مركب من أجزاء وعناصر وذرات صغيرة جداً ، وعندما تكون القيامة تجتمع هذه الذرات المتفرقة بقدره الله تعالى . إذن

فالمعاد يعني جميع الأجزاء المتفرقة وضم الروح إلى الجسد بعد افتراقهما فالمعاد ليس هو إعادةً للمعدوم حتى يكون ممتنعاً وأفضل دليل على إمكان ذلك هو وقوعه فكل إنسان لو فكر مع نفسه لأدرك أن بدنه كان ذرات متفرقة فيما سبق فبعض منها من تراب والبعض الآخر من الهواء والماء حيث اجتمعت بقدرة الخالق وصارت بصورة نباتية كالخضروات والبقولات وكذلك بصورة حيوانية ، ثم انها دخلت إلى معدة الأب وتفرقت للمرة الثانية في جسده ثم أن زبدة ذلك الطعام المتفرق في البدن تجتمع عند هيجان الشهوة من جميع الأعضاء بصورة مني في ظهر الأب ويخرج ليستقر في الرحم ، ولذلك وجب بعد هذه الحالة الغسل لأن ذرات النطفة مأخوذة من جميع أجزاء البدن . وعلى كل حال فإن كل بدن كان أجزاءً متفرقة مرتين قبل تكونه حيث جمعته يد القدرة الالهية ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾^(١) والمرة الثانية عندما كان متفرقاً في جسد الأب .

وبعد أن علمنا ذلك فهل هناك محل للتعجب إذا اجتمعت هذه الذرات للمرة الثالثة بعد تفرق أجزاء البدن وتناثرها في القبر إلى ذرات ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾^(٢) ومعنى ذلك : أيها الإنسان لقد كنت تراباً وجمعتك بقدرتي بصورة المأكولات المتنوعة، وبعد تفرقها في جسد الأب ، اجتمعت مرة ثانية بشكل نطفة وخرجت لتستقر في الرحم فأنتم ترون كل هذا التفرق والتجمع فلماذا تتعجبون إذا جمعناها للمرة الثالثة بعد تفرقها .

إحياء الموتى في هذه الدنيا

وكذلك ما نراه من رجوع الحياة للموتى في الدنيا ، فالحياة النباتية نجدها تعود إلى النباتات في الربيع بعد موتها وجفافها في الشتاء ، والأرض تحيا بعد موتها ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها ﴾^(٣) حتى أن ذلك حدث للإنسان أيضاً من إحياء الموتى على يد

(١) سورة الحج / ٥ .

(٢) سورة الواقعة / ٦٢ .

(٣) سورة الروم / ١٩ .

عيسى (عليه السلام) وكذلك الأئمة عليهم السلام وقد ذكر بعضها في كتب الأخبار ، وذكر بعضها في القرآن الكريم كذلك .

عزيز مئة مائة عام

وقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة عزيز (ع) في سورة البقرة ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأما الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ... ﴾^(١) وكان عزيز من أنبياء بني إسرائيل وحافظاً للتوراة كلها ، وكان معلماً وزعيماً لليهود في بيت المقدس ، وبينما كان مسافراً في إحدى المرات ومعه حمار ومقدار من الخبز والعنب إذ وصل إلى قرية كان قد هلك أهلها ولم يبق منهم سوى العظام النخرة فنظر عزيز إلى هذه العظام متعجباً وقال « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » وطبعاً فهو تساءل عن ذلك لتعجبه وليس إنكاراً منه للقيامة والبعث .

وأراد الله عز وجل أن يفهمه ذلك عن طريق الحس ، وإن القيامة بالنسبة لك عجيبة وعظيمة وأما عند الله تبارك وتعالى فهي أمر هيّن ، فأما الله تعالى في ذلك المكان وبقي مئة عام على ذلك الحال ، وأما حماره فقد أصبح عظاماً نخرة والعجب بالنسبة إلى العنب فهو مع رقة ولطافته بقي طرياً مئة عام .

ثم إن الله تبارك وتعالى أحى عزيزاً فرأى ملكاً على شكل إنسان فسأله : كم لك في هذا المكان ؟ فقال عزيز : يوم واحد أو أقل . فقال الملك : بل مئة عام . فلما نظر إلى حماره وجده عظاماً نخرة . فقال الملك : انظر إلى الحمار لترى قدرة الله عز وجل ، فرأى عزيز أن الذرات التي تجمعت بعد تحلل الحمار تحركت وأخذت أعضاؤه تتلاصق وتتكامل حتى أصبح حماراً كاملاً وتحرك من مكانه ، ثم قال له : انظر إلى العنب الذي لم يصيبه شيء فانظر إلى كل ذلك وأعلم أن الله على كل شيء قدير .

(١) سورة البقرة / ٢٥٩ .

فرجع عزيز إلى بيت المقدس فرأى أن المدينة قد تغيرت ولم يشاهد الأشخاص الذين كان يعرفهم ، فتوجه إلى منزله وطرق الباب فقبل له : من الطارق ؟ فقال : أنا عزيز ، فقالوا : أنت تمزح حتماً لأن عزيزاً مات قبل مائة عام ولم يرد منه أي خبر ، فهل لديك علامة لما تقول (وقد كان عزيز مستجاب الدعوة) ، وكانت خالته قد أصبحت عمياء فقالت له : ادع الله تعالى أن يرد عَلَيَّ بصري ، فدعا لها عزيز فأبصرت ، وذكر لها ما جرى عليه .

والحادثة الأخرى التي تحدث عنها القرآن الكريم هي عن النبي إبراهيم عليه السلام حيث قال : ﴿ رب ارني كيف تحيي الموتى ﴾ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن لبطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴿ ١ ﴾ .

وذكر في التفسير أن إبراهيم (ع) كان قد احتفظ برؤوس الطيور عنده فلما دعاها إليه رجعت أجزاء كل واحد من الطيور إلى ما كانت عليه وجاءت أبدان الطيور إلى رؤوسها فالتصقت ، وأراد إبراهيم اختبارها فوضع رأس أحدها أمام جسده غيره فلم يلتصق حتى جعله أمام جسده فالتصق به وعادت الطيور الأربعة إلى الحياة مرة أخرى .

الله عز وجل قادر على كل شيء

ويمكن أن يخطر على الأذهان أن هذه الذرات المتفرقة قد تبدلت وتغيرت كثيراً فكيف يمكن أن تجتمع بعد ذلك ؛ وهذه الشبهة ناشئة من الغفلة عن علم الله وقدرته ، وقد تقدم في بحث التوحيد أن الله تعالى « أحاط بكل شيء علماً » فلا تخرج ذرة واحدة عن إحاطته العلمية ، والشيء الآخر أنه على كل شيء قدير فلا مورد لهذه الشبهة . فهذا البدن عندما يتلاشى في القبر لا يندم نهائياً بل يتحول إلى تراب وهواء أو يصير طعاماً للحشرات أو يصير جزءاً من التمح أو سائر الحبوب الأخرى فهو لا يخرج من علم الله تعالى وسوف يجمع الله عز وجل هذه الذرات المتناثرة كما ذكر ذلك في قصة إبراهيم (ع) مع الطيور

(١) سورة البقرة / ٢٦٢ .

الأربعة التي قطعها إلى أجزاء ووضع كل قسم منها على جبل » .

وعلى كل حال فإن الله تعالى عالم بهذه الذرات مهما تحوّلت وتبدّلت ، وكذلك هو قادر على جمعها مرّة أخرى لتتألف الثواب أو العقاب التي تستحقه ، ونذكر بعض الأمثلة على قدرة الله تعالى وأنه على كل شيء قدير .

الماء والنار سوية

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾^(١) بالنسبة إلى شجرتي الطير والعقار إذا قطع منها غصن فسوف يقطر منه الماء لشدة رطوبتها وهاتان الشجرتان « واحدة ذكر والأخرى أنثى » إذا اصطكت أحدهما بالأخرى تتولد منها نار وهاتان الشجرتان معروفتان في جزيرة العرب ولهما أهمية بالغة حيث لم يكن هناك كبريت في ذلك الوقت فكانوا يستفيدون منهما في إشعال النار . والعجيب في هذا التضاد حيث أنها في الوقت الذي يقطر منها الماء يتولد منها نار عند احتكاكها فكيف جمع الله تعالى هذين المتضادين بقدرته ؟ !

وقد ذكر الحكماء أن كل الأشجار تحتوي في داخلها على النار ما عدا شجرة العناب . فهل ان الخالق لذلك لا يتمكن من إرجاع الروح مرة ثانية إلى البدن بعد جمعه ؟ !

كيف يحيي هذه العظام النخرة ؟

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرّة وهو بكل خلق عليم ﴾^(٢) .

جاء أبي بن خلف يوماً إلى مجلس النبي (ص) وبيده عظمة نخرة وقال وهو يضغط بيده على هذه العظمة ويفتها « من الذي يستطيع إحياء هذا العظم مرة أخرى » .

(١) سورة يس / ٨ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٧٩ - ٧٨ .

فأجاب الله تعالى عن هذا التساؤل الأحق بهذه الآية الشريفة أي أنك نسيت كيف ان الله تبارك وتعالى خلقك من العدم فهو قادر على إعادة الخلقة مرة أخرى .

وتمتاز ذرات بدن المؤمن عن غيره كذرات الذهب عندما تمتاز عن ذرات التراب حين نزول المطر ، وكما ذكرنا في قصة إبراهيم (ع) مع الطيور الأربعة وهي الغراب والديك والطيور والطاووس حيث قطع رؤوسها وطحن أجسادها وقسمها إلى ١٧ قسمًا ووضع كل قسم منها في موضع من الجبل وأمسك برؤوسها بيده ، ثم دعاها إليه فاجتمعت ذراتها ثم التصقت برؤوسها ، ووضع إبراهيم (ع) رأس الديك في مقابل جسد الطاووس فلم يلتصق به ، وهكذا لا يمكن أن يرد الاشتباه والخطأ في علم الله .

خلق الأفلاك أعظم

﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(١) ويقول في آية أخرى : ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾^(٢) فمن الطبيعي أن القادر على خلق السموات والأرض يكون قادراً على إحياء الإنسان مرة أخرى ومحاسبته على أعماله وأفعاله متى أراد ذلك ، فبمجرد أن يريد قيام يوم القيامة فإن ذلك يحدث بلحظة واحدة ويعود الجميع إلى الحياة في لحظة واحدة أيضاً .

دفع الضرر المحتمل واجب عقلاً

لو احتملنا حصول ضرر كبير ، فالعقل يحكم بوجوب الاحتياط والتدبر ، فمثلاً لو سافرنا عبر الصحراء الفلانية أو الطريق الفلاني واحتملنا وجود حيوان مفترس يريد افتراسنا أو لص يسرق أموالنا إلى أن يصل إلينا الضرر الشديد من ذلك فالعقل يحكم بترك سلوك ذلك الطريق حتى لو لم يكن ذلك الأمر يقيناً بل كان مجرد احتمال فيجب الذهاب من طريق آخر يطمئن الشخص إليه . إذن فنوعية الضرر تختلف ، فتارة يكون الضرر من قبيل السقوط في حفرة أو اصطدام القدم بحجر فلا يهتم لذلك ولكن قد يكون من قبيل

(١) سورة النساء / ٥٩ .

(٢) سورة يس / ٨١ .

السقوط في الوادي فكيف لو كان الخطر هو السقوط في وادي جهنم .

عندما يكون الضرر كبيراً فإن مجرد الاحتمال يكفي لوجوب الاحتياط وأضرب لك مثلاً : لو أن طفلاً قال لك بأن هناك عقرب خلف ثيابك فهل ستقول له أنت طفل لا تفهم ولا اعتبار بكلامك ؟ كلا بالطبع ، بل سوف تخلع لباسك وتبحث عن العقرب لأن الخطر جدي وكبير فهو عقرب وليس ريشة ، فمع انك لم تتيقن من ذلك بل كنت تحتل وجوده ، إلا أن العقل يأمرك بالاهتمام بهذا الاحتمال .

ولو أنك قصدت السفر وقال لك أحد الأشخاص إن الطريق لا يوجد فيه ماء فالاحتياط عقلاً يلزمك بتهيئة الماء وأخذه معك ، فلا انك وجدت ماءً في طريقك فالاحتياط لم يضرك شيئاً ولم يصبك عطش على أي حال .

بعد أن علمنا هذه القاعدة العقلية نقول : إن أربعة وعشرين ألف نبي أخبروا الناس وأنذروهم من الخطر بأن جميع أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم مثبتة في سجلات خاصة ، وإن كل عمل يصدر منك فهناك ملكان مأموران بكتابة ذلك ، فحتى لو لم يكن لديك يقين بالجزاء فإن العقل يأمرك بالاحتياط لأنك تحتل على الأقل حدوث ذلك فلا تظلم أحداً ولا تؤذيه .

أردت من خلال هذا الكلام أن يكون ذلك تأييداً للدليل العقلي على المعاد أي « ان الاعتقاد بالمعاد هو طريق الاحتياط العقلي » . وورد في كتاب أصول الكافي الحديث الثاني من ضمن كلام للإمام الصادق (ع) مع ابن أبي العوجاء .

ان الإمام (ع) قال :

« إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم ، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استوتيتهم وهم ، فقلت له : يرحمك الله وأيّ شيء نقول وأي شيء يقولون ؟ ما قلتي وقولهم إلا واحداً فقال (ع) :

- وكيف يكون قولك وقولهم واحداً ؟ وهم يقولون : إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً

ويدينون بأن في السماء إلهاً وانها عمران ، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد ، إلى آخر الحديث^(١) .

وكما تلاحظون أن الإمام (ع) استدل على الصانع بدليل الاحتياط وهذا هو الحد الأدنى من الاستدلال ، وإلا فاللازم علينا تحصيل اليقين بيوم الجزاء فلا يكفي الشك والترديد بل وحتى الظن في هذا الأمر .

القيامة الكبرى :

نحن نسلم بالقيامة ونتصور انها أمر هين وأما الدنيا فهي مهمة وكبيرة في تصورنا ، في حين أن الله تعالى يصف الدنيا في القرآن الكريم بأنها لهو ولعب وأما الآخرة فيسميها بالنبأ العظيم « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ » .

أجل ، فالقيامة أمر عظيم جداً حيث يجتمع في ذلك اليوم جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم وهم متحيرون ومذهولون نتيجة أعمالهم وكلهم في فزع وجزع إلا القليل منهم كما سنذكر ذلك فيما بعد .

لما عاد رسول الله (ص) من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبي (ص) : أسلم يا عمرو ويؤمنك الله من الفزع الأكبر ، قال يا محمد وما الفزع الأكبر ؟ فإني لا أفزع فقال: يا عمرو إنه ليس كما تظن وتحسب ، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله ، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات ويصفون جميعاً ، وتنشق السماء وتهد الأرض وتخرّ الجبال هدأً ، وترمي النار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر دينه وشغل نفسه إلا ما شاء الله فأين أنت يا عمرو من هذا ؟ قال : ألا إني أسمع أمراً عظيماً فأمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم^(٢) .

في ذلك اليوم يرى الإنسان مظاهر الخوف والفزع في كل ما يراه ، فالأرض قد

(١) أصول الكافي : ١ / ٧٤ - ٧٥ .

(٢) بحار الأنوار ، ج ٧ .

تغيرت تماماً ، فإضافة لما ذكرنا سابقاً فالأرض في يوم القيامة تفهم وتدرك ولها حياة وشعور وهي تحت قدم المؤمن هادئة ولطيفة ولكن تحت قدم الكافر نار مستعرة فلا شجر أو جبل يومئذٍ يحجب البصر فكل شخص يرى كل شيء وكلهم بشر ولكن الأشكال والصور مختلفة ، وقد كانوا في الدنيا بشكل واحد من دون تفاوت لكن أشكالهم في يوم القيامة تختلف باختلاف عقائدهم وأعمالهم .

الأشكال المختلفة في المحشر

﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾^(١) ورد في تفسير مجمع البيان في تفسير هذه الآية أن معاذاً سأل رسول الله (ص) عن معنى هذه الآية ، فقال (ص) : لقد سألت أمراً عظيماً ، ثم دارت في عينيه الدموع وقال :

« يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله من المسلمين وبذل صورهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق وجوههم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقدّروهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم أشد تنناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباًباً سابغة من قطرات لازقة بجلودهم ، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس (أي النّمّام) وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت (كمن يغش في البيع والمعاملات) وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا ، والعمي الجائرون في الحكم والصم والبكم المعجبون بأعمالهم والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم ، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلّبون على جذوع من نار فالسعادة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد تنناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم ، والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء »^(٢) .

(١) سورة النبا / ١٨ .

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي : ١٠ / ٤٢٣ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

وجاء في حديث آخر عن رسول الله (ص) « ومن ملأ عينيه من امرأة حراماً حشاهما الله يوم القيامة بمسامير من نار »^(١) .

ويقول المحدث فيض في كتاب عين اليقين أن الشارب للخمر يأتي يوم القيامة وقد علقت على رقبته قنينة الشراب وبيده القدح تفوح منه رائحة نتنة أتت من الجيف ويعرفه أهل الجمع ويلعنه كل من يمر عليه ، كما أن أهل اللهو والطرب يأتون إلى المحشر وفي أيديهم أدوات الضرب تضرب على رؤوسهم ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾^(٢) فكل شخص يعرف ذنبه من قيافته وشكله .

وأيضاً جاء في الكتاب المذكور الرواية الشريفة « يحشر بعض الناس على صور تحسن عندها القردة والخنازير » .

وكذلك روي عن رسول الله (ص) أنه قال :

« يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبناً ومشاة وعلى وجوههم . فقيل : يا رسول الله (ص) وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال (ص) : ثم الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » .

القلوب لدى الحناجر

﴿ وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾^(٣) فالقلوب في ذلك اليوم الرهيب تنخلع من شدة الفزع وتبقى ملتصقة بالحناجر فلا هي ترجع إلى مكانها وتستقر ولا هي تخرج فيموتوا ، وقد ملئت القلوب بالحسرة والألم والفزع بحيث تسد عليهم طريق التنفس كما ذكر ذلك في القرآن الكريم وصرح بأن الفزع ذلك اليوم يكون إلى درجة ﴿ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴾^(٤) ففي هذه الآية يصف الله عز وجل شدة الخوف والرعب بحيث تزول أقوى الروابط البشرية وتتهار أقوى العلاقات وهي علاقة الأم

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ، ص ١٤١ .

(٢) سورة الرحمن / ٤١ .

(٣) سورة غافر / ١٨ .

(٤) عبس / ٣٦ .

بالابن والأخ بأخيه والزوج بزوجه وكل واحد منهم مشغول بنفسه ويطلع نتيجة أعماله فلا يسعه المجال ليلتفت إلى الآخرين بل نجده يهرب منهم (يفر المرء من أخيه . . .) حيث يخاف من أن يطالبه بحقه .

أجل فهو ذلك اليوم الذي تحتبس فيه الأنفاس « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » .

الأمّنون من الفزع يوم القيامة

لقد وعد رسول الله (ص) عدة أشخاص بأنهم سوف يكونون آمنين من الفزع الأكبر وذلك بعدة خصال^(١) الأولى : توقيف شبيهة في الإسلام واحترام الشيخ الكبير لا سيما إذا كان الأب أو الأم .

والأخرى : هي اغاثة الملهوف^(٢) والمحتاج حيث وعد الله عز وجل ان يغثه يوم القيامة ، إضافة إلى إغاثته وإعانتة في الدنيا ، وذلك بأن يعين شخصاً قد أقعده الهم والغم على قضاء حاجته وغير ذلك . ومنها التعلق والمحبة للمسجد وكثرة الذهاب إليه حيث يأتي يوم القيامة بشكل مركب جميل إلى قبره فيركب فيه وينزل به إلى الجنة فيقول المؤمن : إذن أين الصراط ؟ فيقال لقد جزته فيقول : وما هذا المركب ؟ فيقال له : هو صورة ذلك المسجد التي كنت تحبه في الدنيا . أجل ، فينبغي على المؤمن أن يعرف قدر بيوت الله ولا يقصّر في احترامها والتردد عليها .

(١) الخصال التي تؤمن من الفزع الأكبر توقيف ذي شبيهة في الإسلام والدفن في الحرم والموت في أحد الحرمين ووضع اليد على القبر وقراءة القدر سبع مرات ومن عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عز وجل ومن مقت نفسه دون الناس ومن مات في طريق مكة ذاهباً أو جائياً (سفينة البحار ص ٣٦٠) .

(٢) عن أبي عبد الله (ع) قال : من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان عند جهده فنفس كربته وإعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنتان وسبعون رحمة من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها معيشته ، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزع يوم القيامة وإهواله . . (ثواب الأعمال - عقاب الأعمال) .

ومن جملة الأشخاص الأمنين من الفرع الأكبر هم أولئك الذين يموتون في مكة أو المدينة ، أو يدفنون هناك وكذلك من مات في طريق مكة أيضاً .

ومن الأمنين من أهوال القيامة أيضاً الشخص الذي مقت نفسه دون^(١) الناس ، فعندما يعاشر الناس ويرى منهم تقصيراً أو عيباً أو خلاف ما يتوقعه منهم فبدلاً من معاداتهم وبغضهم نجده يوجه اللوم إلى نفسه انه لماذا يكون لديك كل هذا التوقع من الآخرين ولماذا لا ترى عيوبك القطعية وتهتم بإصلاحها قبل أن تتبع عيوب الآخرين البسيطة والتي قد تكون قابلة للحمل على الصحة .

ومن جملة الأشخاص الموعودين بالأمان من الفرع الأكبر هو من طرأ عليه الغضب ولكنه كتم غضبه في سبيل الله مع أنه يستطيع إنفاذه ، وكذلك الشخص الذي طرأت عليه شهوة ومعصية ولكنه كف نفسه خوفاً من الله لا خوفاً من الافتضاح أو فقدان المال .

وهناك رحمة ولطف بالنسبة للأموات أيضاً عندما يضع المؤمن يده على قبر الميت ويقرأ عليه سبع مرات سورة القدر فسوف يكون ذلك الميت آمناً من الفرع الأكبر يوم القيامة .

ولاية علي هي الأمان الحقيقي

أما الأمان المطلق الذي لا يكون معه أي خوف فهو لمحبي علي بن أبي طالب (ع) ومواليه حيث ورد التعبير عنه في القرآن « بالحسنى » التي لا تعلوها أي حسنة أخرى وهي قوله تعالى :

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفرع الأكبر ﴾^(٢) سورة الأنبياء .

وقد روي عن رسول الله (ص) انه قال لعلي (ع) : يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتهم وتمنعون من كرهتم وأنتم الأمنون يوم الفرع الأكبر في ظل

(١) ثواب الأعمال / ص ٢١٦ .

(٢) سورة الأنبياء / ١٠١ - ١٠٣ .

العرش يتزع الناس ولا تفرعون ويحزن الناس ولا تحزنون وفيكم نزلت هذه الآية « إن الذين سبقوا لهم منّا الحسنى . الآية وفيكم نزلت لا يحزنهم الفزع الأكبر . . . الآية » (١) .

وجاء في تفاسير أهل السنة كالكشف والزمخشري ، وتفسير الإمام فخر الرازي والشعبي وروح البيان وغيرها أن رسول الله (ص) قال : من مات على حب آل محمد (ص) مات تائباً وخرج من الدنيا طاهراً وإذا بعث من قبره ورد المحشر بقلب مطمئن لا خوف فيه ولا هول من القيامة وتزينت له الجنة كما يُزين البيت للعروس إلى آخر الرواية المطولة ومحل الشاهد هو هذا المقطع منها انه في أمان من فزع وأهوال يوم القيامة .

تأمين المستقبل

أكثر آيات القرآن تتحدث عن يوم القيامة وأحوالها وأوضاعها بحيث يتحير الإنسان من أمر القيامة وانها كيف ستقع ومتى ؟ وقد أكد الله عز وجل على اليوم الآخر وأعطاه أهمية بالغة خصوصاً في أواخر القرآن الكريم في سورة الواقعة وما بعدها ، بل قلما تجد سورة في القرآن لم يرد فيها ذكر القيامة ، وقد ذكر لها ما يقارب السبعين اسماً كل ذلك يدل على شدة الاهتمام بها حتى يفكر الإنسان في آخرته ومستقبله .

الغرض من التذكير بالقيامة في كل هذه الآيات الشريفة هو تخويف الإنسان من ذلك اليوم وتشويقه في التهيؤ لذلك اليوم والتفكير في عقباته وأهواله والاستعداد له بمثل هذه الأمور التي ذكرناها في صدد الأمن من الفزع الأكبر .

الجميع يقولون : لا بد من العمل للمستقبل ، وهو كلام منطقي جداً وعقلاني إلا أن تطبيقه غير صحيح ولم ندرك المعنى الواقعي له ، فهل أن التفكير للمستقبل يتم بوضع الأموال في البنوك ؟ وهل أن عمر خمسين إلى ستين سنة - وهي احتمالية وغير يقينية - تستحق أن يتلف الإنسان وقته الثمين وعمره العزيز في جمع الأموال ثم يتركها ويموت ؟ !

(١) تفسير الصافي عن المحاسن .

كل هذا ناشيء من الجهل ، فهل هناك خطر الموت جوعاً حتى يستولي عليك الحرص وتفكر في تأمين المستقبل ؟ وكـم تعرف من الأشخاص الذين ماتوا جوعاً ؟ نعم إذا أصاب الناس القحط لا سمح الله فسوف يكون ذلك أحد أسباب الموت المقدرة وعند ذلك أيضاً لا تنفع الأموال . ففي هذا المجال لا خطر من المستقبل لأنه لو بقي لك عمر فإن الله تعالى قد ضمن الرزق أيضاً في تلك المدة ، بل وأقسم على ذلك : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون فرب السماء والأرض انه لحق ﴾^(١) إلا أنه بالنسبة لليوم الآخر رغب الناس ورهبهم وأمرهم بالاستعداد لذلك اليوم الخطير ، بل أن كل الخطر هو في ذلك اليوم فينبغي أن نسمي ونعمل بكل جدية حتى لا ندخل المحشر ونحن حفاة من كل خير ونقول : « الله كريم » فهذه الكلمة صحيحة وأن الله كريم واقعاً ولكننا إذا كنا نعلم ذلك فلماذا لم نقل ذلك بالنسبة إلى الدنيا ، إذن فيتضح أننا لا نصدق في كلامنا هذا .

إذا كنت تريد واقعاً أن تعمل للمستقبل فافتح لك حساباً عند البنك الالهي واجمع فيه عباداتك وأموالك وسوف يحفظها الله لك ويعوضك عنها بأحسن وأفضل منها في الآخرة ﴿ وما تقدّموا لأنفسكم من خير عند الله هو خير وأعظم أجراً ﴾^(٢) بل وفي هذه الدنيا أيضاً .

الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله الكريم في القرآن بالاستعداد والتخوف من ذلك اليوم ، فكيف بنا وذلك اليوم العسير ينتظرنا جميعاً .

إسرافيل ينفخ في الصور :

عندما تقوم القيامة فأول ما يقع هو النفخ في الصور حيث ذكره الله تعالى في عدة أماكن من القرآن ، والذي يستفاد من الآيات والأخبار الواردة أن النفخ في الصور يحدث مرتين : إحداهما نفخ إماتة والآخر نفخ إحياء كما قال تعالى في سورة المزمل الآية ٦٨ : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ .

(١) سورة الذاريات / ٢٣ - ٢٤) .

(٢) المزمل / ٢٠ .

وشرح ذلك هو أن لكل ملك من الملائكة الأربعة المقربين عند الله عز وجل وهم (جبرئيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل) مهمة خاصة به ، فجبرئيل مكلف بإنزال الوحي على الرسل والأنبياء ، وميكائيل مأمور بالأرزاق وعزرائيل مأمور بقبض الأرواح ، ووظيفة إسرافيل تكون في يوم القيامة فهو قابض على الصور دائماً ينتظر أمر الله تعالى بالنفخ فيه (كما يستفاد ذلك من الروايات) فعندما يصل إليه الأمر بذلك ينزل إلى الأرض .

عندما يتحرك إسرافيل تحدث ضجة في السماء يرتعد لها أهل السماء ، فينزل إلى الأرض في بيت المقدس محاذياً للكعبة وينادي في الصور : « موتوا » فيموت الجميع بنفخة واحدة ولا تبقى دابة على الأرض إلا وتموت ، وقد ورد في الروايات أن بعض الناس يكون مشغولاً بالبيع والشراء في السوق فعندما تحدث النفخة يموتون فوراً ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ كما تصرح بذلك الآية الشريفة .

ثم يؤمر بالنفخ بأهل السماء فلا يبقى ذرّ في السموات إلا ويموت ثم يؤمر بعد ذلك إسرافيل بأن يموت هو أيضاً .

لمن الملك اليوم ؟

ويرتفع النداء الإلهي : أيها الطواغيت وأيها الملوك الجبابرة أين أنتم الآن ولمن الحكومة المطلقة في هذا اليوم ؟ فلا يوجد أحد يجيب على ذلك النداء إلا قوله : « الله الواحد القهار » .

وتمضي مدة من الزمان على النفخة الأولى لتقع النفخة الثانية لإحياء الموتى وقيام القيامة ، وقد سئل الإمام (ع) عن المدة التي تكون بين النفخة الأولى والثانية أي المدة التي لا يوجد فيها أي مخلوق كم تكون ؟ ففي إحدى الروايات يقول (ع) إنها أربعون عاماً ، وفي رواية أخرى أنها أربعمائة عام . وبناءً على ما تذكره الروايات فإن القضايا والحوادث العجيبة من زوال الجبال واصطدام الأفلاك والزلزلة والنيران المستعرة في البحار كلها تقع في هذه الفترة .

ثم يصدر الأمر للمطر بالانهمار ، فينزل المطر بشدة طيلة أربعين يوماً في كل مكان .

واول من يبعث إلى الحياة هو إسرافيل حين يجب أن ينفخ في الصور لتقوم القيامة فينادي إسرافيل : « أيتها الأرواح الخارجة واللحوم الممزقة والعظام البالية والشعور المتفرقة هلموا للحساب » ويصل الوحي الالهي إلى الأرض بأن تخرج ما في جوفها ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ فتخرج جميع الأجساد التي في جوفها بواسطة زلزلة شديدة وتجتمع ذرات الأبدان وترجع الأرواح إليها ويقف الجميع صفاً واحداً وهذا ليس بالأمر الغريب فإن الله سبحانه وتعالى يتساوى عنده خلق شخص واحد وخلق ملايين الناس في وقت واحد ، ولكن أشكال الناس وصورهم مختلفة .

يرفع الأخيار والصالحون رؤوسهم من القبر وهم يحمدون الله تعالى « الحمد لله الذي صدقنا وعده » وبعثنا لننال الثواب والبعض الآخر يصرخ ويستغيث جزعاً « يا ولينا من بعثنا من مرقدنا » . وفي الرواية أن أحد قدميه في القبر والأخرى على مسافة ثلاثمائة عام منه وهو واقف حيران مبهوراً وهذا مقدمة العذاب .

وفي أحد الأيام قال جبرئيل لرسول الله (ص) : أتحب أن ترى القيامة ؟ فقال (ص) : بلى ، فأتى به جبرئيل إلى البقيع وضرب برجله قبراً وقال « قم بإذن الله » فخرج منه شخص نوراني جميل الصورة وقال (الحمد لله الذي صدقنا وعده) ثم أن جبرئيل ضرب برجله قبراً آخر وقال « قم بإذن الله » فخرج منه شخص قبيح موحش المنظر وقال « واحسرتاه » فقال جبرئيل (ع) : هكذا يبعث المؤمنون والكفار .

وجاء في الروايات الأخرى ، أن المؤمنين في عالم البرزخ يطلبون من الله تعالى التعجيل بيوم القيامة ، لأنهم ذاقوا حلاوة الجنة وعرفوا ما بها من النعم ، ومن جهة أخرى يطلب الكفار والفساق من الله تعالى أن يبقئهم في ذلك الحال لأنهم ذاقوا قليلاً من عذاب الآخرة وعرفوا ماذا ينتظرهم يوم القيامة . عن أبي بصير قال : « سألت أبا عبد الله (ع) عن أرواح المؤمنين فقال (ع) : في حجرات الجنة يأكلون من طعامها ويشربون ويقولون : ربنا اقم لنا الساعة ، وانجز لنا ما وعدتنا والحق آخرنا بأولنا .

وقال (ع) : إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها يقولون : ربنا لا تقم لنا

الساعة ، ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا»^(١) .

يوم تبلى السرائر :

يوم القيامة هو ذلك اليوم الذي يرتفع فيه من كان ضيعاً في الدنيا ولكنه مؤمن متقي ، وعلى العكس من ذلك يخفض فيها من كان في الدنيا محترماً وكبيراً إلا انه عديم الإيمان (خافضة رافعة) .

والشيء الآخر هو أن الناس يحشرون يوم القيامة على نياتهم أي تظهر بواطن الأشخاص التي كانت مغطاة في هذه الدنيا ، ويستوي عندئذٍ ظاهره وباطنه . . فيا من تحافظون على سمعتكم ووقاركم هل فكرتم بالخجل والفضيحة غداً ؟ فالأشخاص الذين طهرت ثيابهم وقلوبهم سوف يحشرون بشكل الملائكة ، وأما من كان باطنه الشهوة والشر فسوف يحشرون على شكل الكلاب والقردة .

هل فكرتم وعملتكم لمستقبلكم الذي ينتظركم كي لا تخجلوا أمام جميع الخلائق ؟ هل تعلمون ماذا ينتظركم في ذلك اليوم ، وهل انكم سوف تحشرون عراة أم لا ؟ !

التقوى لباس القيامة : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾^(٢)

عندما يقوم الناس إلى المحشر يقومون عرايا إلا بعض الناس وهم المتقون والصالحون حيث يردون المحشر مع اللباس الرباني ، وكذلك المؤمنون الذين يخرجون من الدنيا من دون توبة ولاقوا العذاب في البرزخ وتطهروا ، وأما لو جاؤوا إلى المحشر وقد بقي عليهم شيء من ذنوبهم لا سمح الله ، فسوف يتمنون الدخول إلى جهنم ليتخلصوا من ألم الفضيحة والخجل .

لقد خالف آدم أبو البشر نهياً تنزيهياً فأخرج من الجنة وتعري بسبب ذلك فخجل وهو يرى نفسه بهذا الحال أمام الملائكة فأخذ يقطف من أوراق الشجر ليستر بها نفسه .

أجل ، فالمذنب لا يكون مستحقاً للباس الإلهي ، فكيف يكون حالنا ولا يمر يوم

(١) بحار الأنوار : ج ٦ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) الأعراف / ٢٥ .

علينا إلا وتزداد ذنوبنا . هل فكّرنا في أهوال القيامة إذا فقدنا لباس التقوى في ذلك اليوم .
الإمام زين العابدين يضحّ بالدعاء في أسحار شهر رمضان من عري القيامة : « أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً »^(١) هيا لنشترك كلنا مع الإمام في دعائه « وألبسني من نظرك ثوباً يغطي عليّ التبعات وتغفرها لي » .

يعرف المجرمون بسيماهم

أول موقف في المحشر هو الحيرة التي ذكرها القرآن المجيد في عدّة موارد ﴿ مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾^(٢) العيون جامدة والأشرار مصحوبون بمعاصيهم بحيث يعرف كل من يراهم ماذا ارتكبوا من المعاصي .

الشخص الذي يشرب الخمر في الدنيا يأتي يوم القيامة إلى المحشر ويبيده قنينة الشراب ، وقد ذكرنا في ضمن الآية الشريفة ﴿ فتأتون أفواجا ﴾ في رواية معاذ إن الله تعالى أقسم بعزّته وجلاله أن يذيق شارب الخمر من حميم جهنم بمقدار ما شرب من الخمر في الدنيا .

وورد في كتاب لآلئ الأخبار حديث عن رسول الله (ص) انه قال : « يجيء مدمن الخمر يوم القيامة مزرقة عيناه ، مسوداً وجهه ، ومائلاً شقّه ، يسيل لعابه ، مشدودة ناصيته إلى ابهام قدمه ، خارجة يده من صلبه ، فيفزع منه أهل الجمع إذا رأوه مقبلاً للحساب » .
وقال (ص) أيضاً : « إن أهل الرّي في الدنيا من المسكر يموتون عطاشاً ، ويحشرون عطاشاً ، ويدخلون النار عطاشاً »^(٣) .

وعندما يقوم المرابي من قبره تكون بطنه قد انتفخت إلى درجة انها تلامس الأرض ولا يستطيع رفع رأسه ويعرفه أهل المحشر بأنه أكل الربا .

وإن كان من أهل الطرب والمزمار فإن آلاته الموسيقية تصحبه أيضاً فقد ورد في

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي في مفاتيح الجنان .

(٢) إبراهيم / ٤٣ .

(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال .

كتاب الأنوار النعمانية عن رسول الله (ص) انه قال : « يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو أسود الوجه ويده طنبور من نار وفوق رأسه سبعون ألف ملك بيد كل منهم مقمعة يضربون رأسه ووجهه ويحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم ويحشر الزاني مثل ذلك وصاحب المزمار مثل ذلك مصاحب الدف مثل ذلك »^(١) .

وكذلك روي في عقاب من مشى بين الناس بوجهين ولسانين عن أبي عبدالله (ع) انه قال : « من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار »^(٢) .

ويأتي أولئك الذين يؤذون الناس بلسانهم يوم القيامة وألستهم خارجة من وراء رؤوسهم .

ويأتي بعض الناس وهم صغار جداً كالذر من صغر الحجم والضعف بحيث تسحقهم الأقدام وهؤلاء هم المتكبرون^(٣) .

وأما الزناة فقد ورد أن ريحاً منتنة تنبعث من فروج الزناة يتأذى لها أهل الجمع^(٤) .

بل أن ظاهر الروايات أن كل ملكة رذيلة وخلق سيئ وعادة قبيحة تأتي يوم القيامة بشكل خاص وهيئة تناسب ذلك الذنب مع صاحبها بحيث يعرفه أهل المحشر من تلك الهيئة .

يوم كان مقداره خمسين ألف سنة :

ورد في كتاب بحار الأنوار عدة روايات عن الأئمة عليهم السلام بأن للقيامة خمسين موقفاً كل واحد منها ألف عام . وبهذا يطول مقام بعض أهل المحشر فيه خمسون ألف عام للحساب .

(١) بحار الأنوار : ج ٧٩ ، ص ٢٥٣ .

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال .

(٣) عن الامام الصادق (ع) : ان المتكبرين يجعلون في صورة الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) .

(٤) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال .

ولو قيل إن يوم القيامة ليس فيه نهار وليل وشمس وقمر حتى يمكن حسابه قلنا إن اليوم هو عبارة عن قطعة من الزمان تشرق فيها الشمس ثم تغرب فيحل الظلام ، وهكذا بالنسبة إلى يوم القيامة حيث تظهر السرائر والبواطن الخفية للناس وتبرز العقائد والأعمال الصالحة والأعمال السيئة وآثارها ، وهذا هو الظهور والإشراق ، والقيامة هي اليوم الذي تنكشف فيه جميع سرائر الناس ، ويقول الله عز وجل ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (١) .

أجل ، فالدنيا هي الظلام ، وليل لا يعلم أحد عن أحد ، بل لا يعلم أحد عن باطنه هو ، وأما في يوم القيامة فهو ظهور وشروق ونهار ليس معه ليل ، ونهار مدته خمسون ألف عام . وعندما تشرق شمس الحقيقة يوم القيامة نفهم ماذا نحن ومن هم الآخرون ؟ وعلى أي حال فقد ذكرنا أن للقيامة مواقف أولها الحيرة ، والموقف الآخر هو السكوت من الخوف حيث تقول الآية الشريفة : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ (٢) .

فهم يريدون أن ينطقوا إلا أن قلوبهم ملئت بالخوف حتى التصقت بالحناجر . والموقف الآخر هو الكلام مع بعضهم وتساؤلهم عن أعمالهم ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ (٣) .

ونجدهم في موقف آخر يفرون من أقربائهم وأصدقائهم ومعارفهم فالأب يهرب من الابن ، والزوجة من زوجها والأخ من أخيه ، وقد عبر القرآن الكريم عن الناس في ذلك اليوم انهم ﴿ كالفراش المبثوث ﴾ (٤) .

ويقول القرآن الكريم : ﴿ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأحداث كأنهم جراد منتشر ﴾ (٥) وقد رأيت الجراد عندما ينزل في مكان يكون بشكل غير منظم فبعض إلى هذه

(١) سورة الزمر / ٤٧ .

(٢) سورة طه / ١٠٨ .

(٣) سورة الصافات / ٢٧ .

(٤) سورة القارعة / ٤ .

(٥) سورة القمر / ٧ .

الجهة وبعض إلى تلك الجهة ، وقسم منه في الأعلى وقسم منه في الأسفل وهكذا يكون حال النساء والرجال يوم القيامة ، حيث يفر كل واحد منهم من الآخر ، وطبعاً لا فائدة من فراقهم كما ذكر ذلك في سورة الرحمن حيث تؤمر ملائكة السماء الأولى بالنزول إلى الأرض ومحاصرة الناس ، ثم من بعدهم ملائكة السماء الثانية يقفون خلف ملائكة السماء الأولى وهكذا إلى ملائكة السماء السابعة حيث تمتلئ صحراء المحشر بهذه الجحافل فينادى : « يا معشر الجن والأنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » فالهرب مستحيل ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾^(١) إلا أنه ﴿ كلاً لا وُزَرَ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾^(٢) .

والموقف الآخر هو التسؤل والسؤال . فكل واحد يطلب من أقربائه أن يعطوه حسنة إلا أنه لا يجد من يعطيه حسنة واحدة لأن كل واحد محتاج أيضاً ، فالأب يطلب من الابن ويقول له كم تعبت عليك في دار الدنيا وكم تحملت في سبيل تربيتك فاعطني الآن حسنة واحدة ، فيقول الابن : انني أحوج منك وهكذا الحال بالنسبة إلى الأخ وأخيه وغيرهم فلا أحد يستجيب لطلب الآخر لأنه محتاج ومبتلى أيضاً .

تطايير الكتب

﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ سورة الحاقة الآية ١٨ - ٢٤ .

من جملة الأمور التي نعتقد بها هي كتابة الأعمال حيث يصرح القرآن الكريم بذلك في عدة موارد ، بأن لكل إنسان ﴿ كراماً كاتبين يعلمون ما يفعلون ﴾^(٣) ويعبر عن هؤلاء الملائكة بالرقيب العتيد فيقول : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^(٤) وأما كيفية ذلك وانه هل هو بالقلم والورقة أم بشيء آخر فلا علم لنا بذلك فعين النبوة هي التي ترى

(١) و(٢) سورة القيامة / ١٠ - ١١ - ١٢ .

(٣) سورة ٨٢ الآية ١٢ .

(٤) سورة ٥٠ الآية ١٧

هذه الأمور ، وعلى كل حال فإن كل شيء مهما قلّ وصغر فانه يكتب ويسجل عندهم حتى نية الخير . فالراوي يسأل الإمام الصادق (ع) عن الملكين هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنه ؟ فقال (ع) : ربح الكنيف والطيب سواء ؟ قال : لا . قال (ع) : إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فإنه قد همّ بالحسنة . فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له ، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه متنن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه قد همّ بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها عليه . وقال (ع) : من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرأً ويضاعف الله لمن يشاء إلى سبعمائة . ومن همّ بسيئة فإن لم يعملها لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإن لم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها أجلّ تسع ساعات فإن تاب وندم عليها لم يكتب عليه وإن لم يتب ولم يندم عليها كتبت عليه سيئة^(١) .

واللطف الآخر هو أن الإنسان كلما أذنب ذنباً ويريد الملك أن يكتب ذلك يقول له الآخر : أمهله فلعله ندم وتاب فيمهله خمس ساعات أو سبعة فإن تاب وإلا قالوا عنه ما أكثر وقاحة هذا العبد وقلة حياته من ربّه ويسجل عليه ذنبه .

وظاهر الروايات هو أن لكل إنسان كتابين أحدهما للحسنات والآخر للسيئات فكل شيء يصدر منه فإنه يكتب ويسجل في هذين الكتابين حتى النفخة على النار كما جاء ذلك في بعض الروايات ، ويقول تبارك وتعالى في سورة القمر ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ﴾^(٢) .

ويذكر الصدوق في كتابه العقائد إن أمير المؤمنين (ع) مر يوماً بمجموعة من الشباب يلهون ويضحكون فقال لهم : ما لكم تسودون صحائف أعمالكم فقالوا يا أمير المؤمنين وهل تكتب هذه أيضاً ؟ قال : بلى حتى أنفاسكم .

(١) وسائل الشيعة ج ١ ص / ٣٦ وقد نقلها (ره) بتغيير بسيط في ألفاظها .

(٢) سورة القمر / ٥٢ - ٥٣ .

أجل فلورفعت شوكة من الطريق فسوف تنال غداً ثواب ذلك وتقر عينك به لأنك دفعت الأذى عن الناس ، ولورفعت حجراً أو قشر بطيخ حتى لا يدوسه أحد المارة فيقع فسوف تجد ثواب هذا العمل أمامك غداً وإن الله لا يضيع أجر المحسنين .
ولكن لماذا هذه السجلات وكتب الأعمال ﴿ كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ﴾ (١) ؟ ! و ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴾ (٢) .

الجواب : إن الله تبارك وتعالى لا يحب لعبيده المعصية ، فالإنسان عندما يعلم بوجود مفتش ورقيب عليه فسوف يحذر ويحتاط في تصرفاته فيا أيها المذنب إن الله تبارك وتعالى إضافة إلى أعضائك وجوارحك التي جعلها شهوداً عليك قد جعل شاهدين من الملائكة أيضاً لكي يستحي الإنسان عند المعصية ، ومن جهة أخرى إعطاء الأهمية وترتيب الأثر للحسنات ليهتم بها الإنسان أكثر .

هاؤم اقرأوا كتابيه

كم نرى الطفل الفائز في امتحانات المدرسة سعيداً وفرحاً عندما يكون الأول في صفه فنجده يظهر شهادته لكل أحد ليراها ويقرأ فيها درجاته .

وفي يوم القيامة أيضاً تعطى شهادة عمل المؤمن بيده اليمنى فيصيح بكل سرور أيها الأصدقاء وأيها الأقرباء تعالوا وانظروا إلى شهادتي ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه ﴾ وانظروا إلى صلاتي وصومي وإنفاقي وأعمالي الصالحة المقبولة ﴿ اني ظننت اني ملاق حساييه ﴾ ﴿ فهو في عيشة راضية في جنة عالية ﴾ ولكن الويل لذلك الطفل المسكين الذي يسقط في الامتحان حيث يضل منكساً رأسه وهو يسير في الأزقة بهدوء متوجهاً إلى بيته ويتمنى الموت على الحياة وأحياناً يموت من الحسرة ، وهذا المثال ضاعفه آلاف المرات ليكون شبيهاً بحال المذنب عندما يعطى كتابه بشماله .

﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حساييه يا ليتها كانت القاضية هلك عني سلطانيه ﴾ فيا ليتها كانت الموتة التي لا حياة بعدها ، ثم يتحسر على

(١) التطفيف / ٧ .

(٢) التطفيف / ١٨ .

أمواله التي تركها في الدنيا وعلى سلطانه وقوته الذي لا يجديه نفعاً في مثل هذا الحال .

والبعض يعطون كتابهم من ورائهم : ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً ويصلي سعيراً ﴾ . وهنا احتمالان : أحدهما أن تقيّد يده إلى خلفه ويعطى كتابه بيده ويدار رأسه إلى الخلف ليقراً كتابه والاحتمال الثاني أن يتم إدخال يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره ثم يعطى بها كتابه ويدار رأسه إلى الخلف ليقراه ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ . فالويل من الغيبة والتهم والأكاذيب والسباب في ذلك اليوم حيث يقرأ بنفسه فضائحه ومعايبه وسائر ذنوبه التي ارتكبها بجميع أعضائه وجوارحه فيرتفع عويله ﴿ يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .

البعض منهم عندما يقرأ كتاب أعماله تنخلع لذلك مفاصله ويسيل الدم والقيح من عينه كما ورد في الحديث النبوي حيث يصل إليه النداء : ألم تفعل ذلك ؟ فيقول : بلى يا رب كل ذلك صحيح وبطأطىء رأسه .

يتذكر الإنسان في يوم القيامة جميع أعماله وأفكاره في الدنيا في وقت واحد ما أعجب ذلك العالم فكل شخص معه حسابه وكتابه ، فالبعض منهم لا ينتظرون للحساب إلا لحظة واحدة وهم الصالحاء ، والبعض ينتظر آلاف السنين للحساب وهذا لا يعني أن حسابه يستغرق وقتاً طويلاً لأن الله تعالى أسرع الحاسبين بل الغرض أن يبقى في حيرته ويتعذب ، والبعض الآخر ينتظر بمقدار حلب الشاة وبعض من الظهر إلى العصر إلى أن يصل إلى أربعين سنة وألف سنة وإلى خمسين ألف عام حيث يبقى ألف عام في كل موقف من المواقف الخمسين .

البشارة

وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم (الزيارة الجامعة)

وورد في بحار الأنوار عن أمالي المفيد بسند متصل عن الإمام الصادق (ع) انه قال : « إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان الله سألنا أن يهبه لنا فهو لهم

وما كان لنا فهو لهم » ثم قرأ ﴿ ثم إن إلينا إيابهم ثم ان علينا حسابهم ﴾ .

وجاء في الكتاب المذكور في باب الحساب يوم القيامة رواية أخرى عن الإمام الصادق (ع) يقول فيها بعد أن ذكر بأن حق الله وحق الإمام سيعفى عنه قال : « فما كان فيما بينهم وبين الناس من المظالم آذاه محمد (ص) عنهم » اللهم اجعلنا من أمة محمد ومن شيعة أهل البيت عليهم السلام وأحشرنا معهم .

والبشارة بالنسبة إلى الشيعة هي أن الله تعالى يحشر كل قوم يوم القيامة بإمامهم ، وهنيئاً لمن كان المحاسب له الحجة بن الحسن (ع) فعندما ينظر إلى أعمالنا فمهما تكن تلك الأعمال سيئة وننكس رؤوسنا خجلاً منها ألا أن حبه في قلوبنا يبعث فينا الأمل بالحصول على الشفاعة والحمد لله الذي جعل حسابنا بيد شخص كريم له المنزلة العليا عند الله .

« الميزان »

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - والوزن يومئذ الحق

ومن جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها هي الميزان (الميزان حق) فميزان الأعمال ينصب يوم القيامة ويوزن به أعمال كل شخص ليتضح أن أعماله الحسنة أكثر من أعماله السيئة أو بالعكس .

والميزان أساساً من ضروريات المذهب ، والكلام في حقيقة الميزان وكيفية الوزن ، وقد ذكر علماء الكلام آراءهم حول الميزان كل حسب سليقته وتفكيره ، فبعضهم قال إن الأعمال توزن . والبعض الآخر قالوا إن الصور الجسمية للأعمال هي التي توزن ، ولا يوجد لكل واحد منها أي دليل معتبر . والظاهر هو أن الميزان يعني المقياس الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكن بأي صورة يكون ذلك فلا نعلم .

وعندما يقال ميزان فلا تتصور أن هذا الميزان الذي عند البقال لأن هذا الميزان إنما يوزن به الرز والعدس ، وأما ميزان العدل الالهي فيوزن به الصلاة والصوم والانفاق وجميع أعمال الخير والشر ليعلم أيها أكثر وزناً : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾

وعلى العكس من هؤلاء حال المساكين الذين غلبت أعمالهم ، الشريرة على الأعمال الخيرة ﴿ ومن خَفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ .

إذن فخلاصة المطلب هو أن الأعمال الصالحة والشريرة لكل شخص سوف توزن يوم القيامة ولكن بأي كيفية يتم الميزان فلا نعلم ذلك ، نعم وردت بعض الحدود والمقادير للوزن في الروايات والتي يكون الحد الأكثر لها حيث يوزن به الأعمال الصالحة للناس هو عمل الأنبياء والأوصياء .

علي ع ميزان الحق

(السلام على ميزان الأعمال)

وميزان العدل الالهي الذي لا يحيف قيد أنملة هو علي بن أبي طالب (ع) ، فيؤتى بصلاة الأولين والآخرين فتقاس وتوزن بصلاة علي (ع) وروي عن الإمام الصادق (ع) انه قال : (الموازين هم الأنبياء والأوصياء) فأهل البيت (ع) يأخذون صلاتنا يوم القيامة ويقيسونها بصلاة علي (ع) هل تشبه صلاته أم لا ؟ وهل هي من حيث الصفات الكمالية شبيهة بصلاة علي (ع) ؟ ! الكرم والشجاعة والحلم والانصاف وغيرها هل لدينا منها شيئاً مما عند علي (ع) .

وطبعاً ليس المقصود أن تكون مطابقة لما عند علي (ع) فهو محال . ولكن أن لا تكون في الجهة الأخرى ويعني أيها الناس لا تكونوا مثل معاوية وتغفلون عن ميزان الحق ، فلو أنك مددت يدك إلى المحرمات وأكلت أموال الآخرين فقد سلكت طريق عمر الذي غصب فذك من الزهراء (ع) التي كانت ملكها يقيناً ثم وهبها عثمان إلى مروان .

ماذا لاقينا من الحق حتى ننصرف عنه إلى الباطل ؟

ماذا وجد الإنسان المؤمن الذي لا يسير إلا بطريق الحق من الحرمان أكثر من أولئك الذين يسرون في طريق الضلال ؟ وما الذي تفتقر إليه المرأة المحجبة دون تلك الراقصة والمتعربة ؟ لا تتصوروا أن تلك النساء السافلات يتلذذن بالدنيا أكثر من المتدينات فإن اللذة هي لأهل الإيمان ، فبالنسبة للأمراض فلا فرق في كليتهما وهكذا بالنسبة إلى لذة النكاح ، وأما شهوات الدنيا فلا دوام لها . بل أن الشخص الذي لا يتمسك بالدين هو

الذي يتجرع الحرمان والقلق ، وأذكر لكم نموذجاً من ذلك ، فعندما تقع عينه على امرأة جميلة في السينما فسوف يتعلق بها قلبه وقد يصل حاله إلى أن يعشقها عشقاً جنونياً لكن هل يمكنه الحصول على كل ما يريد ؟ فلو أنه اتبع عشقه فسوف يتحمل من الآلام والمشاكل ويواجه المضاعب بكثرة وقد تكون تلك المرأة متزوجة فماذا سيصنع .

أو الأشخاص الذين يشربون الخمر حيث نجد النزاعات الشديدة التي تحدث فيما بينهم وقد تجر إلى القتل وسنوات من السجن والحرمان كل ذلك من أجل ساعة من اللذة ، وهكذا وهكذا .

أما بالنسبة إلى التاجر الذي يعرف الحلال والحرام ولا يخلط رزقه باللقمة الحرام فلأنه يعلم بأن الله تعالى هو الذي يضمن رزقه في المعاملة فلذلك لا يحتال في المعاملات ولا يخدع المشتري ، وأما ذلك الشخص الذي لا يلتزم بميزان الحق والحقيقة فنجد أنه يتملق ويتوسل ويخادع باستمرار ليخدع الطرف المقابل . فلو تجاوزنا هذه الحالات ونظرنا إليها من الناحية المادية فسوف لا نجد أن ذلك المخادع والمتقلب أحسن حالاً من ذلك المؤمن بل نجد المؤمن مرتاحاً وسعيداً أكثر من ذلك ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

وخلاصة ما ذكرنا هو أن الأشخاص الملتزمين بالحق لا يتضررون في هذه الدنيا ، بل لو كان هناك حال حسن فهو من نصيبهم ، وأما أولئك المساكين الذين لم يلتزموا بميزان الحق وانحرفوا عن جادة الصواب فإن حالهم في الآخرة معلوم ولكن في هذه الدنيا أيضاً لا يعلم حسن حالهم بل ليس لهم إلا الضرر فهو في الظاهر قد ربح عشرة قروش بواسطة السرقة والخداع ، ولكنه يجب أن ينفق أضعاف ذلك على الطبيب والدواء .

إذن فإن كنت تطلب الراحة والسعادة فلا تنحرف عن ميزان الحق أبداً فهل وجدت ضرراً من الحق والحقيقة ؟ هل وجدت ضرراً من معاملة لم تكذب فيها ؟ إذا لم يكن كذلك إذن فلماذا نترك الحق والصدق ؟ تعال نتعاقد على أن لا نترك طريق الحق مطلقاً ، وطريق الحق هو أمير المؤمنين علي (ع) .

الحساب

فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً

الناس يوم القيامة على أربعة أقسام من حيث الحساب ، فمنهم من يدخل الجنة بدون حساب وهم المحبون لأهل البيت والذين لم يصدر منهم أي ذنب أو ماتوا مع التوبة . والطائفة الثانية على عكس الأولى وهم الذين يدخلون جهنم بدون حساب حيث يقول القرآن الكريم عنهم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾^(١) وهؤلاء هم الذين يخرجون من الدنيا بغير إيمان فليس لهم حساب لأن عملهم لا يساوي شيئاً .

والطائفة الثالثة وهم الذين يحاسبون يوم القيامة ويستغرق حسابهم وقتاً طويلاً إلا أن عاقبتهم إلى الجنة لغلبة حسناتهم على سيئاتهم وطول الحساب بمقدار الذنب كما قال رسول الله (ص) لابن مسعود : (ان المرء ليحبس على ذنب واحد مائة عام) ولم يذكر (ص) نوع ذلك الذنب حتى يحذر المؤمنون من جميع الذنوب خوفاً من طول الحساب .

الطائفة الرابعة وهم الذين كانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم فلو شملتهم الشفاعة واللطف الالهي فهم من أهل النجاة والجنة ، وإلا فمحكومون بالعذاب ومصيرهم إلى النار حتى يظهروا من درن المعاصي وبعد ذلك يخرجون من النار ويدخلون الجنة . فالإنسان الذي في قلبه ذرة من الإيمان لا يكون مخلداً في النار حيث لا يبقى فيها إلا الكافر المعاند .

وهذا يعني أن أعماله سوف لا تنفعه يوم القيامة في إدخاله الجنة مهما كانت أعماله حسنة وكثيرة لأنها لم تصدر عن إيمان ، وشرط دخول الجنة هو الإيمان بالله وآياته ، فمن لم يكن مؤمناً بالله كيف يرى الجنة ؟ وقد ورد عن رسول الله (ص) في بحار الأنوار عن الإمام الصادق (ع) عن أبائه عليهم السلام عن رسول الله (ص) انه قال : لقنوا موتاكم لا

(١) سورة الكهف / ١٠٥ .

إله إلا الله ، فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة^(١) . وفي خبر آخر أنه يرى رسول الله (ص) ساعة الموت .

ولا يخفى أن المراد من قول لا إله إلا الله عند الموت هو أن يموت الإنسان وهو مؤمن فلو يعجز لسانه عن النطق ساعة الوفاة وكان قلبه مؤمناً فإنه يكفيه ذلك .

الاحباط والتكفير

﴿ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم - ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾^(٢) .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾^(٣) .

الشيء الذي يمكن أن يقال بحيث يفهمه الجميع ، هو أن الإنسان لو مات وهو غير مؤمن فإن أعماله مهما كانت حسنة وجيدة طيلة عمره فسوف لا تنفعه شيئاً (الاحباط) يعني بطلان العمل - فالموت بدون إيمان سوف يبطل الأعمال الحسنة ، فلو قيل أليس الله يقول في القرآن الكريم ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾^(٤) . فالجواب هو أن هذا الكافر سوف يبطل عمله بيده ، لأنه من المحال أن يترتب الثواب مع كفره بالله . ولكن الله تعالى يشيئه على ذلك في الدنيا كما قلنا في أول البحث بأن يكون موته يسيراً أو يعيش بصحة جيدة ، ولو أنه مرض فإن الله يشافيه بسرعة أو أنه لا يصل إليه ضرر مالي وغيرها .

وكذلك قد تكون الأعمال الحسنة للكافر مخففة لعذابه في الآخرة كما ورد ذلك في حاتم الطائي المشهور بالكرم . وأنوشروان الملك العادل بأنهما في جهنم لكن النار لا تحرقهما ، بل ورد ذلك بنص القرآن الكريم ﴿ ولا على الذين يموتون وهم كفار ﴾^(٥) .

(١) بحار الأنوار ج ٩٣ ، ص ١٩٩

(٢) سورة محمد / ١٠ - ١١ .

(٣) سورة محمد / ٢ .

(٤) سورة الزلزال / ٧ .

(٥) سورة النساء / ١٨ .

وفي آية أخرى ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾^(١).

وما ذكرناه عن الاحباط متعلق بالكفر والشرك ، وأما الذنوب الكبيرة فهل هي بدورها تحبط الأعمال والحسنات ؟ الصحيح انها كذلك في بعض الكبائر ، فقد ورد في الروايات حول بعض الذنوب كعقوق الوالدين حيث يصل إليه النداء ﴿ يا عاقِ إعمل ما شئت فإنه لا يقبل منك ﴾ . فلو أن (آه) الأم كانت وراء الإنسان لأحرقت أعماله ولو بلغت الجبال .

وبعض الذنوب كالتهمة تسبب فقدان الإيمان ، وهكذا الحسد أيضاً إذا أظهره وسبب الأذى للآخرين حيث ورد انه ﴿ يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ﴾ .

والتكفير من الكفاءة بمعنى الغطاء وإزالة آثار الذنوب التي ارتكبتها الإنسان ، ولا شك أن الإيمان يمحو آثار الكفر السابق ، فلو أن أحداً لم يكن مؤمناً أول عمره ولكنه آمن بعد ذلك ومات فهو من أهل النجاة والسعادة حتماً ، وأما أثر الذنوب فالتوبة الجامعة للشرائط تمحوها قطعاً كما قال الله تعالى عن التائبين في القرآن الكريم ﴿ أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾^(٢) وأما غير التوبة الصادقة من الحسنات الأخرى فهل تمحو الذنوب أيضاً أم لا ؟

ظاهر الآية الشريفة ﴿ ان الحسنات يذهبن السيئات ﴾^(٣) هو أن الحسنات بشكل عام تمحو الذنوب . ولكن لم يعين نوع الحسنات التي تؤثر هذا الأثر ، وقد ورد في الروايات ذكر بعض الحسنات التي تطهر من الذنوب كالرواية الواردة في المجلد ١٥ من بحار الأنوار عن أبي عبدالله (ع) :

« جاء رجل إلى النبي (ص) قال : إني ولدت بنتاً وربيته حتى إذا بلغت فألْبستها وحلّيتها ثم جئت بها إلى قلبي فدفعتها في جوفه ، وكان آخر ما سمعته منها وهي تقول :

(١) سورة الأعراف / ١٤٧ .

(٢) سورة الفرقان / ٧٠ .

(٣) سورة هود / ١١٤ .

يا أبتاه !! فما كفارة ذلك ؟ قال (ص) : ألك أم حية ؟ قال : لا . قال (ص) : فلك خالة حية ؟ قال : نعم . قال (ص) : فابريها فانها بمنزلة الأم تكفر عنك ما صنعت ^(١) .

الأسئلة يوم القيامة

جاء في عدة موارد في القرآن الكريم أن الأنبياء وأممهم يتعرضون للسؤال ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ ^(٢) فيسأل الأنبياء بأنكم أرسلتم لإرشاد الناس وهدايتهم فهل بلغتكم رسالتكم ؟ فيجيبون : إلهي أنت الشاهد أننا فعلنا كل ما بوسعنا في سبيل ذلك ، فيأتي النداء : ومن يشهد لكم بذلك ؟ فيقولون جميعاً بأن شاهدنا محمد (ص) ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ ^(٣) .

وكذلك يتوجه السؤال إلى عيسى بن مريم (ع) كما جاء في الآية الشريفة : ﴿ وإذا قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ ^(٤) فيرتجف عيسى في مقابل عظمة الخالق ويقول ﴿ سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ ^(٥) .

وتسأل الأمم أيضاً هل أن أنبياءكم أخبروكم عن هذا اليوم ؟ فيقولان بأجمعهم : نعم .

والمورد الآخر للسؤال هو السؤال عن نعم الله تعالى وما صنعتم بها ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ ^(٦) .

وقد وردت روايات مختلفة حول السؤال عن النعم الإلهية وتدل على أن النعم لها مراتب ، وأهم مرتبة من مراتب النعم هي (ولاية آل محمد (ص) بل هي النعم المطلق

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ، ص ٥٨ .

(٢) سورة الأعراف / ٦ .

(٣) سورة البقرة / ١٣٧ .

(٤) و(٥) سورة المائدة / ١١٦ .

(٦) سورة التكاثر / ٨ .

حيث يقول الإمام الصادق (ع) لأبي حنيفة : بلغني أنك تفسر النعيم في هذه الآية بالطعام الطيب والماء البارد في اليوم الصائف . قال : نعم . قال (ع) : لو دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيباً وسقاك ماء بارداً ثم امتنَّ عليك به ، إلى ما كنت تنسبه ؟ قال : إلى البخل . قال (ع) : أفيبخل الله تعالى ؟ قال : فما هو ؟ قال (ع) : حبنا أهل البيت^(١) .

وُسأل يوم القيامة ماذا صنعتُم مع آل محمد (ص) وكم هي محبتكم واتباعكم لهم ؟ وينسأل من الأعداء عن السبب في معاداتهم لهذه النعمة الإلهية ، فلا يسأل يوم القيامة عن الطعام إلا ما كان إسرافاً وتبذيراً أو اكتسبه من حرام أو أنفق في حرام .

ويسأل أيضاً عن الذنوب والمعاصي ولماذا ارتكبتُموها ؛ وكذلك يسأل عن بعض النعم ومنها نعمة العمر . كما ورد في الروايات أنه يسأل عن أربعة نعم . عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفق . . وكذلك عن ولاية أهل البيت (ع) . في ذلك اليوم يطبَّق قانون « من أين لك هذا » بصورة جيدة وكيف أنفقته ، فإن كان فيه رياء فإنه يعاقب عليه أيضاً .

السؤال عن العبادات

أول ما يسأل عنه هو الصلاة كما ورد في البحار المجلد ٣ (أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، فان قبلت قبل ما سواها . .) هل أدت الصلاة الواجبة لوقتها أم لا ؟ هل صليت بصورة صحيحة وأدت هذه الأمانة الإلهية والتي هي عمود الدين أم لا ؟ ثم يسأل عن سائر العبادات .

صعدَ أمير المؤمنين (ع) المنبر بالكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن الذنوب ثلاثة ثم أمسك فقال له حبة العرني : يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت ؟ ! فقال : ما ذكرتها إلا وأنا أريد أن أفسرها ولكن عرض لي بهر حال بيني وبين الكلام نعم الذنوب ثلاثة فذنوب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه . قال : أمير المؤمنين تبيينها لنا ؟ قال : نعم أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في

(١) تفسير الصافي ج ٥ ، بحار الأنوار ج ٧ .

الدنيا فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين ، وأما الذنب الذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض إن الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه فقال : وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولا مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا تبقى لأحدٍ على أحدٍ مظلمة ثم يبعثهم للحساب ، وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجوه الرحمة ونخاف عليه العذاب^(١) .

وكما ورد في تفسير كلمة المرصاد في الآية القرآنية ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ أن المرصاد هو عقبة حق الناس فقد ورد عن الإمام علي (ع) أن معناه أن ربك قادر على أن يعجز أهل المعاصي جزاءهم^(٢) .

وكما ذكر المحدث القمي في منازل الآخرة في حكاية سلمان الدارائي الذي كان من الزهاد والعباد في ذلك الزمان حيث ورد ذكره في كثير من الكتب أنه شهود بعد موته في المنام وسئل عن حاله فقال : إن لي سنة كاملة وأنا معطل في أحد عقبات الحساب لأنني أخذت عوداً صغيراً من أحد الخطّابين لأخلل به أسناني فاستمر حسابي على هذه عام كامل أنه لماذا تصرفت بأموال الناس بدون إذن صاحبه وهل كان صاحبه راضياً بذلك ؟

لا تقل أنه لا قيمة له لأنه ملك للغير وأنت مسؤول عنه . بعض الناس يأخذون مال الغير حياءً « المأخوذ حياءً كالمأخوذ غصباً » لأنه حرام فلا تحمل شيئاً تكون مسؤولاً عنه يوم القيامة ولو كان عليك شيء فيما سبق فلا بد أن تذهب وتكسب رضا أصحابه فان المظالم لا تختلف بالنسبة إلى الأشخاص فالبعض يبقى ألف سنة في موقف الحساب .

أخذ الحقوق

إن معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده على قسمين أحدهما بالعدالة والآخر بالفضل فأما المعاملة التي تكون بالعدالة فهي حقوق الناس على بعضهم البعض فكل شخص عليه حق لشخص آخر يؤخذ من حسناته بنفس ذلك المقدار ويعطى لصاحب ذلك الحق ، فمثلاً

(١) أصول الكافي / ٢ ، ص / ٤٤٣ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي : ١٠ / ٤٨٧ .

لو اغتابوا أنهم أحدًا فالله يعلم كم من حسناته وعبادته سوف تؤخذ منه وتعطى إلى ذلك الشخص ولو كان مفلساً من الحسنات فسوف توضع عليه من ذنوب ذلك الشخص بنفس ذلك المقدار كما هو المستفاد من الروايات .

وعن الإمام علي بن الحسين (ع) (حول حساب الخلائق في يوم القيامة وردّ كل حق إلى صاحبه) انه قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم . . إلى أن قال : فيقول الله سبحانه وتعالى : أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجوز اليوم أحكم بينكم بعدلي وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولأحد عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها صاحبها وأثيب عليها وآخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم في الدنيا وأنا شاهد لكم عليهم وكفى بي شهيداً .

وفي آخر الحديث قال له رجل من قريش : يا بن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أي شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار ؟ قال : فقال علي بن الحسين (ع) : يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ماله على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة ، قال : فقال له القرشي : فإذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم كيف تؤخذ مظلمة من المسلم ؟ قال : يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم قال : فقال له القرشي : فإن لم يكن للظالم حسنات ؟ قال إن لم يكن للظالم حسنات فإنّ للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم»^(١) .

والجدير بالذكر أن الكافر إذا كان له حق على المسلم فمقتضى العدل أن يخفف من عذابه بذلك المقدار لأن الكافر ليست له قابلية أخذ الحسنات من المسلم ولأجل توضيح هذا المطلب عليك بمراجعة قصة الرجل العابد الذي استقرض مقداراً من المال من

(١) روضة الكافي / ٨ . ص ١٠٥ - ١٠٧ . والمقصود من قوله : وأثيب على الهبات أي هبات المظالم وإبراء الذمم .

شخص يهودي والتي ذكرناها في هذا الكتاب .

روي عن السجاد (ع) : يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد : ألا من كان له قبل هذا حق فليأخذه ولا شيء أشد على أهل القيامة من أن يروا من يعرفهم مخافة أن يدعي عليه شيئاً^(١) .

قال رسول الله (ص) لأصحابه : أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا مال ولا متاع له . قال (ص) : إن المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وهتك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار^(٢) .

أما المعاملة بالفضل فلو شملت العناية والآلية أحداً وكان في عهده حقٌ للناس وطال وقوفه للحساب فإن الله سبحانه وتعالى يظهرُ قصراً من قصور الجنة بفضله وكرمه ويسمِعُ الناس نداءً : يا من له حق في ذمة عبدي فلان إذا أردت هذا القصر عوضاً عن حقك فاتركه وأبرئ ذمته .

أجل ، فالشخص الذي تربطه مع الله رابطة فإن أموره تكون على ما يرام وإلا فلو لم يرد الله سبحانه وتعالى إصلاح حاله فمن يستطيع ؟ ولهذا كان الإمام زين العابدين (ع) يثن ويقول (ومن أيدي الخصماء غداً من يخلصني) .

والآن يجب أن ندعو الله سبحانه وتعالى (إلهي عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك يا كريم) وفي دعاء أبي حمزة الثمالي نسمع الإمام يقول (وإلى معروفك أديم نظري) (فضلك رجائي) .

(١) لآلئ الأخبار . ج ٥ ، ص ٨٤ .

(٢) لآلئ الأخبار : ج ٥ . ص ٨٥ .

حوض الكوثر

﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

من الأمور المسلّمة في القرآن المجيد والمصرّح بها في روايات العامة والخاصة حول حوض الكوثر (والكوثر هو الخير الكثير الذي تفضل به الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد (ص)) وطول هذا الحوض كما أشير إلى ذلك قبلاً من صنعاء إلى البصرة وحوله من الكؤوس التي بأيدي الحور العين بعدد نجوم السماء والتي يسقى منها المؤمن وهذه الكؤوس مختلفة فبعضها من فضة الجنة وبعضها من البلور . سئل رسول الله (ص) عن الحوض فقال : « أما إذا سألتموني فسأخبركم ، أن الحوض أكرمني الله به وفضلني على من كان قبلي من الأنبياء وهو ما بين أيلة وصنعاء فيه من الآنية عدد نجوم السماء يسيل فيه خليجان من الماء ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، حصاه الزمرد والياقوت ، بطحاؤه مسك أذفر شرط مشروط من ربي لا يرده أحد من أمّتي إلا النقية قلوبهم ، الصحيحة نياتهم ، المسلّمون لوصّي من بعدي ، الذين يعطون ما عليهم في يسر ولا يأخذون ما عليهم في عسر ، يزود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يزود الرجل البعير الأجرب من أبله ، من شرب منه لم يظمأ أبداً »^(١) .

وظاهر بعض الروايات أن حوض الكوثر على ثلاثة أقسام « وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصقّى »^(٢) وذهب بعضهم إلى إن حوض محمد (ص) أحلى من العسل يقيناً وأبرد من الثلج فما ألد الارتواء من هذا الشراب الذي لا ظمأ بعده .

وذهب الشيخ الششتري في الخصائص وآخرون في كتب أخرى أن الساقى للناس هو محمد (ص) وعلي (ع) وأن كل مؤمن له حظ منه .

أما الحسينيون فلهم خصوصية أخرى بالنسبة لحوض الكوثر حيث يقول الإمام

(١) بحار الأنوار : ٨ / ٢١ .

(٢) سورة محمد / ١٥ .

الصادق (ع) (وان الكوثر لأشدُّ فرحاً لباكي الحسين (ع)) الناس يفرحون بوصولهم إلى حوض الكوثر ولكن الإمام يقول إن حوض الكوثر يفرح بالإنسان الحسيني ولأجل معرفة حوض الكوثر بتفصيل أكثر عليك بمراجعة كتاب وقائع الأيام . وقال رسول الله (ص) في حديث له (والماء من نهر يقال له الكوثر عليه اثنا عشر ألف شجرة كل شجرة لها ثلاثمائة وستون غصناً فإذا أراد أهل الجنة الطرب هبت ريح فما من شجرة ولا غصن إلا وهو أحلى صوتاً من الآخر . . .)^(١) بشرط أن الأذن التي تسمع هذه الأصوات المطربة الروحية لم تتعرف في هذه الدنيا على الله والطرب والموسيقى مما هو من عمل أهل الفسوق .

ظهور عظمة محمد وآل محمد ع

لواء الحمد ، المنبر والوسيلة ، المقام المحمود .

ومن مواقف القيامة موقفٌ تظهر فيه عظمة وجلالة قدر محمد وآل محمد (ع)
 اللواء : عبارة عن لواء من نور طوله مسيرة ألف سنة وهو على ثلاثة أقسام سعة كل قسم منها فيما بين الشرق والغرب كما ورد في الرواية . وفي رواية أخرى أنه أعظم من الشمس والقمر على أحدها كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) وعلى الثاني كتب (الحمد لله رب العالمين) وعلى الثالث (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأن جميع الأنبياء والصلحاء والمؤمنين ينضوون تحت هذا اللواء الذي يحمله أمير المؤمنين (ع) .

الوسيلة : (وقرب إليه الوسيلة) وهي عبارة عن منبر خاص لرسول الله (ص) له ألف درجة ودرجاته من الزبرجد والزمرد والياقوت والذهب ، وطبعاً من ذهب ومجوهرات الجنة . والدرجة الأخيرة والتي ما فوقها درجة هي مختصة بخاتم الأنبياء (ص) والدرجة التي قبل الأخيرة لوصيه علي بن أبي طالب (ع) وبعدها لإبراهيم الخليل (ع) وهكذا لبقية الأنبياء والأوصياء حسب درجاتهم .

المقام المحمود : رسول الله (ص) يقف على هذا المنبر فيبدأ بالثناء والحمد لله

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٦ .

سبحانه وتعالى ثناء ومدحاً لم يسبق له مثيل في الأولين والآخرين وبعد ذلك يثني على الملائكة والأنبياء والصلحاء والمؤمنين فما أعظم الافتخار لمن يذكر اسمه سيد الأولين والآخرين .

اقرأوا بدقة العبارة الواردة في زيارة عاشوراء (واسأل الله أن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عند الله) هذا المقام المحمود نتيجة قيام رسول الله (ص) ليلاً إلى الصباح للعبادة واستمر على ذلك عشر سنوات حتى ورمت قدماه .

علي ع قسيم النار والجنة

وفي ذلك المقام المحمود يأتي إلى رسول الله (ص) أجمل الملائكة ويقول أنا رضوان خازن الجنان وأمرت أن أسلم مفاتيح الجنان إليك يا رسول الله (ص) . وبعد ذلك يأتي ملكٌ مهيبٌ ويقدم مفاتيح جهنم إلى النبي (ص) ، ثم إن رسول الله (ص) يعطي هذه المفاتيح إلى الإمام علي (ع) فيأتي عليه السلام إلى الصراط فكل من أذن له بالمرور يدخل الجنة وإلا فإن السنة النيران تجره إلى أسفل السافلين .

قال النبي (ص) مخاطباً الإمام علي (ع) : « يا علي إن جهنم يومئذ أشد مطاوعة لك من غلام أحدكم لصاحبه »^(١) .

(١) عن أبي عبد الله (ع) قال : كان رسول الله (ص) يقول : إذا سألتكم الله . فاسألوا لي الوسيلة . فسألنا النبي (ص) عن الوسيلة فقال : هي درجتي في الجنة وهي ألف مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد ، إلى مرقاة لؤلؤ ، إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولا شهيد ولا صديق إلا قال : طوبى لمن كانت له هذه الدرجة ، فينادي المنادي ويسمع النداء جميع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين : هذه درجة محمد (ص) فقال رسول الله (ص) : فأقبل يومئذ متزراً بريطة من نور عليّ تاج الملك وإكليل الكرامة وعلي بن أبي طالب امامي ويده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله المفلحون هم الفائزون بالله فإذا مررنا بالنبيين قالوا : هذان ملكان لم نعرفهما ولم نرهما ، وإذا مررنا بالملائكة قالوا : هذان نبيان مرسلان ، حتى اعلو الدرجة وعلي يتبعني فإذا صرت في أعلى الدرجة منها وعلي أسفل مني بيده لوائي فلا يبقى يومئذ نبي ولا مؤمن إلا رفعوا رؤوسهم إلي يقولون : طوبى لهذين العبدین ما أكرمهما على الله ، فينادي المنادي يسمع =

الصراط

﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ﴾

الاعتقاد بالصراط من الأمور الواجبة ومن ضروريات المذهب ويكون الاعتقاد بالصراط على سبيل الإجمال طبعاً ، والصراط في اللغة بمعنى الطريق ، فالأشخاص الذين ساروا في الدنيا على الصراط المستقيم وجادة الحقيقة وكانوا مؤمنين لم ينحرفوا فهم في الآخرة يعبرون على الصراط إلى الجنة بعضهم كالبرق الخاطف وبعضهم كراكب الفرس وبعضهم زحفاً وهكذا تبعاً لكيفية سلوكهم في الدنيا .

وورد في تفسير الآية الكريمة ﴿ وجيء يومئذ بجهنم ﴾ سئل عن ذلك رسول الله (ص) فقال : « أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع

= النبيون وجميع الخلائق : هذا حبيبي محمد وهذا ولّي علي بن أبي طالب طوبى لمن أحبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه ، ثم قال رسول الله (ص) : يا علي فلا يبقى يومئذ في مشهد القيامة أحد يحبك إلا استروح لهذا الكلام وأبيض وجهه وفرح قلبه ولا يبقى أحد ممن عاداك ونصب لك حرباً أو جحد لك حقاً إلا اسودّ وجهه واضطربت قدماه ، فيبينا انا كذلك إذا ملكان قد أقبلا إليّ ، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة . وأما الآخر فمالك خازن النار ، فيدنو رضوان ويسلم عليّ ويقول : السلام عليك يا رسول الله . فأرد عليه وأقول : أيها الملك الطيب الريح الحسن الوجه الكريم على ربه من أنت ؟ فيقول : أنا رضوان خازن الجنة أمرني أن أتيك بمفاتيح الجنة فخذها يا محمد ، فأقول : قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ ، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب ، فيدفعها إلى علي ويرجع رضوان . ثم يدنو مالك خازن النار فيسلم ويقول : السلام عليك يا حبيب الله . فأقول له : وعليك السلام أيها الملك ما أنكر رؤيتك واقبح وجهك من أنت ؟ فيقول : انا مالك خازن النار أمرني ربي أن أتيك بمفاتيح النار . فأقول : قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما أنعم به عليّ وفضلني به ، ادفعها إلى أخي علي بن أبي طالب فيدفعها إليه ، ثم يرجع مالك ، فيقبل عليّ ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار حتى يقعد على عجزه جهنم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرها وكثر تطاير شررها فتنادي جهنم : يا علي جزني فقد اطفأ نورك لهبي . فيقول علي لها : ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي فلتجهنم يومئذ اشد مطاوعة لعلّي من غلام احكم لصاحبه ، فإن شاء يذهب بها يمنة وإن شاء يذهب بها يسرة ، وَلَجْهَنُمُ يومئذ اشد مطاوعة لعلّي من جميع الخلائق وذلك أن علياً (ع) يومئذ قسيم الجنة والنار . (بحار الأنوار ج ٧ ، ص ٣٢٦) .

الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد لها هدة وغضب وزفير وشهيق وإنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله عز وجل أخرهم للحساب لأهلكتم الجمع ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر»^(١) وفي حديث آخر أنه (ص) قال: ثم يأمر الله أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قطرة سبعة عشر ألف فرسخ وعلى كل قطرة سبعون ألف ملك يسألون عن هذه الأمة رجالهم ونسائهم .

العقبة الأولى : الرحم والأمانة والولاية :

فأول محطة يسأل عنها الإنسان الرحم ، فإضافة إلى آثار قطع الرحم في الدنيا من قصر العمر وزوال البركة في المال ففي الآخرة أيضاً يسأل عن ذلك كما ورد في القرآن المجيد^(٢) إذا فلو مرض أحدٌ من أقربائك واحتاج إلى المعونة فينبغي أن تعودته وتعينه وتقضي حوائجه .

الموقف الآخر هو موقف الأمانة وطبعاً لا يختص بالمال بل إذا كلمك أحد في أمر على أن لا تضيعه فلو فعلت ذلك فقد خنت الأمانة «المجالس بالأمانة» وكذلك لو فضحت أحداً فقد خنته . أو بالنسبة إلى المال فلو كنت مستأجراً لبيتك ولم تؤد الأجرة له في الوقت المعين فقد خنته لأنه تصرف في مال الغير ، وكذلك لو كنت مستأجراً لدكانه وانتهت مدة الإجارة فينبغي أن تخرج منه فوراً وترجعه له ، وعلى كل حال تُسأل عن كل قول أو فعل صدر منك .

والموقف الآخر في هذه العقبة والتي تواترت فيها الروايات عن أهل السنة والشيعه هي ولاية علي بن أبي طالب (ع) ففي تفسير الثعلبي وغيره يقول في تفسير الآية الشريفة ﴿وقضوهم إنهم مسئولون﴾ يعني مسئولون عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) فيقف الإنسان ليسأل هل يحبه (ع) أم لا ؟

وروى الحموي والطبري وهما من أجلة علماء السنة عن رسول الله (ص) أنه

(١) بحار الأنوار : ج ٨ .

(٢) ﴿واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام﴾ سورة النساء الآية (١) .

قال : « إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب (ع) وذلك قوله ﴿ وقفوههم انهم مسئولون ﴾ يعني عن ولاية علي بن أبي طالب^(١) وروايات كثيرة واردة من هذا القبيل لم نذكرها اختصاراً .

العقبة الثانية : الصلاة

عندما يتجاوز العقبة الأولى التي هي ولاية الإمام علي (ع) ورد الأمانة وصلة الرحم يصل إلى عقبة الصلاة فيسأل عن صلاته اليومية وصلاة الآيات والقضاء وغيرها كما أشرنا إلى ذلك سابقاً . قال رسول الله (ص) : ليس مني من استخف بصلاته لا يرد علي الحوض لا والله^(٢) .

وآخر وصية للإمام الصادق (ع) قوله « لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة » كأن يصلي صلاة الصبح عند طلوع الشمس أو يصلي الظهر والعصر عند الغروب فكيف لو ترك الصلاة فقد ورد في الروايات أن تارك الصلاة يموت عطشاناً ويبعث عطشاناً .

والأمر الذي أريد أنؤكد عليه بحيث يسمع الجميع ويخبرون به الآخرين هو مسؤوليتنا في مقابل أطفالنا فينبغي تعويدهم على الصلاة قبل البلوغ . لا بد وأن يربى الطفل على أن يكون مصلياً ، وطبعاً تكون نتيجة هذه التربية لك فكل عمل يقوم به الطفل قبل بلوغه بتأثير من الأب أو الأم يكون ثوابه لهما ، وكذلك أعماله بعد البلوغ لأنهما كانا سبب ذلك الخير فتشملهم العناية والرحمة الإلهية .

وقد روي أن نبياً من الأنبياء مر على قبر يعذب صاحبه ثم مر عليه بعد مدة فلم يكن يعذب فسأله أصحابه عن رفع العذاب عنه فقال : إنه خلف ولداً فجاءت به أمه إلى المعلم فلقنه بسم الله الرحمن الرحيم فاستحى أن يعذب رجلاً وابنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم .

فالعرض تأثير التربية الصالحة للطفل والثواب الذي يناله الأبوان من ذلك . إذاً فهناك

(١) البحار ج ٨ ، ص ٦٨ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨٢ .

مسؤولية شرعية بعهدتنا جميعاً وأولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة إلى الزوجة والأطفال وبعد ذلك سائر الأقارب .

العقبة الثالثة « الخمس والزكاة »

فلو كان في ذمته درهم واحد من الخمس أو الزكاة فسوف يتوقف عند هذه العقبة .
والروايات الواردة في عذاب مانع الزكاة كثيرة ، ومن جملتها قول الإمام الباقر (ع) : « ما من عبد منع زكاة شيئاً إلا جعل الله ذلك له يوم القيامة ثعباناً من نار طوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب »^(١) .

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله (ع) قال : « وما من ذي نخل أو كرم أو زرع يمنعه زكاتها إلا طوقه الله ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة »^(٢) .

وكذلك في زمان ظهور صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف يقتل مانع الزكاة كما ورد في الرواية^(٣) عن الإمام الصادق (ع) ، فلا يكون درهم واحد من الزكاة في ذمة أحدكم إذا كان من الذهب والفضة المسكوكين فيؤتى يوم القيامة مع ذلك الدرهم أو الدينار ﴿ فيحمر عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾^(٤) ومن الجدير بالذكر أن لا فرق بين زكاة المال وزكاة البدن فعليه أن يؤدي الزكاة في عيد الفطر من ماله .

وأما ما يتعلق بالخمس فهناك روايات كثيرة على شدة حسابه ونكتفي بذكر رواية من كتاب الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه يقول الإمام الصادق (ع) : إن أشد ما فيه الناس يوم القيامة أن يقوم صاحب الخمس فيقول « يا رب خمسي » فيطالب بحقه من الأشخاص الذين لم يعطوا الخمس وكفى في عذابه أن يكون شفاعؤه خصمه .

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٢٧٩ .

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٢٨٠ .

(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٢٨٠ .

(٤) سورة التوبة / ٣٥ .

العقبة الرابعة « الصوم »

فيسأل الإنسان عن صومه شهر رمضان المبارك في العقبة الرابعة فقد ورد « الصوم جنة من النار » وقال الإمام علي بن الحسين (ع) للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء الله عز وجل .

العقبة الخامسة « الحج »

فلو أن الإنسان استطاع الحج ولم يحج فسيوقفونه عند هذه العقبة فهناك طائفتان من الناس يقال للواحد منهم عند موته « مت يهودياً أو نصرانياً » أحدهما مانع الزكاة والآخر تارك الحج ، وكفى ذمماً واحتقاراً لمن ترك الحج الواجب أن الله سبحانه وتعالى يعبر عنه في القرآن المجيد بالكافر^(١) .

ولا أريد أن أبحث هذه الموضوعات فنخرج بذلك عن الحديث في أصول العقائد ولكن الهدف هو إطلاع المؤمنين .

العقبة السادسة « الطهارة » .

فقد ذكر في رواية ابن عباس أن المقصود هو الطهارات الثلاث « الوضوء والغسل والتيمم » وبعض ذهب إلى أنها مطلق الطهارة فلو تكاسل الإنسان عنها وخصوصاً بالنسبة إلى النساء ولم يؤدّها في وقتها فيكون مسؤولاً عنها بل لقد ورد أن من لا يبالي بالنجاسة يصاب بضغطة القبر .

العقبة السابعة « المظالم »

وقد يعبر عنها تارة بعقبة « العدل » وتارة « حق الناس » ، وفي القرآن الكريم ورد التعبير عنها بـ « المرصاد » ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ فلو لطم شخص على وجهه بدون حق فسيوقف خمسمائة عام في هذا الموقف ويطحنون عظامه .

أيها الكاسب بأي حق تضرب غلامك ؟ أيها المعلم بأي حق شرعي تضرب تلاميذك

(١) ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (سورة آل عمران آية ٩٦) .

بحيث يسود بدن التلميذ في بعض الأحيان ؟ أيها الأزواج بأي حق تضربون زوجاتكم ؟ اللهم إلا في بعض الموارد الاستثنائية التي يندر حصولها وهذا خارج عن بحثنا . وعلى كل حال من يستطيع أن يدعي أن ليس في ذمته حق للآخرين ؟ الإمام الصادق (ع) يقول ليونس بن ظبيان : يا يونس من حبس حق مؤمن أقامه الله يوم القيامة خمسمائة عام على رجله حتى يسيل من عرقه أودية وينادي مناد من عند الله : هذا الظالم الذي حبس عن المؤمن حقه قال : فيوبخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار^(١) .

وطبعاً هذا في صورة ما إذا لم تكن لديه حسنات ، وإلا فسيؤخذ من حسناته ويعطى لصاحب الحق كما مر ذكره ، وورد في بعض الروايات أنه يعطى لصاحب الحق سبعمائة ركعة من الصلوات في مقابل درهم واحد . ويحكي ثقة الإسلام النوري في كتاب المستدرک نقلاً عن كتاب الأنوار المضيئة تأليف السيد غياث الدين النجفي الذي هو من علماء الإمامية وفقهاء الشيعة هذه الحكاية : وهي أن قريتنا من القرى القريبة من مدينة الحلة حيث كان متولي المسجد واسمه محمد بن أذينة يأتي يومياً وحسب عادته إلى المسجد وفي أحد الأيام لم يحضر إلى المسجد فسلنا عن حاله قبل إنه راقد في البيت . تعجبنا كثيراً لأنه كان سليماً معافى في الليلة السابقة فذهبنا إلى عيادته فرأيناه في حالة يرثى لها قد احترق بدنه ويغمى عليه بين الحين والآخر سألته عما حدث له فقال :

- ليلة البارحة رأيت في عالم الرؤيا الصراط وأمرت أن أعبر عليه ، في البداية كان المسير مريحاً ولكنه بدأ يضيق بالتدرج فصرت أسير ببطء وبحذر شديد كي لا أقع وكانت السنة النيران السوداء تتصاعد من جهنم والناس يتساقطون فيها كورق الخريف وفجأة رأيت أن الصراط قد انهار تحت قدمي كالشعرة وجذبتني النيران إليها فسقطت في وادي جهنم فحاولت الخلاص ولكن دون جدوى فقد كانت أ النار تجرني إلى الأسفل (لجهنم جاذبية وفي الرواية أن الإنسان يضل يهوي فيها سبعين عاماً) ولما يثست من النجاة خطر في قلبي أنني كلما سقطت في الماضي استغثت بعلي (ع) فقلت (اغثني يا مولاي يا أمير المؤمنين) فألهمت أن أنظر إلى الأعلى فرأيت سيداً يقف إلى جانب الصراط فمد يده إليّ

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٢٨٦ .

وجذبني إلى الأعلى فقلت : سيدي لقد احترقت فأنقذني فمسح بيده المباركة من الركبة إلى أعلى الفخذ فاستيقظت من النوم فرأيت أن الموضع الذي مسح عليه الإمام صحيح سليم لكن بقية أجزاء بدني تحرقني بشدة .

وبقي في فراشه ثلاثة أشهر يعاني من شدة الألم ويختلف إليه الأطباء ويعالجوه بأنواع الأدوية والأدهان حتى تحسنت صحته وثبت على جسده لحم جديد . ويذكر في كتاب المستدرك أيضاً أنه كلما ذكر هذه الحكاية لأحد من الناس أصابتنى الرجفة والحمى .

أجل طريق السعادة والخلاص هو التمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام . وقد وعد إمام الرضا (ع) زائري قبره الشريف بأن يأخذ بيدهم على الصراط . ووردت روايات تبشر المتمسكين بالحسين (ع) في هذا الموقف حتى ورد عن الإمام الصادق (ع) أن المختار سينال الشفاعة أيضاً .

« الشفاعة »

ومن الأصول المسلّمة عندنا شفاعة الشافعين في يوم القيامة وهم الصالحون والمقربون عند الله سبحانه وتعالى حيث يأخذون بأيدي الضعفاء وينقذونهم من النار .

والشفاعة على قسمين فتارة تكون الشفاعة لشخص من أهل النار فيتخلص بذلك من العذاب وينال السعادة ، وتارة أخرى تكون الشفاعة لرفع درجة رجل من أهل الجنة كأن تكون درجته منخفضة ولا يتمكن من الوصول إلى جوار محمد وآله عليهم السلام فيشفعون له في ذلك . إذاً فالجميع محتاجون إلى الشفاعة .

ويذكر في بحار الأنوار رواية عن أبي أيمن الذي قال للإمام الباقر (ع) : يا أبا جعفر تغرّون الناس وتقولون : شفاعة محمد شفاعة محمد ؛ فغضب أبو جعفر (ع) حتى تريد وجهه ثم قال : ويلك يا أبا أيمن أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك ؟ أما لو قد رأيت أفزع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (ص) ويلك فهل يشفع إلّا لمن وجبت له النار ؟ ثم قال : ما أحد من الأولين والآخرين إلّا وهو محتاج إلى شفاعة محمد (ص) يوم القيامة ثم قال أبو جعفر (ع) : إن لرسول الله (ص) الشفاعة في أمته ولنا شفاعته في شيعتنا

ولشيعتنا شفاعة في أهابهم^(١) . وسائر الشفعاء فرع من هذا الأصل فمثلاً من جملة الشفعاء العلماء العاملون حيث يدخل الجنة عدة من الناس بشفاعتهم وهؤلاء العلماء بدورهم من صنائع أهل البيت (عليهم السلام) .

والمؤمنون من جملة الشفعاء أيضاً ، فقد ورد في الرواية أن كل مؤمن يشفع لمائة شخص . فمن أين لهم هذه المنزلة لولا اتباع أهل البيت عليهم السلام ؟ أو السادات مثلاً الذين هم من شفعاء يوم القيامة من أين لهم هذه المنزلة لولا انتسابهم إلى أهل هذا البيت . وكذلك القرآن والمساجد حيث أنها آثار محمد وآله (عليهم السلام) والخلاصة انها ترجع جميعاً إليهم صلوات الله عليهم .

الشفاعة في جميع الأمكنة

الأصل في الشفاعة أن تكون يوم القيامة ، ولكن هناك شواهد متعددة على أنها تكون في البرزخ وحتى في الدنيا أيضاً . فمثلاً يتم دفع البلاء بشفاعة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه . أو لو كان الميت معذباً في البرزخ فيتوسل أهله وأقرباؤه في الدنيا بأهل البيت (عليهم السلام) ويستشفعون بهم إلى الله تعالى أن يعفو عن الميت ببركتهم ، فلو شفّعوا له كان مرحوماً ، وقد حدثت جملة من القضايا تؤكد ذلك .

قصّة السيد الحميري المذكورة في الكتب العديدة تؤكد حصول الشفاعة عند الاحتضار وقبل الموت . وحكاية الحاج ميرزا خليل التي وقعت أخيراً ولعل بعض الشيوخ الكبار السن يذكرونها شاهداً على الشفاعة في الدنيا . وهي أن الحاج ميرزا خليل كان من طلاب مدرسته دار الشفاء العلمية في قم ، وفي أحد الأيام وبينما كان جالساً في حجرته إذ دخلت عليه عجوز وقالت : إني مصابة بوجع شديد في بطني فهل لديك دواء لذلك ؟ ولم يكن مطلعاً على أمور الطب فقال لها : اذهبي وتناولي الدواء الفلاني فذهبت .

فلما كان اليوم التالي جاؤوا إليه بآنية متعددة مليئة بالأطعمة بعنوان أجرة الطبابة ، وانتشر الخبر بوجود طبيب حاذق يسكن في مدرسة دار الشفاء يشافي المرضى بمراجعة

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٨ .

واحدة ، وتدرجياً زادت أعماله فأرى أنه لا بد له من قراءة الطب . فذهب واشترى كتاب تحفة الحكيم واشتغل بالطبابة رسمياً إلى درجة انه دعي إلى طهران لمعالجة المرضى فاشتغل هناك .

ويذكر ابنه العالم الجليل الحاج المولى علي بن الحاج ميرزا خليل أن والدي كان يقول . . . إن وجودي ووجود أولادي جميعاً من بركة علوية كانت في مشهد الحسين (ع) قلت : وكيف ذلك ؟ فقال : كنت قبل أن أتزوج في بلدة طهران فرأيت في المنام رجلاً حسن الوجه والشمائل عليه ثياب بيض فقال لي : إن كنت قاصداً زيارة الحسين (ع) فعجل فإنه سيقطع الطريق بعد شهرين فلا يسمح لأحد بالسفر وكان في همي زيارة أبي عبدالله (ع) .

فلما انتهت تأهبت لزيارة مولاي الحسين (ع) فأتيت إلى زيارته وأرخت الرؤيا فلم ينقض من الزمان الذي حدده إلا وقد انسدت الطرق فعرفت صدق الرؤيا وصدق الرجل الذي أنبأني بذلك النبأ .

ثم إن السيد صاحب الرياض بعد أن رأى مني معالجات حسنة في طبابة النفوس أمر الناس بالرجوع إلي فبقيت برهة من الزمان يرجع الناس إلي ، وكنت يوماً من الأيام جالساً في المحكمة وإذا بامرأة دخلت علي مع خادمة لها ، فلما فرغت من الناس ولم يبق أحد ، جاءت إلي وأخرجت يديها وإذا لم يبق فيها إلا العظم لمرض الأكلة فلما رأيت منها ذلك كرهت نفسي فقلت لها : إن هذا المرض ليس عندي علاجه فتأوهت وتحسرت وخرجت ، فرق لها قلبي وناديت المرأة التي كانت معها فقلت لها من هذه ؟ فقالت : إن هذه امرأة علوية الطرفين وزوجها كان علوياً وجاءت من الهند مع مال عظيم لا يكاد يحصى ، فصرفت جميعه على مولانا الحسين (ع) فبقيت الآن صفر اليدين لا مال لها وهي مبتلية بهذا المرض الذي تراه فقلت لها : أدعيها لأعالجها فجاءت فشرعت في علاجها من الفصد والحجامة والمسهلات والمعاجين لمدة ستة أشهر ، وقد شرع نبات اللحم في يديها وما ابتلي بهذا المرض من جسدها ولم يكمل لها السنة إلا وقد شفيت كأن لم يكن فيها مرض أصلاً فكانت العلوية تتردد إلي وترأف بي رافة الأم لولدها بل أعظم إلى أن مضت مدة .

فرايت في المنام ذلك الرجل الذي أخبرني بانقطاع الطريق وأمرني بالتعجيل لزيارة الحسين (ع) يقول : يا فلان تأهب لسفر الآخرة فإنه لم يبق من عمرك إلا عشرة أيام فاستيقظت فزعاً مرعوباً فَحَوَّلْتُ واسترجعت وقلت هذه آخر أيامي من الدنيا فعرضت لي في ذلك اليوم حمى واشتدت علي إلى أن توسدت الفراش وكانت العلوية تمرضني وتقضي ما أحتاج إليه إلى أن جاء يوم العاشر فاجتمع الأحباب حولي فبينما هم ينظرون إلي وأنظر إليهم وإذا أنا أرى نفسي تحولت من عالم إلى آخر فلم أرَ من الجالسين حولي أحداً وأنا في ذلك العالم وإذا بالحائط قد انشق وخرج منه شخصان كانا من الهبة بمكان وجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي وهما لا يمساني بشيء ولكن أرى نفسي منهما بحيث تعلق بعروقي منهما شيء لا أستطيع فكّه إلى أن وجدت نفسي كأنما بلغت التراقي وإذا بالحائط قد انشق فخرج رجل فقال لهما : اتركا ، فقالا : نحن مأموران فقال لهما : إن الحسين (ع) قد شفع إلى الله تعالى في رجوعه إلى الدنيا فقاما وخرجا فرجعت إلى هذا العالم فرايت الجماعة الذين كانوا حولي قد تأهبوا لموتي ففتحت عيني فاستبشروا بي وإذا بالعلوية قد دخلت البيت وقالت : أيتها الجماعة بشروا فلاناً فإن جدي الحسين (ع) قد شفع إلى الله تعالى في شفائه فقالوا لها : كيف ذلك ؟ فقالت ذهبت إلى قبر جدي الحسين (ع) فنضرت إلى الله تعالى في شفاء هذا المريض والشفاعة عند الله تعالى ، فرقدت فرايت الحسين (ع) فقلت : يا جداه أريد شفاء فلان منك ، فقال لي : إني أدعو الله تعالى فإن رأى الحكمة في إجابتي أجابني ، فرفع يديه إلى السماء فدعا ثم قال : ابشري فإن الله تعالى قد استجاب دعائي في شفاء فلان . ثم قال والدي : يا ولدي إن للعلويات شأناً من الشأن واني رأيت منهن عجائب وكان يذكر لي بعض ما رأى منهن من الكرامات وكان له اعتقاد بالعلويات غير اعتقاده بالسادات العلويين قال سلمه الله تعالى : وكان عمر الوالد في هذه الواقعة سبعة أو ثمانية وعشرين سنة بينما كانت وفاته في التسعين من العمر فكان الموهوب ضعف المكتوب^(١).

ونظير هذه القصة كثير . ونقل العراقي في آخر كتاب دار السلام بعضاً من معجزات

(١) دار السلام ج ٢ ص ٢٤٧ .

التوسل بأهل البيت (عليهم السلام) ومنها إحياء طفل لشخص سقط من أعلى السطح ومات .

الشفاعة هي أمنا

روى في المجلد الثالث من بحار الأنوار عن رسول الله (ص) انه قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤالاً ، وقد خبأت دعوتي لشفاعتي لأمتي يوم القيامة »^(١) . نرجو أن تشملنا هذه الرحمة الإلهية يوم القيامة .

وقد وردت روايات عديدة تتعلق بشفاعة الزهراء (ع) عن النبي (ص) بعد ذكر كيفية ورود فاطمة الزهراء إلى المحشر أنه قال : « كأنني انظر إلى ابنتي فاطمة وقد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور ، عن يمينها سبعون ألف ملك تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة ، فأیما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات وصامت شهر رمضان وحجت بيت الله الحرام وزكّت مالها وأطاعت زوجها ووالت علياً بعدي دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة »^(٢) وطبعاً لا ينبغي أن يبعث موضوع الشفاعة على الغرور بأن يتوهم أحد أن الأمر إذا كان كذلك وشفاعة أهل البيت حميّه فلنفع ما نشاء . كلا ليس الأمر كذلك ، فما أكثر ما تؤدي الذنوب إلى أن يموت الرجل وهو فاقد للإيمان فلا تصل التوبة إلى الشفاعة ، وقد تكون ذنوب الشخص إلى درجة أنها تقتضي تخليده في جهنم مدة طويلة حتّى يتطهر ومع ذلك تكون له قابلية الشفاعة . إذاً ينبغي أن يكون الإنسان خائفاً راجياً في نفس الوقت .

الأعراف

﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾^(٣)

الأعراف كما تدل على ذلك الروايات مكان مرتفع على الصراط حيث جعله الله سبحانه وتعالى مكاناً لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم ، فكل شيعي يظهر نور الولاية من جبينه يجيزه أمير المؤمنين (ع) للدخول إلى الجنة إذا فمعنى الآية الشريفة ﴿ وعلى

(١) بحار الأنوار ج ٨ ، ص ٣٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٨ ، ص ٥٨ .

(٣) سورة الأعراف / ٤٦ .

الأعراف رجال ﴿ أي محمد وعلي (عليهما السلام) يعرفان كل شخص يمر على الصراط من جيئنه .

عن الإمام الباقر (ع) انه سئل عن قول الله ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ قال (ع) : انزلت في هذه الأمة ، والرجال هم الأئمة من آل محمد وقلت : فما الأعراف ؟ قال : صراط بين الجنة والنار ، فمن شفع له الأئمة من المؤمنين المذنبين نجا ، ومن لم يشفعوا له هوى^(١) .

وروي عن أمير المؤمنين (ع) قال : ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ فقال : نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه^(٢) .

وفي تفسير آخر أن الأعراف هو ذلك السور الذي جعل الله سبحانه وتعالى بين الجنة والنار والذي أشار إليه في سورة الحديد ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾^(٣) .

وقد ورد في التفسير أن النور الذي على جيئهم هو نور العقائد وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وفي الجانب الأيمن نور العبادات ، ونور بعضهم يمتد إلى مد البصر ونور بعضهم ضعيف إلى درجة أنه تارة يضيء ويخفت أخرى وينادون بلهفة « ربنا أتمم لنا نورنا » .

وهنا لا ينفع الشخص سوى نوره بالرغم من أن المنافقين والمذنبين يتوسلون بالمؤمنين أن يستفيدوا من نورهم إلا أن ذلك لا ينفعهم ، ويضرب بينهم بسور يسمى الأعراف .

(١) بحار الأنوار : ٨ / ٣٣٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٨ / ٣٣٨ .

(٣) سورة الحديد / ١٣ .

﴿ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾^(١) . فليس لكم الآن مكان سوى النار .

وأردت من خلال هذا الحديث أن نَعتَظ ونفكّر بتهيئة النور الذي ينفعنا في ذلك اليوم قبل زوال الفرصة .

الوجه الثالث في معنى الأعراف هو أنه مكان بين الجنة والنار يوضع فيه المستضعفون من الناس وهم المجانين والأطفال الذين ماتوا قبل البلوغ والأشخاص الذين لم تكتمل عقولهم ، فلم لا يتنعمون كما يتنعم أصحاب الجنة ولكن لا يعذبون أيضاً .

« الجنة »

لقد خلق الله سبحانه وتعالى مكاناً في الآخرة يكون ذخراً للمتقين والمؤمنين ، وقد خلق الله عز وجل في هذا المكان أنواع الميزات المختلفة والنعم العظيمة إلى درجة أن معرفة حقيقته مستحيلة على أهل هذه الدنيا وهو أشبه شيء بمعرفة الجنين في بطن أمه عن أوضاع وأخبار هذا العالم الدنيوي .

ولذلك أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون ﴾^(٢) ويخبرنا القرآن بشكل إجمالي عن نعم الجنة ﴿ لهم فيها ما يشاؤون ولدينا مزيد ﴾^(٣) ويقول أيضاً في مكان آخر ﴿ وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴾^(٤) .

وعلى كل حال لا مكان للعجز وللضعف وللمرض والتعب والحزن هناك ، فهناك السلامة المطلقة من كل جهة ولذلك تسمى الجنة بدار السلام ، فهناك السلطة الحقيقية التي هي عبارة عن القدرة التامة بحيث أن كل ما يريده يتحقق .

(١) سورة الحديد الآية ١٤ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٧ .

(٣) سورة ق - الآية ٣٥ .

(٤) سورة الأنبياء - آية ١٠٢

ولذلك ورد « أن أهل الجنة ملوك » وفي سورة الدهر يقول سبحانه وتعالى ﴿ وإذا رأيت ثمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً ﴾ ^(١) وهنا نشير إلى بعض النعم الإلهية في الجنة التي أشار إليها القرآن المجيد .

مأكولات ومشروبات الجنة

﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ ^(٢)

﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ ^(٣)

﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ ^(٤)

﴿ فيها فاكهة ونخل ورمان ﴾ ^(٥)

﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ ^(٦) وهو ليس مثل الخمر الدنيوي المتعفن والمضر والمزيل للعقل بل هو لذيد وغير مضر ومنبه للعقل ﴿ وأنهار من عسل مصفى ﴾ ^(٧) .

وفي الجنة عيون متعددة لكل واحد منها خاصية ولذة وحلاوة خاصة وكل واحدة منها اسم مناسب لها مثل العين الكافورية والزنجبيلية والسلسبيل ، والتسنيم وأهمها نهر الكوثر الذي قال عنه رسول الله (ص) لعلي (ع) : إن الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد . وحصاه الزبرجد والمرجان ، حشيشه الزعفران ، ترابه المسك الأذفر ، قواعده تحت عرش الله عز وجل . والمستفاد من الروايات أن الكوثر نهر يجري تحت العرش ويكون في الجنة على شكل نهر وفي ميدان المحشر على شكل حوض عظيم كما ذكرنا سابقاً .

(١) سورة الدهر - آية ٢٠ .

(٢) سورة الواقعة - آية ٢١ .

(٣) سورة الواقعة - الآية ١٩ .

(٤) سورة الواقعة - الآية ٣٢ .

(٥) سورة الرحمن - آية ٦٨ .

(٦) و(٧) سورة محمد / ١٥ .

اللباس في الجنة

يقول القرآن الكريم في سورة الكهف الآية ٣١ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خَضِراً مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ﴾ وفي مكان آخر يقول ﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(١).

وورد عن رسول الله (ص) « فإذا دخل المؤمن إلى منزله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة وألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوماً في الإكليل تحت التاج وألبس سبعين حلة بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر»^(٢) وفي حديث آخر يقول (ص) : « لو أن ثوباً من ثياب الجنة أُلقي إلى أهل الدنيا لم تتحملة أبصارهم ولماتوا من شهوة النظر إليه »^(٣).

وورد عن الإمام الصادق « أن الله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة فإذا كان يوم الجمعة بعث الله للمؤمن ملكاً معه حلتان فينتهي إلى باب الجنة فيتزر بواحدة ويتعطف بالآخرى فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد »^(٤).

تصور الجنة

يقول القرآن الكريم ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾^(٥).

ويقول في سورة الزمر ﴿ لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ﴾^(٦).

(١) سورة فاطر . آية ٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٢٨ .

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٢٦ .

(٤) لآلئ الأخبار ج ٤ ص ٣٧٦ .

(٥) سورة الصف آية ١٢ .

(٦) سورة الزمر آية ٢٠ .

وورد عن رسول الله (ص) « أن سقوفها الذهب مسكوكة بالفضة لكل غرفة منها ألف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبر والكافور »^(١) .

وورد في تفسير « ومساكن طيبة » عن رسول الله (ص) أنه قال : هي قصور في الجنة من لؤلؤ بيضاء فيها سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير ألف فراش لون على غير لون على كل سرير امرأة من الحور العين في كل بيت مائدة عليها سبعون قصعة على كل قصعة سبعون وصيفاً ووصيفة ويعطي الله المؤمن ذلك في غداه ويأكل ذلك الطعام ويطوف على تلك الحور »^(٢) .

أثاث وأواني الجنة

﴿ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب ﴾^(٣) .

ويقول في سورة الواقعة ﴿ على سرر موضونة ﴾ وهي الأسرة المصنوعة من نسيج الذهب والمزينة بالجواهر .

ويقول في سورة الرحمن ﴿ متكئين على فرش بطائنها من استبرق ﴾ ونجد أن القرآن الكريم قد ذكر عدة أسامي لبعض الألبسة والفرش في الجنة كالاستبرق والحرير والزخرف والنمارق والزرابي ولكي ندرك حقيقتها لا بد من رؤيتها بدل الاستماع إلى أوصافها .

وأما ما يتعلق بالآنية فيقول في سورة الواقعة ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .

ويقول في سورة الدهر ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ﴾ أي لها صفاء البلور وبياض ولمعان الفضة .

(١) بحار الأنوار ج ٨ .

(٢) سورة الكهف آية ٣١ .

(٣) لآلئ الأخبار ج ٤ .

الهور العين

بما أن أعظم النعم الجسمانية في الجنة هي الحور العين لذلك نجد أن القرآن الكريم ذكرها بكثرة ، والعلة في تسميتها بهذا الاسم أن الحور العين بمعنى الجسم الأبيض والعين بمعنى العين الواسعة وكلاهما موجود في الحور العين . أو أن معناها أن بياض العين في غاية البياض وسوادها في غاية السواد والصفاء ، ويمكن أن يكون سبب تسميتها بهذا الاسم أن العيون تتحير وتنهر لفرط جمالها .

ويقول في سورة الواقعة الآية ٢٢ - ٢٣ ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ وهو اللؤلؤ في داخل الأصداف التي لم تمسها يد .

وروي عن رسول الله (ص) في حديث آخر أنه قال : وإذا ضحكت يعلو أنوار أسنانها حيطان الجنة وأشجارها ويسطع نور في الجنة فيرفعون رؤوسهم فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها^(١) .

ويقول القرآن الكريم ﴿ إنا أنشأناهم انشاءً فجعلناهم أبكاراً ﴾ أي خلقناهم بدون واسطة الأب والأم وبإكرات .

« عُرْباً أتراباً » فإضافة إلى عشقهن لأزواجهن ومحبتهم لهن أن عمر كل واحدة منهن ١٦ سنة ، كما أن عمر الرجال في الجنة ٣٣ سنة . ويقول في سورة الرحمن الآية ٥٦ ﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾ يعني أن الحور في الجنة لا ينظرن إلا إلى أزواجهن ﴿ لم يطمثن أنس قبلهم ولا جان ﴾ فلم تمتد إليهن يد آدمي أو جني قبل ذلك ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ .

وروي عن الإمام الصادق (ع) قال : « إن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير كما يرى السلك من وراء الياقوت »^(٢) .

(١) لآلئ الأخبار ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٢) لآلئ الأخبار ج ٤ .

ويقول القرآن الكريم في سورة البقرة الآية ٢٥ ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ أي طاهرات من كل نجاسة ودرن ومنها الحيض وغير ذلك ، وطاهرات من التكبر والغيرة والغرور . وروي أنه مكتوب على عضدها الأيمن بأحرف من نور « الحمد لله الذي صدقنا وعده » وعلى الأيسر « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » .

وروي عن رسول الله (ص) في ضمن حديث مطول لابن مسعود انه قال : « من قال بسم الله الرحمن الرحيم بنى الله له في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوتة جمراء ، في كل قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء ، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء ، فوق كل سرير سبعون ألف فراش من سندس واستبرق ، وعليه زوجة من الحور العين ولها سبعون ألف ذؤابة مكللة بالدر والياقوت مكتوب على خدها الأيمن : محمد رسول الله . وعلى خدها الأيسر : علي ولي الله . وعلى جبينها : الحسن . وعلى ذقنها : الحسين . وعلى شفيتها : بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابن مسعود : يا رسول الله لمن هذه الكرامة ؟ قال ، لمن يقول بالحرمة والتعظيم : بسم الله الرحمن الرحيم »^(١) .

ولا ينبغي أن النساء المؤمنات من أهل الجنة أجمل من الحور العين ، فقد ورد في تفسير الآية الشريفة ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ أنها النساء المؤمنات من أهل الدنيا اللاتي دخلن الجنة .

وروي المجلسي عن الإمام الصادق (ع) انه قال : « الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا وهن أجمل من الحور العين »^(٢) . وروي أيضاً أن النساء من أهل الجنة اللواتي لم يتزوجن في الدنيا أو لم يكن أزواجهن من أهل الجنة لهن الحرية في اختيار أي واحد من أهل الجنة زوجاً لها وإن كان زوجها من أهل الجنة تتزوجه بميلها ورغبتها ، وإن كان لها عدة أزواج في الدنيا تتزوج الأخير أو أيهم أحسن خلقاً وفضلاً . وقد روي عن الإمام الباقر (ع) ان أم سلمة قالت لرسول الله (ص) : « بأبي أنت وأمي المرأة يكون لها زوجان فيموتان ويدخلان الجنة لأيهما تكون ؟ فقال (ص) : يا أم سلمة تتخير أحسنهما

(١) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٥٢٨ .

(٢) لآلئ الأخبار ج ٤ ص ٣٧١ .

خلقاً وخيرهما لأهله ، يا أم سلمة إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة» (١) .

عطور وأزهار الجنة

يقول القرآن الكريم في سورة الرحمن ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ذواتا أفنان ﴾ فللمؤمن الذي يخاف الوقوف بين يدي ربه جنتان فيهما جميع فنون الأطعمة والعطور والمناظر الخلابة وغيرها .

وروى المجلسي عن رسول الله (ص) انه قال : لو أن امرأة من نساء الجنة أطلت من السماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت بها أفضل مما تضيء بالقمر ليلة البدر ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض (٢) .

وروي عن الإمام الصادق (ع) عن رسول الله (ص) : « أخبرني جبرئيل (ع) أن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ما يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جارّ ازاره خيلاء ولا فتان ولا منان ولا جعظري . قال الراوي : فما الجعظري ؟ قال : الذي لا يشبع من الدنيا » (٣) .

وروي أيضاً أن تراب الجنة من المسك ، ويعلم من روايات كثيرة أن جميع أراضي وقصور وغرف الجنة معطرة كلها . ويقول القرآن الكريم في سورة الدهر ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ أي أن الهواء معتدل ولا حاجة إلى الشمس والضيء لأن نور الإيمان والعمل الصالح يغنيهم كما مر . وروي أن نور الحور العين أقوى من نور الشمس وعن رسول الله (ص) : « لو أن امرأة من نساء الجنة أشرفت إلى الأرض لمات أهل الأرض برريح المسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر وتمشي لولي الله بسبعين ألف لون من الغنج » ، بل يستفاد من روايات عديدة أن كل شيء في الجنة حتى الأثاث واللباس يضيء لأهل الجنة .

(١) بحار الأنوار : ١١٩ / ٨ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨ . لآلئ الأخبار ج ٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ، ص ١٩٣ .

غناء وموسيقى الجنة

بما أن كل شيء في الدنيا من أنواع النعم والميزات إنما هو قطرة ونموذج مما هو في الجنة وأن أصله الخالص هناك فكذلك تكون المرتبة الكاملة والحقيقية للصوت العذب في الجنة أيضاً بحيث لو سمع أهل الدنيا نغمة من أنغام الجنة لهلكوا ولم يتحملوا سماع ذلك ، كما ورد في الصوت الجميل للنبي داود (ع) فمع أنه كان في هذه الدنيا إلا أنه لم يتحمل أحد سماعه من شدة عذوبته وكانت الحيوانات المتضادة تجتمع حوله عندما يقرأ وتبهر لذلك فلم يكن بينها خصام في ذلك الوقت ، وكذلك عندما يسمع الناس صوته فبعضهم يغمر عليه وبعضهم يهلك .

وفي نهج البلاغة في الخطبة المباركة لأمر المؤمنين (ع) ضمن بيان حالات الأنبياء يقول « وداود (ع) صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة » فيعلم من هذا أن النبي داود (ع) سوف يقرأ لأهل الجنة بصوت جَنِّي وأن أهل الجنة سوف يطبقون سماعه .
وروى في مجمع البيان عن رسول الله (ص) قال (ص) : « ... » وان فيها مجمع الحور العين يرفعن أصواتهن بصوت لم يسمع الخلائق بمثله «^(١) .

وكذلك روي أن بلابل الجنة تغني بأعذب الأصوات ، سئل الإمام الصادق (ع) : « هل في الجنة غناء ؟ قال : إن في الجنة شجراً يأمر الله رياحها فتهب فتضرب الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها حُسناً »^(٢) .

النعم والميزات الروحية

والنعم الروحية في الجنة على أنواع كثيرة لا يمكن عقولنا من إدراكها ومنها رفع الساتر عن عين الإدراك ورؤية ما كان يعلمه في الدنيا والوصول إلى الحقائق الإلهية التي كانت أمله في الدنيا خصوصاً معرفة ولقاء محمد وآل محمد (عليهم السلام) . ويذكر في تفسير الصافي ضمن الآية ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتسألون ﴾ أي عن المعارف الإلهية والفضائل المحمدية .

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٤٨ .

(٢) لآلء الأخبار ج ٤ ص ٣٨٣ .

ومنها أنواع التعظيم والتكريم الإلهي كشفاة كل واحد من أهل الجنة لأمه وأبيه وزوجته وأولاده إذا كانت لهم صلاحية الدخول في الجنة والسكن إلى جواره .

وهذا إنما هو لأجل تكريم المؤمن حتى لو لم يكن لأهله قابلية ذلك المقام كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ .

وبعد الاستقرار في الجنة يؤمر ألف ملك بزيارة المؤمن وتهنئته فيدخلون على المؤمن في قصره الذي له ألف باب من كل باب يدخل ملك ليسلم عليه ويبارك له هذا المقام .

والأعظم من ذلك مكالمة الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن وقد وردت روايات عديدة في هذا الباب ونكتفي بقول الله عز وجل في سورة يس ﴿ سلام قولاً من رب رحيم ﴾ .

وروى في تفسير المنهج عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال : بينما أهل الجنة مستغرقون في النعيم وإذا بنور قد سطع لهم يقول لهم (السلام عليكم يا أهل الجنة) . ومن هنا قيل إن ما كان للأنبياء (ع) في الدنيا من الكرامة ومنها مخاطبة ومحادثة الخالق جل وعلا يكون من نصيب أهل الجنة في الآخرة .

وذكر في المجلد الثاني من بحار الأنوار أحاديث مفصلة عن كيفية تجليات الأنوار الإلهية لأهل الجنة ومن جملتها مقام الرضوان الذي ذكره القرآن الكريم .

ومنها نعمة جوار محمد وآل محمد (ص) والاتصال بهم كما قال رسول الله (ص) : « يا علي أنت غداً على الحوض خليفتي وأنت تقضي ديني وتنجز عدااتي وشيعتك على منابر من نور حولي في الجنة وهم جيرانني »^(١) .

ومنها نعمة الخلود في الجنة عندما يلتفت المؤمن إلى أن هذه النعم العظيمة لا تزول عنه أبداً يحصل له من ذلك لذة عجيبة لا توصف .

ومن النعم الروحية هو لقاء الأنبياء والصلحاء والمؤمنين كما ورد في القرآن الكريم

(١) مفاتيح الجنان : دعاء الندبة .

﴿ على سرر متقابلين ﴾ وروي أن أهل الجنة مدعون في كل يوم لملاقاة أحد المرسلين من أولي العزم وتناول الطعام على مائدته ، فإذا كان يوم الخميس يحلّون ضيوفاً على خاتم الأنبياء (ص) وفي يوم الجمعة يدعى الجميع إلى لقاء الله عز وجل .

موعظة

هذا ما ذكرناه كان مختصراً للنعم الإلهية في الجنة فالآن لنُقلُ بإنصاف هل يمكن للعاقل أن يفكر في أن يحرم نفسه من هذه اللذائذ والمقامات والدرجات العظيمة ؟

الإنسان ولأجل الوصول إلى بعض المناصب الدنيوية يتحمل ما يتحمل من الأتعاب والصعوبات والآلام مع أنه لا يعلم يقيناً أنه يصل إليها ، وعلى فرض الوصول سوف تزول عنه بالموت ولكنه بالنسبة إلى مقامات وسعادات الجنة الباقية لا يخطو خطوة لتحصيلها مع أن كل واحد يسعى إليها يصل إلى مقصوده يقيناً ولكنه أخلد إلى شهواته الملوثة بآلاف الأدران فضعفت همته وتعلق قلبه بالشهوات الفانية كما ذكر القرآن المجيد ﴿ بل يريد الإنسان أن يفجر أمامه ﴾ .

وقال أمير المؤمنين (ع) في خطبة له في نهج البلاغة : « سبحانه خالقاً ومعبوداً خلقت داراً وجعلت فيها مادية ومشرباً وأزواجاً وخداماً وزروعاً وأنهاراً وقصوراً ثم أرسلت داعياً يدعو إليها فلا الداعي أجابوا ولا فيما رغبت إليه رغبوا ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا قبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيئاً أغشى بصره وأمراض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة وأذن غير سمعية قد حرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه وولمت إليها نفسه فهو عبد لها » .

بالرغم من أنه لا يوجد طريق ثالث فيما إلى الجنة وإما إلى النار ، يعني أن الإنسان إذا لم يتوجه إلى الله عز وجل لا يحرم من هذه النعم العظيمة فحسب بل أن محله في النار والتي سوف نشير إلى طرف من أخبارها .

« النار »

النار أو جهنم حفرة عظيمة لا متناهية مشتتة من غضب الله سبحانه وتعالى وهي

السجن الأخروي الذي فيه العذاب وأصناف البلايا التي لا تدركها العقول والأفهام ، فهي على نقیض الجنة تماماً فكما أن في الجنة أنواع الملذات واللذائذ ولا توجد ذرة من الشدة ، فكذلك تحتشد النار بأنواع الآلام والعذاب والشدائد ولا توجد فيها ذرة من الراحة ، وهنا نشير إلى بعض تلك الشدائد والتي ذكرها القرآن الكريم .

ماكولات ومشروبات الحمیم

﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحمیم ﴾ (١) .

وفي الخبر أن الله عز وجل يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك خازن النار فيحملهم إلى تلك الشجرة فيأكلون منها فيغلي في بطونهم كغلي الحمیم (٢) ﴿ فسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم ﴾ .

وروي أنه لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها (٣) .

﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ يعني تشربون من هذا الحمیم كما تشرب الإبل العطشى من الماء .

﴿ هذا نزلهم يوم الدين ﴾ أي أن الزقوم والحمیم جزاؤهم يوم القيامة وهذا أول العذاب وأما ما ينتظرهم من أنواع الأطعمة والأشربة الأليمة فهو غير قابل للوصف والبيان .

ويقول في سورة حَمّ الدخان ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون ، كغلي الحمیم ﴾ والزقوم ما يشبه النحاس المذاب وقيل إن المهل كدهن الزيت المغلي .

فالزقوم في بطون الكفار يغلي من شدة الحرارة كدهن الزيت المغلي وأيضاً ﴿ يصب

(١) سورة الواقعة / ٥١ - ٥٤ .

(٢) لآلئ الأخبار ج ٥ .

(٣) لآلئ الأخبار ج ٥ ص ١٣٥ .

على رؤسهم الحميم ﴿ ويقول أيضاً ﴾ ﴿ إن لدينا انكالا وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ﴾ .

وروي عن الإمام الباقر (ع) أن شجرة الزقوم ، شجرة تخرج في أصل الجحيم ، أغصانها تشرب من نار وثمارها نار ، وفرعها نار ، وإذا أكل منها ثمرة يجدها أمراً من الصبر وأنتن من الجيف وأشد من الحديد^(١) .

ومن جملة أطعمة جهنم « الغسلين » ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ ويذكر في مجمع البحرين أن الغسلين هو ما يخرج من بطون أهل النار بعد أكلهم الزقوم فيصير طعاماً لهم مرة أخرى . ومنها الطريع ، فقد روي أنه شيء يشبه الأشواك أمر من الحنظل وأنتن من الجيف وأحر من النار والآخر « الصديد » ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ وهو الدم والقيح الذي يخرج من فروج الزناة في جهنم .

والآخر الغساق ﴿ إلا حميماً وغساقاً ﴾ وذكر بعض المفسرين أنه عين في جهنم تجري فيها سموم الحيات والعقارب الجهنمية .

لباس أهل النار

﴿ قطعت لهم ثياب من نار ﴾ سورة الحج . وروي انها مصنوعة من النحاس المحمى

ويقول في سورة إبراهيم ﴿ سرايلهم من قطران وتغشى وجوهم النار ﴾ والقطران شيء أسود كريحه الرائحة دهني المادة يوضع على الأجساد ليزيدها اشتعالاً .

وروي لو أن سرايلاً من سرايل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من رائحته ووهجه^(٢) .

اسوداد الوجه والأفلال

﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ﴾ فتارة يؤخذ المجرم من

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) لآلئ الأخبار ج ٥ ص ١٣٣ .

شعر رأسه ويلقى في جهنم ، وطوراً من رجليه . أو أن بعضهم يؤخذ من شعر رأسه وبعضهم الآخر يؤخذ من قدميه ويلقى في جهنم .

﴿ إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وترى الذين كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وجوههم مُسْوَدَّةٌ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِوْنِ ﴾ أي كُرَأْسُ الخروف المشوي الأسنان بارزة والشفاة معلقة .

﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾ فكلما أراد أحد من أهل النار الهرب من الجحيم قمع على رأسه وأعيد إليها ، وقد ورد في وزن المقمعة بأنه لو اجتمع الجن والأنس على مقمعة واحدة منها ليرفعوها لما استطاعوا .

« وروي أن أعين خزنة النار كالبرق الخاطف وأنبيأهم كالصيافي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبَي أحدهم مسيرة سنة ، تسع كفَّ أحدهم مثل ربيعة ومضر ، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم »^(٢) .

ابواب جهنم

﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾^(٣) وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) أن أسماء هذه الأبواب السبعة هي : جهنم في أسفل الدركات ، وفوقها لظى ، وفوقها حطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية . طبعاً إن عذاب كل طبقة يختلف عن الأخرى .

ويظهر من الآيات الشريفة أن نار جهنم على خلاف نار الدنيا حيث إن لها إدراكاً وشعوراً كما قال تعالى ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾^(٤) .

إضافة إلى أن جهنم تعرف أهل النار وتهجم عليهم وتجذبهم إلى القعر ولها

(١) سورة غافر آية ٧٢ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٧١ .

(٣) سورة حجر آية ٤٤ .

(٤) سورة ق آية ٣٠ .

زفير ودوي كما قال تعالى ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ .

وروي عن الإمام الصادق (ع) أنهم يسمعون زفير جهنم ، ويقول تعالى في مكان آخر ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ وروي أن النار تقول للمؤمن يوم القيامة « جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي »^(١) .

لأن المؤمنين من رحمة الله ونار جهنم من غضب الله عز وجل ورحمة الله غالبية على غضبه ﴿ يا من سبقت رحمته غضبه ﴾ وإجمالاً هناك شواهد عديدة على أن نار جهنم ذات حياة وإدراك وشعور تحب أولياء الله وتبغض أعداء الله كسائر الموجدات الأخروية .

ومن أوصاف جهنم أنه لو اجتمع الجن والأنس فيها لوسعتهم مع العلم أن مكان الجهنمي ضيق كالسمار في الجدار كما ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان : ﴿ وإذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا ﴾^(٢) وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) في هذه الآية « والذي نفسي بيده أنهم يستكروهن في النار كما يستكره الوند في الحائط »^(٣) فهم في ضيق إلى درجة أنهم يتمنون الهلاك ويقولون « وأسفاه واويلاه » وبنفس الدرجة التي عليها أهل الجنة من النعيم والضياء يكون حال أهل النار من الظلمة والوحشة والدهشة الأبدية ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾^(٤) .

العذاب الروحي

إضافة إلى العذاب الجسماني لأهل النار هناك عذاب روحي أيضاً ، ومنه التذكير بأنه باق وخالد في هذا المكان ولا نجاة له منها ، وهذا أشد عذاب لأهل النار .

ولا شك أن المنافقين والكفار الذين تمت عليهم الحجة وماتوا وهم كفار مخلدون

(١) لآلئ الأخبار ج ٤ ص ٣٠٦ .

(٢) سورة الفرقان آية ١٣ .

(٣) بحار الأنوار : ٨ / ٢٥٥ .

(٤) سورة النور / ٤٠ .

في العذاب كما قال تعالى في سورة البينة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ويقول في مكان آخر ﴿ذَلِكَ جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد﴾^(١). إذا فجزاء أعداء الله الخلود في النار ، بل أنه تعالى ذكر أن خروج أهل النار فيها أشبه بالمحال ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾^(٢) يعني كما أن هذا الأمر وهو دخول البعير في ثقب الإبرة فكذلك دخول الكفار في الجنة ، والأخبار الواردة في هذا الموضوع كثيرة ومن كانت له ذرة من الإيمان في قلبه لا يخلد في النار .

ومن العذاب الروحي أن الجهنمي يعلم بأنه محروم من اللطف الإلهي ورحمته بل على العكس من ذلك فهو مورد غضب الله سبحانه وتعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٣) وهذا يعني أنهم محرومون من الرحمة والإحسان والثواب الإلهي . ويقول في مكان آخر ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

ومن جملة هذا العذاب الحصر والهم والغم الذي يصيب أهل النار بحيث لو كان في النار موت لتمنوه ، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ ويقول في مكان آخر ﴿وَيَوْمَ يَعْصُفُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٥).

وروي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « ينادي مناد : يا أهل الجنة هذه منازلكم التي لو عصيتم الله (سبحانه وتعالى) دخلتموها . وقال (ع) ثم ينادي مناد : يا أهل النار ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم : هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم دخلتموها قال : فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزناً »^(٦).

(١) سورة فصلت آية ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ٤٠ .

(٣) سورة مطففين آية ١٥ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧٧ .

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٢٧ .

(٦) بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٢٨٧ .

ومنها أنواع التوبيخ والاستهزاء والسخرية من قبل الله سبحانه وتعالى والملائكة وأهل الجنة والشياطين الذين معهم كما ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بِلىٰ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ﴾ (١) .

ويقول أيضاً ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ . . . ﴾ (٢) .

وأمثال هذه الخطابات كثيرة ، وحتى ملائكة العذاب يسخرون منهم ﴿ كَلِمَا الْقِي فِيهَا فُوجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) .

والشياطين بدورهم يهزأون منهم ويلومونهم ، وقد روي أن أهل النار يقللون أنبياءهم من شدة العذاب خوفاً من شماتة الشياطين ، ويقول تعالى في القرآن المجيد ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوْءَاظُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) .

وأهل الجنة أيضاً يلومون أهل النار كما ورد في الآية ٤٢ من سورة الأعراف ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

ويقول في سورة المطففين ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (٥) هذا الاستهزاء والضحك في مقابل استهزاء الكفار بالمؤمنين في الدنيا .

(١) سورة الأنعام آية ١٣٠ .

(٢) سورة فاطر آية ٣٧ .

(٣) سورة الملك آية ٩ - ١٠ .

(٤) سورة إبراهيم / ٢٢ .

(٥) سورة المطففين آية ٣٤ .

ومن أنواع العذاب الروحي مصاحبة الشياطين وسائر أهل النار ، فبنفس المقدار الذي يلتذ ويأنس أهل الجنة بملاقاتهم بعضهم مع بعض يتعذب أهل النار من ملاقاتهم بعضهم لبعض فهم في غاية التنافر والحقد ، وهذا المعنى ذكره القرآن الكريم أيضاً ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِفْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصَدُونَ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ (١) .

وروي أنهما مشدودان في سلسلة واحدة في جهنم . ويقول القرآن الكريم عن عداوة أعوان الظلمة لرؤسائهم الذين أضلّوهم ﴿ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأَوْا الْعَذَابَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَمَّا نُكِلُوا إِلَيْهَا لِمَ كُنَّا كُرَّةَ فَتْبَرٍ لِمَنْ هُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ﴾ (٢) .

ويتحدث القرآن الكريم في سورة العنكبوت عن عداوة أهل النار بعضهم لبعض ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَّيَمَنُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ .

ويقول في سورة الزخرف ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وروي أن كل محبة في الدنيا لغير الله (عز وجل) تتبدل في الآخرة إلى عداوة .

ويقول القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ . هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَهُوَ مَاءٌ مَشْرُوقٌ وَبِقِعْ كَرِيمِ الرَّائِحَةِ جَدًّا وَآخِرُ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (٤) .

وروي أن زعماء الكفار ورؤساءهم عندما يلقون في جهنم يلحقون اتباعهم فيسألون عنهم من هؤلاء ؟ فيجيبهم خزنة النار ﴿ هُوَ فَوْجٌ مَقْتَحَمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا

(١) سورة الزخرف آية ٣٦ ،

(٢) سورة البقرة آية ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٤) سورة ص آية ٥٥ - ٥٨ .

فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴿^(١)﴾ ثم يقول : ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ ^(٢) .

هل ان البدن الضعيف يطبق العذاب ؟

يحتمل ورود عدة شبهات في الأذهان فنشير إليها بشكل إجمالي ، ونذكر الأجوبة عليها أيضاً .

أحدها ، كيف يتحمل هذا البدن الضعيف على ذلك العذاب الأليم وهو الذي لا يتحمل أقل ألم ؟ انه سوف يفنى من أول لحظة .

والجواب على ذلك انه صحيح أن البدن الأخروي هو نفس هذا البدن الدنيوي ، ولكنه يتركب بشكل قوي بقدرة الله عز وجل إلى درجة أنه غير قابل للقياس مع البدن الدنيوي . وفي الحقيقة أن البدن الأخروي تابع في لطافته وغلظته للطافة وغلظة النفس التي يتعلق بها ، فكما أن نفس المؤمن في الدنيا في نهاية اللطافة والليونة بحيث أنها تستسلم لأي حق وتتأثر به كما ورد في خطبة أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة « المؤمنون هينون لينون مستسلمون » فأبدانهم في الآخرة كذلك - مثل أنفسهم الشريفة - في نهاية اللطافة .

أما بالنسبة إلى الكافر فنفسه في الدنيا في غاية الغلظة والشدة والتحجر ، بحيث يقول عنها القرآن الكريم ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ^(٣) ولذلك فهو لا يستسلم ولا يفتح مقابل أي حق ، فكذلك بدنه في الآخرة في غاية الغلظة والتحجر كنفسه .

وروي أن سن الكافر يكون كجبل أحد « إذا فكيف يكون بدنه ؟ » وبعبارة أخرى أن عالم الآخرة يتغلب فيه المعنى على الصورة والشكل وتظهر فيه الحقائق ويتوحد فيه ظاهر وباطن الإنسان ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ ^(٤) .

(١) سورة ص آية ٥٩ - ٦١ .

(٢) سورة ص / ٦٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٧٤ .

(٤) سورة الطلاق - آية ٩ .

وبعد أن يتلاشى بدن الكافر من شدة العذاب ويتمزق باطنه من أكل الزقوم وشرب الحميم وسائر مشروبات الجحيم يعاد تركيبه مرة أخرى كما هو صريح الآية الكريمة ﴿كلما مضت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (١).

هل ينسجم العذاب الشديد مع العدل ؟

وهناك شبه أخرى قد تطرأ على بعض الأذهان وهي كيف ينسجم هذا العذاب الشديد مع العدل الالهي ؟

وهذه الشبهة نتيجة لقياس العذاب الإلهي في الآخرة مع تعذيب السلاطين والحكام للناس في دار الدنيا . في حين أنه ليس كذلك لأن انتقام السلاطين والحكام من المجرمين إنما هو عن التشفي لغضبهم فيما إذا غضبوا على مخالفتهم ، فعندما تشور فيهم روح الغضب والحقد يأمرهم بتعذيب وسجن مخالفتهم تشفياً منهم .

أما عذاب الآخرة فهو من باب ترتب المسببات على الأسباب أي أن لازم عدم الإيمان هو عدم النور والبقاء في الظلمة الدائمة ، ولازم الغفلة عن الله والتوجه إلى غيره البقاء في ضيق دائم ، وعدم رؤية الحق وتركه يعني العمى والصمم الأبدي ، ولازم اتباع الشيطان وأئمة الظلال مصاحبتهم في كل مكان ، ولازم أكل مال اليتيم أو أي مال حرام أكل النار في الباطن وغيرها . إذاً فنار جهنم من نفس الإنسان بل هي بنص القرآن الكريم كذلك حيث يقول ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ (٢) .

فعلى هذا أن كل عذاب يصل إلى الإنسان يكون هو السبب في ذلك وهو الذي ظلم نفسه وإلا فإن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً .

كيف يكون الكافر مع خشونة نفسه وتحجرها في الجنة التي هي في غاية اللطافة ؟ مع أن الجنة دار السلام وهي لمن كان بعيداً عن كل مرض فكيف يمكن أن تكون محلاً لمن كان قلبه مليئاً بالحسد والبخل والحقد والعداوة والتكبر والغرور . إن محل مثل هذا

(١) سورة النساء - آية ٥٦ .

(٢) سورة البقرة - آية ٢١ .

الشخص في دار المرض « جهنم » لا دار السلام « الجنة » .

وفي الحقيقة أن إدخال الكافر في الجنة يشبه إفراغ قنينة عطر على رأس شخص مصاب بالزكام !! إذاً إدخال الكافر النار لا ينافي العدالة مطلقاً ، لأن معنى العدل هو أن يوضع كل شيء موضعه ومحلّه المناسب ولذلك كان دخول الكافر الجنة محالاً لأنه لا يتناسب مع العدل الحقيقي مطلقاً ، مع أنه لا يستطيع الانتفاع بمثل هذا المكان ، فمثله مثل تجميل العروس لرجل أعمى ، أو نغمة موسيقية جذابة لشخص أصم .

لماذا العذاب ؟

..وقد تطرأ شبهة أخرى على رحمة الله عز وجل ، وهي كيف يرضى الله عز وجل وهو الرحيم بعباده أن يعذب عبده بهذا العذاب .

والجواب هو أن الله سبحانه وتعالى له صفات جمالية ولطيفة وله صفات جلالية وقهرية أيضاً ، فكما أنه الرحمن الرحيم في موضع العفو والرحمة ، فكذلك هو أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة .

والجنة محل ظهور اللطف الإلهي اللامتناهي والنار محل ظهور الغضب الإلهي ، فهو لا يرضى لعباده الكفر ودخول النار ، ولكن إذا القى الإنسان بنفسه في النار بسوء اختياره فهو لا يجبرهم على الابتعاد عنها لأنه خلاف حكمته ، والله عز وجل غني عن العالمين ولا يحتاج إلى إيمان أحد به ومع ذلك فقد جعل برحمته ورأفته باب التوبة مفتوحاً للناس جميعاً للخلاص من هذا العذاب ويبقى مفتوحاً إلى آخر لحظة من العمر ، ولكن إذا ترك الإنسان باب التوبة باختياره فسوف لا يجبره على التوبة لأن التوبة الإجبارية لا تكون توبة حقيقية .

الله عز وجل رحمن وحيم ، ومن رحمته أنه أرشدنا إلى جميع الواجبات والمستحبات يعني إلى ما يكون سبب حصولنا على قابلية الدخول إلى الجنة ومجاورته كما أنه نهانا عن جميع المحرمات والمكروهات ويعني أرشدنا إلى الابتعاد عن الأمور التي تبعدنا عن الله عز وجل وتقربنا إلى الشياطين والنار الأبدية ، وفي الحقيقة أن جميع التكاليف الإلهية ناشئة من رحمته الواسعة ، ولذلك يجب على المؤمن أن لا يتسامح في أداء هذه التكاليف وليعلم

أن عند فوت تكليف واحد سيلحقه ضرر لا ينجبر وسيبتعد عن رحمة الله عز وجل بنفس المقدار ويحرم نفسه من لطفه وعنايته .

العمر القصير والعذاب الدائم .

والإشكال الآخر هو كيف ينسجم الخلود في العذاب بالنسبة إلى الكافر مع عمره القصير في الدنيا ؟

والجواب هو أن الكافر الذي قضى عمره بالكفر هو في الحقيقة قد كسب بسوء اختياره في هذه المدة القصيرة أمراً ثابتاً وغير قابل للزوال ولازمه البقاء والخلود في النار . وبعبارة أخرى أن الظلمة التي كسبها لنفسه لا تنسجم مع النور مطلقاً .

كما أن المؤمن الذي مات على إيمانه وتقواه قد اكتسب بحسن اختياره في هذه المدة القصيرة أمراً ثابتاً لا يزول مطلقاً ، وهذا يعني أنه قد اكتسب نوراً لا ينطفئ أبداً كما روي عن الإمام الصادق (ع) في جواب أبي هاشم الذي سأله عن علة الخلود في الجنة أو النار فقال (ع) : « إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لوبقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً ، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قال (ع) : على نيته »^(١) .

(١) الكافي الجزء ٢ ص ٦٩ .

الأسئلة المتعلقة بالمعاد

(١) : هل إن الوحوش والطيور وسائر المخلوقات غير الإنسان سوف تحشر يوم القيامة ؟ ومع الاعتقاد ببقاء الروح ستكون أرواح أولئك في الآخرة ؟

ج : بما أنه لا اطلاع بالتفصيل على أمور وخصوصيات العالم الأخروي فلا طريق إلى العلم بذلك إلا طريق الوحي ، وهو منحصر بالقرآن المجيد وأخبار أهل البيت عليهم السلام . وبالنسبة للحيوانات فلا يوجد مورد يذكرها بالتفصيل فيكفي العلم الإجمالي حيث يقول القرآن الكريم في سورة التكوين ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ . وقد ذكر بعض المفسرين أن ذلك راجع إلى قبل يوم القيامة ويقصد به اجتماع الوحوش وخرجها من الغابات والمخابىء .

ويقول في سورة الأنعام : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ الآية ٣٨ . فالمذكور هو حشر الحيوانات وأما كيفية ذلك ومصيرها فلم يذكر ، ولم ترد في ذلك رواية معتبرة فلهذا يكتفى بالاعتقاد الإجمالي بهذا الموضوع .

وقد ذكر العلامة المجلسي (ره) في كتاب حق اليقين عدة أخبار ثم قال : إن المستفاد من ظاهر الآيات والروايات ان الوحوش سوف تحشر ويحكم بينها بالعدل على ما لحقها من الظلم ، وقد تحشر بعض الحيوانات لمصلحة معينة تدخل الجنة كناقصة صالح وكلب أصحاب الكهف وذئب يوسف وحمار بلعم بن باعورا . وأما حشر جميع الحيوانات

فغير ظاهر من الأخبار المعتبرة ولهذا تكلم أكثر المتكلمين الشيعة باختصار واجمال في هذا المجال ولم يفصلوا في ذلك .

وقد روي في تفسير المنهج ان الوحوش تعود بعد الحشر والقصاص وتصير تراباً ولا يبقى منها شيء إلا ما يوجب سرور بني آدم كالطاووس وغيره . ثم قال : والأصح والأشهر هو عدم بقاءه .

وأما بقية المخلوقات كالملائكة والجن والشياطين فلا خلاف في أنها تحشر فتدخل الملائكة الجنة وتدخل الجن والشياطين النار إلا ما ندر منها من الذين آمنوا منهم ، وقد اختلف في مكان هؤلاء المؤمنين فبعض ذهب إلى أنهم يدخلون الجنة إلا أن مكانهم أدنى وأقل من بني آدم وقال البعض الآخر : إن مكانهم في الأعراف ، والقول الأول أظهر كما في سورة الرحمن حيث ورد الخطاب إلى الجن والانس بالنسبة لنعم الجنة .

س (٢) : من هم المستضعفون ؟ بينوا لنا كيفية حشرهم وجزائهم ؟

ج : الجواب عن هذا السؤال يتضح من الجواب عن السؤال السادس من الأسئلة المتعلقة بالتوحيد فراجع ولزيادة في التوضيح نذكر ما أودره العلامة المجلسي (ره) في كتاب حق اليقين بأن الأصل في هذه المسألة باختصار هو أن الثابت بالأدلة العقلية والنقلية من الآيات والأحاديث أن الله تعالى عادل غير ظالم ، وأنه سوف لا يعذب من لم تتم الحجة عليه من الأطفال والمجانين والمعذورين بنقصان في العقل ولا يميزون بين الحق والباطل . إذن إما أن يكلفهم في الآخرة ويترتب على ذلك العقاب والثواب ، أو يجعلهم في الأعراف وهو مكان بين الجنة والنار ، أو يدخلهم الجنة وتكون درجاتهم أقل درجة في الجنة ، أو يجعل من بعضهم خدماً لأهل الجنة ، أو يكون بعضهم في الجنة والبعض الآخر في الأعراف وقد ورد في الحديث الصحيح الذي أورده الكليني عن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله (ع) ما تقول في الأطفال الذين ماتوا قبل أن يبلغوا ؟ فقال : - سئل عنهم رسول الله (ص) فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم أقبل عليّ فقال :

- يا زرارة هل تدري ما عنى بذلك رسول الله (ص) ؟ قال : فقلت : لا .

فقال (ع) : إنما عنى كَفَوْا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً وردّوا علمهم إلى الله^(١) .

فالمقصود أنه لا ينبغي الحديث في ذلك بل يقول أمره إلى الله تعالى لأن الله تعالى سوف يعاملهم بمقتضى عدله أو رحمته . وكذلك يجب أن يكون معلوماً إن خدمة أهل الجنة لا تعني التعب أو الحرج ، بل يكون مصحوباً باللذة والسعادة كما يلتذ الملائكة من أداء الأوامر الموكولة إليهم .

ولا يخفى أن ما ذكر من أمر المستضعفين لا يشمل أطفال المؤمنين . والظاهر أنه لا خلاف في أنهم لا يلحقون بأبائهم ويدخلون الجنة معهم زيادة في سرور آبائهم كما ورد الحديث في الكافي وفقه التوحيد للشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (ع) في قول الله عز وجل ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ الحقنا بهم ذريتهم ﴾ قال (ع) : « قصرت الأبناء عن علم الآباء فألحق الأبناء بالآباء لتقر أعينهم »^(٢) .

س (٣) : يتينا لنا مسألة الأكل والمأكول وكيفية الحشر والنشر والثواب والعقاب بالنسبة لهم ؟

ج : لقد أورد بعض الفلاسفة شبهة الأكل والمأكول على المعاد الجسماني وتوضيحه أنه لو أكل انسان انساناً آخر أصبح جزءاً من بدنه ففي يوم القيامة إذا حشرت أجزاء المأكول مع بدن الأكل فإن المأكول سوف لا يحشر حيثئذ ، وإن لم يحشر مع الأكل بأن حشر المأكول بتمامه لبقى جسم الأكل ناقصاً . وأيضاً من الثابت أن أجزاء بدن الانسان في تحلل وتبدل مستمر من أول عمره إلى آخره فهل سوف تحشر تلك الأجزاء جميعاً يوم القيامة أو يحشر ما كان حين الموت فقط ؟ فعلى الأول يلزم منه أن يكون بدن الانسان كبيراً جداً يوم القيامة إضافة إلى أن بعض الأجزاء التي تحللت قد أصبحت جزء بدن آخر أي تبدلت إلى غذاء ودخلت جسم انسان آخر فهذه الأجزاء المنحلة من البدن الأول والتي صارت جزء بدن آخر كيف سيكون حشرها يوم القيامة . هل ستحشر مع البدن الأول أو البدن الثاني ؟ فإن حشرت مع الأكل فهو يدل على إن جميع أجزاء المأكول وهو الأول لم تحشر

(١) فروع الكافي : ٣ / ٢٤٩ .

(٢) البحار ج ٥ . ص ٢٩٢ وفروع الكافي : ٣ / ٢٤٩ .

معه . وإن حشرت معه فهذا يعني أن جميع أجزاء بدن الأكل في تمام عمره لم تحشر معه هذا بناءً على الأول ، وأما بناءً على الثاني أي أن الأجزاء التي كانت موجودة حال الموت هي التي تحشر ، فإنه يقال : إنه قد يكون في أول حياته مؤمناً وعابداً فيكون أداء تلك العبادات بتلك الأجزاء المنحلة والزائلة ثم عمل المعاصي في آخر عمره ، فإن كان المحشور يوم القيامة هو جسده حال الموت فقط يكون الحشر والثواب يوم القيامة لجسد لا يستحق ذلك .

وأما الجواب عن أهل الشبهة فقد أجاب عنها المتكلمون والفلاسفة كل . بطريقته جواباً كافياً شافياً ، ومن جملة أولئك العلماء الحاجة نصير الدين الطوسي عليه الرحمة في كتاب تجريد الكلام حيث يقول في الجواب عن هذه الشبهة : إن للإنسان أجزاء أصلية دائمية من أول عمره إلى آخره وهناك أجزاء زائدة تكون في تبدل وتغير مستمر وتحتاج في تبدلها وتحللها إلى الحرارة دائماً بواسطة إيصال المواد الغذائية إليها ونجد هذا واضحاً في حالات المرض حيث الأجزاء الزائدة من الجسد وتضعف قوة تبديل المواد الغذائية فيصير الجسد ضعيفاً ، فعلى هذا نقول : ان ما يرجع يوم القيامة هو الأجزاء الأصلية للبدن التي كانت موجودة من أول عمر الانسان إلى آخره ، وأما الأجزاء الزائدة والمتحللة فلا يلزم إعادتها ، وأما إذا أكل انسان شخصاً آخر أو أكل غذاء مكوناً من أجزاء منحلّة من بدن آخر فنقول : إنه لا يمكن أن تنتقل الأجزاء الأصلية من بدن الأول إلى بدن الثاني بل إن الذي ينتقل هو الأجزاء المتبدلة والمنحلة من الأول ، وعلى كل حال أن الأجزاء الأصلية هي التي تبقى في الأرض إلى أن يبعثها الله يوم القيامة بقدرته ويجمع شتاتها المتفرق ويجازيها على أعمالها في الدنيا .

س (٤) : قد يكون الثواب على بعض الأعمال يوجب استبعاده فقد يقال إنه كيف يمكن الاستفادة من كل ذلك الثواب ؟ نرجو إيضاح هذا الموضوع .

ج : من جملة الأمور التي توقع الانسان في الخطأ هو قياس أوضاع عالم البرزخ والآخرة على عالم الدنيا حيث يتصور الانسان أن عالم الآخرة مثل عالم الدنيا من حيث الأسباب التي تستعمل في قضاء حوائجه في الدنيا ، ومن حيث اللذات والمؤلمات الموجودة في هذا العالم في حين أنه غافل عن إن الموجودات في كل عالم متناسبة مع

ذلك العالم من حيث السعة والضيقة والكثرة والقلة . فمثلاً لو قيل للطفل الجالس في رحم أمه إنك سوف تخرج من هذا المكان قريباً إلى مكان أوسع ملايين المرات . بل لا يمكن قياسه بذلك المكان وسوف تكون محتاجاً إلى مكان أوسع من مكانك هذا بآلاف المرات ، وتحتاج إلى أطعمة مختلفة ومتنوعة وتحتاج إلى الألبسة المتنوعة لكي تلبسها على بدنك وهكذا ، فلو أن الطفل استبعد وقوع كل هذه الأمور العجيبة وقال إنها مغالطات وخرافات فسيكون كلامه في غير محله ، لأن الشخص الجالس في مكان أقل من نصف المقر بأتم الراحة والطمأنينة ويأتيه الغذاء عن طريق المشيمة دون أن يبذل أي جهد . وهكذا الانسان المسجون في هذا العالم المادي عندما يقول كيف يمكن أن يستفيد الانسان من كل تلك الأطعمة والقصور والحنور العين وغيرها من النعم الموجودة في الجنة فهو غافل عن أن العالم الأخرى يكون بشكل يمكنه أن يستفيد من جميع لذات الجنة ونعيمها في وقت واحد . وما دامت الروح محبوسة في هذا العالم فلا يمكن ادراك عظمة وسعة ذلك العالم الأخرى كما صرح بذلك في القرآن المجيد قال : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لها من قرة العين ﴾ .

س (٥) : اذكروا الدليل على بطلان التناسخ .

ج : التناسخ عبارة عن تعلق الأرواح بعد خروجها من البدن المادي بأجسام وأبدان أخرى دنيوية . وهؤلاء القائلون بالتناسخ على عدة مذاهب ، فجماعة منهم يقولون بأن الروح الانسانية تنتقل بعد الموت وفساد البدن إلى بدن انسان آخر ويطلق على هؤلاء اسم النسخية . وجماعة أخرى قالوا بانتقال روح الانسان بعد الموت إلى بدن حيوانات وبهائم وحشرات كل روح تنتقل إلى ما يناسبها من الحيوان فمثلاً أرواح السعداء تنتقل إلى أبدان حيوانات شريفة مثل الحصان . وأما أرواح الأشقياء فتنقل إلى أجساد حيوانات شقية مثل الكلب والخنزير وهكذا بالنسبة إلى الانسان الشجاع تنتقل روحه إلى بدن أسد ، والشخص المؤذي إلى بدن ذئب ، والحريص إلى بدن نملة أو فأرة ، وهكذا ويسمى هؤلاء بالمنسخية . وطائفة أخرى ذهبوا إلى انتقال الأرواح بعد الموت إلى النباتات والأشجار وهم الفسوخية وقوم آخر ذهبوا إلى أن الأرواح تنتقل بعد الموت إلى جمادات مثل الأحجار وأمثال ذلك ويقال لهم الرسوخية . إذن فالقائلين بالتناسخ على أربع طوائف :

نسخية ومنسوخية وفسوخية ورسوخية

وهناك أقوال سخيفة أخرى يستلزم من ذكرها طول الكلام . والتناسخ باطل بجميع أقسامه :

أولاً : إن هذا المذهب مخالف لضرورة الدين الاسلامي (بل لجميع الشرائع والملل في العالم) لأن الثابت في الدين الاسلامي ان الأرواح تذهب بعد الموت وبعد السؤال والجواب في القبر إلى عالم البرزخ ثم تعود مرة أخرى إلى هذه الأبدان الدنيوية التي كانت فيها سابقاً حيث تحشر يوم القيامة إلى الحساب والجزاء على الأعمال التي عملها في الدنيا بالتفصيل المذكور في محله . لكن أصحاب التناسخ ينكرون كل هذه الأمور الثابتة بضرورة الدين من الجنة والنار وما يدور فيهما فيحصرون الجزء في هذا العالم الدنيوي المادي . وكذلك ينكرون الأعمال التي تؤدي إلى الجنة والأعمال التي تؤدي بصاحبها إلى النار . فلهذا تكون جميع الأدلة القائمة على أحقية الشرع المقدس هي دليل على بطلان هذا المذهب السخيف .

ثانياً : أن البدن عندما يكتمل في الرحم يكون مستعداً لتعلق الروح به فيفيض الله سبحانه وتعالى بالروح إليه فتتعلق به لأن الباري تعالى هو الوجود التام والفيض العام وقد حصد الشرط للفيض وهو استعداد وقابلية المحل ، فلو إن روحاً أخرى تعلق بهذا البدن لزم اجتماع روحين في بدن واحد وهو باطل بالضرورة والوجدان ، لأن كل واحد يجد في نفسه ان له روحاً ونفساً واحدة فقط .

ثالثاً : بما أن البدن في تكامل مستمر منذ بداية تكوينه وينتقل في الكمالات مندرجاً من القوة إلى الفعل ، فكذلك الروح تتكامل يوماً بعد يوم طيلة وجودها في البدن إلى أن تأتي ساعة الموت فتكون قد استكملت جميع قواها أو أغلبها ، فكيف يمكن أن تتعلق ببدن الجنين الذي ما يزال في عالم القوة المحضة حيث يستلزم أن تعود النفس الكاملة إلى النقصان لكي تتحد بالبدن الناقص حتى يسيرا سوية نحو التكامل .

وقد ذكرت وجوه أخرى لبطلان التناسخ ، إلا أن فيما ذكرناه كفاية ، ومن الجدير بالذكر أن هناك نوعين من المسخ قد وردا في الشريعة المقدسة وهما بيانان ما ذكرناه من تلك الأقوال

الباطلة وهما المسخ الديني والآخر هو المسخ الأخروي .

المسخ الديني هو أن يجعل الله سبحانه وتعالى عقوبة بعض الأشخاص العصاة وأصحاب الصفات الرذيلة المترسخة في باطنهم والذين صاروا ضالين ومضلين فيغير صورتهم الظاهرية في الدنيا بما يطابق مع صورتهم الباطنية فبعض ينقلب إلى قرد وآخر إلى خنزير وآخر على شكل كلب وهكذا كما جاء ذلك في القرآن الكريم : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ ويقول عن أصحاب السبت ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ ومن الواضح أن هذا مباين لما يقولونه من التناسخ لأنهم يقولون إن روح الإنسان بعد الموت تتعلق بيدن ذلك الحيوان كما سبق وان ذكرنا ، وأما القرآن الكريم فهو يخبرنا عن تبدل الصورة الظاهرية لبعض أهل العصيان والطغيان بحيث أن نفس أبدانهم التي كانت بشكل إنسان تبدلت بقدره الله تعالى إلى أجسام حيوانات بعد المسخ حتى أن أقاربهم عندما جاؤوا إليهم عرفوهم وهم على هذا الشكل الحيواني وكذلك الممسوخين عرفوا أقاربهم ولهذا كان الأقارب يعاتبونهم على ذلك قائلين لهم ألم ننصحكم وننهكم عن تلك الأفعال ، إلا أنهم لم يستطيعوا جواباً بل كانوا يكون فقط ، وقد جاء في الروايات أن الأقوام التي مسخها الله تعالى لم تدم أكثر من ثلاثة أيام في الدنيا ثم هلكوا ، فكل ما نراه من الحيوانات الموجودة من الكلب والخنزير والقرد هي من نسل حيوانات لا من نسل الممسوخين والسبب في تسميتها بالمسوخات هو أن الممسوخين من أفراد البشر قد مسخوا على شكل هذا الحيوانات .

وأما المسخ الأخروي فكما ورد في الروايات الكثيرة عن رسول الله (ص) وأهل البيت (عليهم السلام) بأن جميع أفراد البشر يحشرون يوم القيامة على أشكالهم الباطنية التي اكتسبوها في الدنيا بسوء اختيارهم أو حسنه ، لأن الأرواح تتعلق بأبدان أخرى (كما يقول التناسخيون) بل أن نفس هذه الأبدان يكون شكلها الظاهري مطابقاً للشكل الباطني بحيث يعرف كل شخص من شكله انه من هو وما شأنه ؟ وبعبارة أخرى أن المعنى يغلب على الشكل المادي يوم القيامة وهو قوله تعالى : ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يظهر الباطن لكل شخص ، فبعض الناس يكون باطنهم شبيهاً بالملائكة وهم أهل الخيرات في الدنيا والذين كان عملهم في الدنيا كعمل الملائكة وهو العبادة وعدم ارتكاب المعاصي ، بل أن

نعمهم وخيرهم كان يصل إلى جميع المخلوقات ، وهناك طائفة أخرى على العكس من ذلك أي أن صورتهم الظاهرية تطابق صورة الشياطين القبيحة والموحشة وهم أصحاب الفسق والفجور في الدنيا وأصحاب المكر والخديعة وإيصال الأذى إلى الآخرين وغير ذلك من أعمال وأفعال الشياطين . وطائفة أخرى بشكل السباع والوحوش وآخرون على شكل بهائم وآخرون على شكل حشرات كما تقول الآية الشريفة ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ وقد جاء في بعض التفاسير أن المراد به أنهم يحشرون على أشكال حيوانات منكسة الرؤوس ، وروي عن رسول الله (ص) انه قال : « يحشر الناس على نياتهم » وكذلك قال : « يحشر الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير » ويذكر في تفسير مجمع البيان في ذيل الآية الشريفة : ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ﴾ أن رسول الله (ص) قال : « يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم إلا من المسلمين وبدل صور بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم عُمي يترددون ، وبعضهم صم بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعباً يتقذروهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار ، وبعضهم أشد تنناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطران لاصقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا والعمي الجائرون في الحكم ، والصم البكم المعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم ، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان ، والذين أشد تنناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء .

وهناك روايات كثيرة بهذا المضمون نكتفي منها بما ذكرناه .

س (٦) : كيف يكون الزمان في الآخرة ؟

ج : الزمان عبارة عن مقدار حركة الأفلاك ودوران الأرض حول الشمس ، وأما في

الآخرة فلا يوجد شيء من ذلك ، والنور هناك عبارة عن نور الإيمان والأعمال الصالحة كما أن الظلمة عبارة عن ظلمات الكفر والمعصية ، فالجنة مستنيرة دائماً بنور المؤمنين ، كما أن جهنم مظلمة دائماً .

س (٧) : هل ان الخلود في الجنة أو النار يكون أبدياً وغير محدود مطلقاً ؟

ج : الإنسان الذي يدخله الله تبارك وتعالى الجنة يبقى فيها مخلداً إلى أبد الأبدين كما قال تعالى ﴿ جزأؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ﴾ فهم مخلدون في الجنة . وأما أصحاب النار ، فإن كانت هناك ذرة من الإيمان لدى بعضهم فسوف يخرجون منها ويدخلون الجنة ولا يبقى في النار إلا الكفار والمنافقون حيث يخلدون فيها أبد الأبدين ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ .

فإن قيل : إن تخليدهم في العذاب في مقابل بعض الأعمال الجزئية والمتناهية في مدة عمرهم القصير في الدنيا إنما هو خلاف العدل ، نقول في الجواب : إن خلود أهل النار فيها ليس في مقابل تلك الأعمال المحدودة ، بل هو لأمر ثابت لا يزول اكتسبه في الدنيا وهو عبارة عن الكفر والعناد والشقاوة الذاتية ، كما أن خلود المؤمنين أيضاً في مقابل أمر ثابت وهو عبارة عن النيات الصادقة والإيمان والمحبة والسعادة الذاتية . وقد ورد في البحار عن أبي عبدالله (ع) : « إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا هذه الآية من قوله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ قال : أي على نيته .

(١) ﴿ قال رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت . كلا . . ﴾

(٢) « مصدق برجعتمكم » (من الزيارة الجامعة)

س (٨) : الآية المذكورة تتنافى مع العبارة الموجودة في زيارة الجامعة ، نرجو توضيح الجواب .

ج : مسألة الرجعة في مذهب الشيعة الإمامية عبارة عن رجوع عدة من المؤمنين المخلصين إلى الدنيا في زمان ظهور الامام المهدي (ع) وكذلك رجوع أهل

البيت (عليهم السلام) أيضاً إلى الدنيا . وكذلك رجوع مجموعة من الكفار والمشركين إلى الدنيا ، وهذا الأمر غير ممتنع عقلاً وهو أمر سهل بالنسبة إلى القدرة الإلهية ، وقد أخبر بذلك الأئمة (ع) ، وذكر العلامة المجلسي (ره) ما يقارب المائتي حديث في الرجعة وعليه ، فليس غريباً الاعتقاد بالرجعة إجمالاً ، ولا يجب معرفة كيفية الرجعة ومدتها والأفراد الذين سوف يرجعون إلى الدنيا بالتفصيل .

وأما الجواب عن السؤال المذكور حول الآية الشريفة التي تذكر قول الكفار بعد موتهم حيث يدعون الله تعالى أن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا الصالحات فلا يستجاب لهم ذلك حيث يدل ظاهر الآية انه لا يمكن رجوع أي شخص إلى الدنيا وهو يعارض ما ذكر في الرواية من رجوع بعض الكفار إلى الدنيا في آخر الزمان . فهو أن ما يطلبه الكفار ويتمنوه هو الرجوع إلى الدنيا ليعملوا فيها الخيرات والعبادات وهذا هو المرفوض ، وأما الرجوع إلى الدنيا في زمان الرجعة لرؤية حكومة أهل البيت (عليهم السلام) ويقتلون على يدهم فهو نوع من الانتقام من أولئك الكفار حيث يجازون على بعض أعمالهم السيئة . أما الرجعة بالنسبة لتلك العدة من المؤمنين فتعني تحقق أمنيته برؤية الحكومة الإلهية الحققة وثواباً لما واجهوه من الهم والغم في حياتهم السابقة ، وبعبارة أخرى أن رجوع بعض الكفار والمؤمنين إلى الدنيا مرة أخرى إنما هو للتوصل إلى بعض مراتب العقاب والثواب الذي يستحقونه لا من أجل استكمال درجات الإيمان والعمل الصالح ولذلك فالرجعة تحسب من أيام الآخرة كما يظهر من بعض آيات القرآن الكريم المتعلقة بأمر الساعة حيث ورد تأويلها بزمان الرجعة ، وكذلك ما روي من أن « أيام الله ثلاثة ، يوم الظهور ويوم الكثرة ويوم القيامة » وفي رواية أخرى « يوم الموت ويوم الكثرة ويوم القيامة » .

س (٩) : المشهور أن المؤمن المحض والكافر المحض سوف يرجعون إلى الدنيا عند ظهور الإمام المهدي صاحب الزمان (ع) . فكيف يبقى الكافر على كفره بعد مشاهدته لعالم الآخرة وما يجري فيها وعلمه بالمبدأ والمعاد بعد رجوعه إلى الدنيا ؟ وكيف يكلف المؤمن مرة أخرى بعد أن أنهى ما عليه من التكاليف في المرة السابقة ؟

ج : الأشخاص الذين تمت عليهم الحجة الإلهية ورأوا آياته البينات ولم يؤمنوا بعد

ذلك ولم تؤثر فيهم مواعظ الأنبياء وإرشاداتهم ، لو أنهم أعيدوا إلى الحياة الدنيا ثم ماتوا وهكذا آلاف المرات سوف لن يؤمنوا مطلقاً ﴿ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه ﴾ والسر في ذلك أن هذا الشخص ليس له حياة إنسانية بل هو حيوان لا أكثر - كالانعام بل هم اضلّ - ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

وأما ما ذكر في السؤال من أن الكافر لو رجع إلى الدنيا سوف يؤمن فهو اشتباه كبير وسيتضح بطلانه لأن الكافر سوف ينسى بعد رجوعه إلى الدنيا كل ما شاهده في عالم البرزخ والموت ويتبع شهواته وأهواء مرة أخرى وحتى لو تذكر ما جرى عليه فسوف يعتبره حلمًا مخيفاً ، وعلى كل حال فمثل هذا الشخص لو أعيد إلى الدنيا ألف مرة فانه يبقى على حيوانيته الأولى ، وهكذا شأن أهل الكفر والعناد في جميع النشأت والعوالم .

وأما السؤال عن حال المؤمن في زمان الرجعة ، فلا يوجد تكليف عليه في ذلك الزمان بل تكون رجعته من أجل الوصول إلى بعض درجات الإيمان جزاء أعماله في حياته الأولى ومشاهدته حكومة أهل البيت (ع) ليفرح بها وتتم سعادته ، وكذلك من الممكن أن تكون رجعة بعض المؤمنين إضافة إلى ما ذكرنا من أجل توفيقهم إلى بعض الأمور التي لم يوفقوا لها في حياتهم الأولى من قبيل الاستشهاد في ركاب الإمام (ع) إذا كان متمنياً لذلك ولم يوفق إليه في حياته الأولى فلذلك يرجع ليحصل على هذه الدرجة من الكمال ، كما ورد ذلك في بحار الأنوار عن الإمام الصادق (ع) انه قال : « وفي قوله تعالى - يوم نحشر من كل أمة فوجاً - ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت . ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل ؟ فبناءً على هذا الحديث الشريف أن المؤمن المقتول قبل أجله الحتمي سوف يرجع إلى الدنيا في زمن ظهور الإمام ليكمل عمره الأول وينال سعادته . وكذلك من مات ولم يحصل على الشهادة في سبيل الله يرجع لكي ينال الشهادة .

س (١٠) : هل ان عالم البرزخ يكون بالسوية لمن مات قبل ألف عام ، ومن يموت في هذا اليوم ؟ ثم اذكروا لنا شيئاً عن البدن المثالي ؟

ج : تختلف مدة بقاء الأرواح في عالم البرزخ وحتى قيام القيامة ، لكن الأرواح في

البرزخ ليست معطلة بل هي إما منعمة بالنعم البرزخية (إن كانت صالحة) أو معذبة بالعذاب البرزخي ، وأما لو كان من المستضعفين وهم الذين لا يستطيعون تمييز الحق من الباطل ، أو من لم تتم الحجة عليهم كما في بعض الأشخاص الذين يسكنون بلاد الكفر ولم يطلعوا على الأديان والمذاهب ومن لا يمكنهم السفر إلى بلاد أخرى للبحث عن دين الحق . وكذلك الأطفال والمجانين وأمثالهم ، هؤلاء يكون أمرهم موقوفاً في البرزخ من دون ثواب أو عقاب إلى أن يحين يوم القيامة فيعاملهم الله تعالى بعدله أو رحمته .

وأما البدن المثالي فهو البدن الذي تتعلق به الروح بعد الموت ويشبه البدن المادي كما ورد ذلك عن الإمام الصادق (ع) حيث قال : « لورأيتك لقلت هو هو بعينه » أي يطابق جسده الدنيوي تماماً . وكيفيته في غاية اللطف والصفاء . ويقول العلامة المجلسي في البحار إنه يشبه في لطافته الجن والملائكة . ويقول أيضاً بأن ما ورد في الأخبار من سعة القبر وحرارة الروح وطيرانها في الهواء وزيارة أهلها ترجع بأجمعها إلى ذلك البدن ، وشبه بعض المحققين البدن المثالي بالصورة المنعكسة في المرآة من حيث اللطافة ، والفرق هو أن الصورة في المرآة متقومة بالغير وفاقدة للإدراك وأما البدن المثالي فهو قائم بالروح ويمتلك إدراكاً وحساً .

س (١١) : أعمال الخير التي تصدر من المشركين والكفار ، وكذلك الخدمات التي يقدمها المخترعون والمكتشفون لملايين الناس هل توجب التخفيف من عذابهم ؟

ج : الأعمال النافعة والاختراعات التي تخدم البشرية إذا كان المقصود بها هو التقرب إلى الله تعالى وطلب الأجر منه وكان العمل مصحوباً بالإيمان فحينئذ يترتب عليه الثواب الأخروي وأما من كان منكراً لله تعالى ولم يقصد بذلك العمل أن يكون لله بل طلب به المقاصد الدنيوية والمادية من قبيل الشهرة والحصول على الأموال في الدنيا وغيرها من المنافع الدنيوية فأجره هو ما طلبه ونواه . ولكن لا يخفى أن لخصوص الإحسان إلى العباد وحتى الحيوانات آثاراً دنيوية وأخرية محيرة حتى لو كان فاعله كافراً أو فاسقاً كما لو أحسن الكافر أو الفاسق إلى أحد المخلوقين فإنه يوجب دفع البلاء عنه أو زيادة ماله أو عبده بل قد يؤدي ذلك العمل إلى تبدل حاله من الكفر إلى الإيمان والتوبة فتحسن عاقبته قبل موته ،

وتارة يؤدي ذلك العمل إلى التخفيف من عذابه فيما إذا مات وهو كافر كما ورد ذلك في حاتم الطائي المشهور بالكرم وأنوشيروان العادل اللذان يدخلان النار ولكن لا يعذبان فيها ، ومن المعلوم أن آثار الإحسان تختلف باختلاف نوع الإحسان ودرجته كمأً وكيفاً ومورداً .

س (١٢) : ما هي الغمرات والسكرات عند الموت ؟ وهل أن الذي يموت بموت
الفضة يتلى أيضاً بتلك الحالات ؟

ج : سكرات الموت وغمراته عبارة عن الشدائد التي تعرض في حال الاحتضار وتعرض السكرات عندما يكون المحتضر في حالة الاغماء حيث تصدر منه ألفاظ وحركات غير مفهومة وأما الغمرات فهي الحالات الشديدة التي يكون فيها المحتضر مبهوئاً ومتحيراً ومدهوشاً .

وأما الأشخاص الذين يموتون فجأة فهم في أمان من سكرات الموت . ولكن لا يخفى أن الابتلاء بسكرات الموت لا يدل على سوء حال المحتضر ، كما أن عدم الابتلاء بها لا يدل على حسن حال المحتضر فيمكن أن يتلى المؤمن بسكرات الموت وشدائده لكي يظهر من المعاصي التي صدرت منه ، ويمكن أن يموت الكافر أو الفاسق بسهولة ويسر مجازاة له على أمر حسن صدر عنه في الدنيا ولا يبقى له شيء من الثواب في الآخرة (وللتوضيح أكثر يراجع كتاب عقائد الصدوق (ره)) .

الفهرس

- الفصل الأول

٩	الموت
١٠	هل يتكلم الميت ؟
١٠	فلسفة الأحلام
١١	عدم القبول من عدم القابلية
١١	المنزل الأول - الموت
١٢	كيفية قبض الروح
١٤	سهولة وصعوبة تسليم الروح
١٦	حب الموت
١٧	التعلق بالدنيا مذموم عقلاً وشرعاً
١٧	حب الدنيا من صفات الكفار ورأس كل خطيئة
١٨	كراهة الموت والبكاء على الأقرباء
١٨	الجزع نتيجة الغفلة عن الآخرة
١٩	حضور أهل البيت (ع) في حال الاحتضار
٢٠	الأخبار بعد الموت
٢١	السؤال والجواب في القبر
٢٢	ما هي فائدة السؤال والجواب في القبر ؟
٢٣	السؤال عن الأعمال

٢٤	العمل أنيس القبر
٢٤	انذار الله عز وجل
٢٥	ضغطة القبر
٢٧	ضغط القبر في أي مكان ممكن

- الفصل الثاني

٢٩	البرزخ
	العالم المثالي - البدن المثالي
٣١	شدة التأثير والتأثر
٣٣	استمرار اللذة
٣٧	هل يمكن انكار المطالب السليقة ؟
٣٧	مراتب الخبر
٣٨	لا يوجد دليل عقلي على عدم المعاد
٣٩	رواية من أخبار المستقبل
٤٠	تأثير الروح في الجسد المادي
٤٠	جسد الحر طرياً
٤٢	النار الحارة
٤٣	الأشخاص الذين لا خوف عليهم
٤٦	أين البرزخ ؟
٤٦	الأرواح تستأنس ببعضها
٤٧	وادي السلام مكان الأرواح
٤٩	علاقة الروح مع القبر أكثر
٤٩	شبهة أخرى وجوابها
٥٠	ثواب وعقاب البرزخ في القرآن
٥٣	الثواب والعقاب البرزخي في الأخبار
٥٥	حوض الكوثر في البرزخ
٥٦	برهوت محل جهنم البرزخية

- الفصل الثالث

٥٩	القيامة
٥٩	القيامة بحكم العقل
٦١	هل نتيجة ذلك هي الفناء ؟!
٦٢	العدل الالهي يقتضي وجود يوم الجزاء
٦٣	الصادقون يخبرون عن القيامة
٦٤	إحياء الموتى في هذه الدنيا
٦٥	عزيز مات مائة عام
٦٦	الله عز وجل قادر على كل شيء
٦٧	الماء والنار سوية
٦٧	كيف يحمي هذه العظام النخرة ؟
٦٨	خلق الأفلاك أعظم
٦٨	دفع الضرر المحتمل واجب عقلاً
٧٠	القيامة الكبرى
٧١	الأشكال المختلفة في المحشر
٧٢	القلوب لدى الحناجر
٧٣	الآمنون من الفزع يوم القيامة
٧٤	ولاية علي (ع) هي الأمان الحقيقي
٧٥	تأمين المستقبل
٧٦	إسرافيل ينفخ في الصور
٧٧	لمن الملك اليوم ؟
٧٩	يوم تبلى السرائر
٧٩	التقوى لباس القيامة
٨٠	يعرف المجرمون بسيماهم
٨١	يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
٨٣	تطايير الكتب

٨٥	هاؤم اقرأوا كتابيه
٨٦	البشارة
٨٧	الميزان
٨٨	علي (ع) ميزان الحق
٩٠	الحساب
٩١	الاحباط والتكفير
٩٣	الاسئلة يوم القيامة
٩٤	السؤال عن العبادات
٩٥	أخذ الحقوق
٩٨	حوض الكوثر
	﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾
٩٩	ظهور عظمة محمد وآل محمد (ع)
١٠٠	علي (ع) قسيم النار والجنة
١٠١	الصراط
١٠٧	الشفاعة
١٠٨	الشفاعة في جميع الأمكنة
١١١	الشفاعة هي أملنا
١١١	الأعراف
١١٣	الجنة
١١٤	مأكولات ومشروبات الجنة
١١٦	أثاث وأواني الجنة
١١٧	الحور العين
١١٩	عطور وأزهار الجنة
١٢٠	غناء وموسيقى الجنة
١٢٠	النعم والملاذات الروحية
١٢٢	موعظة

١٢٢	 النار
١٢٣	 مأكولات ومشروبات الجحيم
١٢٤	 لباس أهل النار
١٢٤	 اسوداد الوجه والأغلال
١٢٥	 أبواب جهنم
١٢٦	 العذاب الروحي
١٣٥	 الأسئلة المتعلقة بالمعاد